

امير الشعراء

في

العصر المتدبر



مجتهد صالح سميكة

خريج دار العلوم

ومدرس بمدرسة بنات الاشراف الثانوية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى

١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م

مطبعة المؤلفين شارع الخليج بجندلاط

صورة المؤلف



الحياة معرفة الواجب ، والالتم والامل
باعتنا لتلك المعرفة . وخير ما في الحياة سمو
المرء الى الفضائل وقيامه بعمل نافع

بلغ إليه الحاضر في فنه وفلسفته . وذلك من عمل العقل المتجدد أبدا والمترادف بالليل والنهار على هذه الأرض . كل نهار أو ليل هو آخر وهو أول ، وكذلك العقول كلها آخر من ناحية وأول من ناحية

والتجديد في الأدب إنما يكون من طريقتين : فأما واحدة فأبداع الأديب الحى في آثار تفكيره بما يخلق من الصور الجديدة في اللغة والبيان ، وأما الأخرى فأبداع الحى في آثار الميت بما يتناولها من مذاهب النقد المستحدثة ، وأساليب الفن الجديدة . وفي الأبداع الأول إبداع مالم يوجد ، وفي الثانى إتمام مالم يتم ، فلا جرم كانت فيهما معاً حقيقة التجديد بكل معانيها ولا تجديد إلا من ثمة فلا جديد إلا مع القديم

وإذا تبينت هذا وحقيقته أدركت لماذا يتخبط منتحلو الجديد بيننا وأكثرم يدعيه سفاهاً ويتقلده زوراً ، وجملة عملهم كوضع الزنجى الذرور الأبيض (البودرة) على وجهه ثم يذهب يدعى أنه خرج أبيض من أمه لا من العلبة فأن منهم من يصنع رسالة في شاعر وهو لا يفهم الشعر ولا يحسن تفسيره ولا يحده في طبعه ، ومنهم من يدرس الكاتب البليغ وقد باعده الله من البلاغة ومذاهبها وأسرارها ، ومنهم من يحدد في تاريخ الأدب ولكن بالتكذب عليه والتقحم فيه والذهاب في مذهب المخالفة ، يضرب وجه المستقبل حتى يحىء مدبراً ووجه المدبر حتى يعود مقبلاً فإذا لكل طريق جديد . وينسى أن جديده بالصنعة لا بالطبيعة وبالزور لا بالحق

ألا إن كل من شاء استطاع أن يطب لكل مريض لا يكلفه ذلك
إلا قولاً يقوله وتلفيقاً يدبره، ولكن كذلك كل من وصف
دواء استطاع أن يشفى به ؟

وبعد فقد قرأت رسالة امرئ القيس التي وضعها الأديب الفاضل السيد (محمد
صالح سمك) فرأيت كاتبها - مع أنه ناشئ بعد (١) - قد أدرك حقيقة الفن
في هذا الوضع من تجديد الأدب فاستقام على طريقة غير ملتوية ومضى
في المنهج السديد ولم يدع التثبت وإنعام النظر وتقليب الفكر وتحسين
الرأى، ولا قصر في التحصيل والاطلاع والاستقصاء، ولا أراه فاته إلا
ما لا بد أن يفوت غيره مما ذهب في إهمال الرواة المتقدمين وأصبح الكلام
فيه من بعدهم رجماً بالغيب وحكماً بالظن

فإن امرأ القيس في رأيه إنما هو عقل يأتى كبير من العقول المفردة
التي خلقت خلقها في هذه اللغة؛ فوضع في بيانها أوضاعاً كان هو مبتدعها
والسابق إليها ونهج لمن بعده طريقته في الاحتذاء عليها والزيادة فيها والتوليد
منها وتلك هي منقبتة التي انفرد بها والتي هي سر خلوده في كل عصر. إلى
دهرنا هذا وإلى ما بقيت اللغة. فهو أصل من الأصول في أبواب من البلاغة
كالتشبيه والاستعارة وغيرهما حتى لكأنه مصنع من مصانع اللغة لارجل
من رجالها وكما يقال في زمتنا في أم الصناعة: سيارة فورد وسيارة فيات
يمكن أن يقال مثل ذلك في بعض أنواع البلاغة العربية: استعارة

(١) وضع المؤلف هذا الكتاب حينما كان طالباً بدله العلوم

امرى القيس وتشيته امرى القيس

ولكن تحقيق هذا الباب وإحصاء ما انفرد به الشاعر وتاريخ كلماته
البيانية مما لا يستطيعه باحث وليس لنا فيه إلا الوقوف عند ما جاء به النص
ونلقنه نبهنا في (إعجاز القرآن) إلى مثل هذا إذ نعتقد أن أكثر ما جاء
في القرآن الكريم كان جديدا في اللغة لم يوضع من قبله ذلك الوضع ولم
يجر في استعمال العرب كما أجراه ، فهو يصب اللغة صبا في أوضاعه لأهلها
لا في أوضاع أهلها ، وبذلك يحقق من نحو ألف وأربعمائة سنة ما لا نظن
فلسفة الفن قد بلغت إليه في هذا العصر ، إذ حقيقة الفن على ما نرى أن
تكون الأشياء كأنها ناقصة في ذات أنفسها ليس في تركيبها إلا القوة التي
بنيت عليها . فإذا تناولها الصنع الحاذق الملمم أضاف إليها من تعبيره
ما يشعر أنه خلق فيها الجمال العقلي فكانها كانت في الحلقة ناقصة حتى أتمها
وهذا المعنى الذى يبناه هو الذى كان يحوم عليه الرواة والعلماء بالشعر
قديماً يحسونه ولا يجدون بيانه وتأويله ، فترى الأصمعى مثلاً يقول في
شعر لبيد : إنه طيلسان طبرى . أى محكم متين ولكن لا رونق له . أى فيه
القوة وليس فيه الجمال ، أى فيه التركيب وليس فيه الفن

والعقل البياني كما قلنا في غير هذه الكلمة هو ثروة اللغة وبه وبأمثاله
تعامل التاريخ وهو الذى يحقق فيها فن النماذج وصورها ، فهو بذلك
امتدادها الزمنى وانتقالها التاريخى وتخلقها مع أهلها إنسانية بعد إنسانية
في زمن بعد زمن ، ولا تجديد ولا تطور إلا في هذا التخلق منى جاء من
أهله والجديرين به . وهو العقل المخلوق للتفسير والتوليد وتلقى الوحي

وأداته واعتصار المعنى من كل مادة وإداره الأسلوب على كل ما يتصل به من المعانى والآراء فينقلها من خلقتها وصيغها العالمية إلى خلق لإنسان بعينه هو هذا العبقرى الذى رزق البيان

وللسبب الذى أومأنا إليه بقى امرؤ القيس كالميزان المنسوب فى الشعر العربى يبين به انناقص والوافى . قال الباقلانى فى كتابه (الامحاز) : وقد ترى الأدباء أولاً يوازنون بشعره (يريد امرأ القيس) فلاناً وفلاناً ويضمون أشعارهم إلى شعره حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه (توفى الباقلانى سنة ٤٠٣ للهجرة) وبين شعره فى أشياء لطيفة وأمور بدیعة وربما فضلوهم عايه أو سوا بينهم وبينه أو قربوا موضع تقدمه عليهم وبروزه بين أيديهم . اهـ

ومعنى كلامه أن امرأ القيس أصل فى البلاغة ، قد مات ولا يزال يخلق ، وتطورت الدنيا ولا يزال يحى معها ، وبلغ الشعر العربى غايته ولا تزال عرسته عند الغاية

وعرض الباقلانى فى كتابه طويلاً امرئ القيس ، فأتقنه منها أيماناً كثيرة ليدل بذلك على أن أحواد شعره وأبدعه وأفصحته وما أجمعوا على تقدمه فى الصناعة والبيان هو قبل آخر غير نظم القرآن لا يمتنع من آفات

(١) أى مملوكة وهذه القصائد التى تسمى المعلقات لم تكتب ولم تعلق كما سمى و تاريخ أدب العرب

البشرية وتنقصها وعوارها ، فركب في ذلك رأسه ورجليه معا فأصاب وأخطأ ، وتعسف وتهدى ، وأنصف وتحامل . وكل ذلك لمـكانة امرئ القيس في ابتكاره البياني الذي لا يمكن أن يدفع عنه . ولما انتقد قوله :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لحو بها غير معجل
قال : « فقد قالوا عني بذلك أنها كبيضة خدر في صفائها ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق إليها بل هي دائرة في أفواه العرب » . ألا ليت شعري هل كان الباقلاني يسمع من أفواه العرب في عصر امرئ القيس قبل أن يقول (وبيضة خدر) ؟

على أن الكناية عن الحبيبة (ببيضة الخدر) من أبدع الكلام وأحسن ما يؤتى العقول الشعرى ولو قالها اليوم شاعر في لندن أو باريس بالمعنى الذي أراده امرؤ القيس - لا بما فسر لها به الباقلاني - لاستبدعت من قائلها ولا أصبحت مع القبلية على كل فم جميل . بل هم يرون في بعض بيانهم من طريق هذه الكلمة فيكنون عن البيت الذي يتلاقى فيه الحبيبان (بالعش) وما يتخذ العش إلا للبيضة . إنما عني الشاعر العظيم أن حبيبته في نعومتها وترفها ولين ماحولها ، ثم في مسها وحرارة الشباب فيها ، ثم في رقتها وصفاء لونها وبريقها ، ثم في قيام أهلها وذويها عليها ولزومهم إياها ، ثم في انصرافهم بجملة الحياة إلى شأنها وبجملة القوة إلى حياطتها والمحاماة عنها ، هي في كل ذلك منهم ومن نفسها كبيضة الجراح في عشه ، إلا أنها بيضة خدر . ولذلك قال بعد هذا البيت :

تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً على حراسا لو يسرون مقتلى
فتلك بعض معاني الكلمة وهي كما ترى ، وكذلك ينبغي أن
يفسر البيان م



كلمة المؤلف

قلبا نجد كتابا من كتب الادب أو التاريخ قديمها وحديثها خلا من ذكر امرئ القيس بن حجر ورواية شيء من شعره . وهو ذلك الشاعر الجاهلي الذي له خطره وجلاله في عصره والاحقاب المتعاقبة بعده . ولما كانت تلك الاخبار التي رواها الادباء والمؤرخون - على ما أرى - غررا متناثرة ودررا مبعثرة فقد رأيت أن أعمد إلى تلك الكتب التي قصت علينا شيئا من أنبائه - واستطاعت يدي الوصول إليها - فدرست ما جاء فيها عن ذلك الشاعر دراسة توافق مناهج البحث الحديثة . ثم وضعتها في كتاب على جملة أبواب وسميته (أمير الشعر في العصر القديم) وإني لا أرجو أن أكون قد وفقت إلى دراسته دراسة تحليلية تسد حاجتنا وتروى غلتنا

ولقد كان يودى بادیء الرأي أن أضع كتابا أسميه (دولة الشعر في العصر القديم) أعمد فيه إلى دراسة الشعر والشعراء في العصر الجاهلي دراسة تفصيلية تنم عن كل العوامل والمؤثرات في ذلك الشعر وأولئك الشعراء ولكنني وجدت أن هذا يحتاج إلى بضع مجلدات وزمن الدرس الآن لا يسعدني بذلك فأرجأت وضع تلك الدولة الشعرية إلى فرصة أخرى ولعاني أوفى في مستقبل حياتي إن امتد بي الأجل إلى تحقيق هذا الأمل والله المستعان

وإني لا أظن أن في الناس من يعرف ما لا أعرف والكamal لله وحده عليه توكلت وإليه أنيب

منهج البحث

قبل الاخذ في دراسة ذلك الشاعر يحمل بي أن ألم بشيء مما يجب أن يتبع في دراسة أى شاعر من الشعراء لا جعل ذلك وسيلة موصلة لا دخال روح الطمأنينة وبشاشة اليقين على عقول القارئين فهم أوردده عليهم في هذا البحث

أقول : إن ابن خلدون في مقدمته رسم الخطة التي يجب أن يترسها الباحث في أحوال الجماعات والمتعاطى للماربخ حياتها العامة . فأوجب عليه ألا يعتمد على مجرد النقل للأخبار من غير أن يتحاكم فيها إلى أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران ومذاهب الاجتماع

وعندى أنه يجب على الباحث في الأدب والشعر أن يتبع هذا المنهج مع إلمامه بشيء من الدراسات الضرورية لأجناس العلوم وقواعد الماسفة وأصول الأديان . ومع أخذه من كل فن طرف - كما يقولون - وأن يضيف إلى ذلك كله شيئاً من الشغف الدنى الذى يتصل بنفسه فيخلق فيها روح الأدب ويكون لها مزاج الأديب

وان كان للشعر صناعة وثقافة - كما يقول ابن سلام - فان البحث في الأدب أخرى أن يكون كذلك . وصاحب هذه الصناعة محتاج إلى بحث بكل فن حتى مائة وله الزادة في المآتم والمأشظة عند وة العروس

وقد لا يغنى عن مؤرخ الأدب والباحث فيه استحسانه لنوع منه عند نفسه وعلى قياس ذوقه إذا انحرف عن هذه الثقافة ولم يدخل في اعتبار تلك الصناعة . ولقد قال قائل لخلف الأحمر إذ سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما تقول فيه أنت وأصحابك . فقال له خلف الأحمر رأيت إذا استحسنت أنت درهما ثم قال لك الصيرف إنه ردىء أكان ينفعك استحسانك له ؟ . فأسكته . ولقد قال خلاد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيان - وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويهِ ويقولهُ - بأى شيء ترد هذه الأشعار التي تروى ؟ قال له هل تعلم أنت منها ما أنه مصنوع لا خير فيه ؟ قال نعم . قال أفتعلم في الناس من هو أعلم منك بالشعر ؟ قال نعم قال فلا تنكر أن يعرفوا سن ذلك ما لا تعرف أنت

وليس البحث في الشعراء مقصوراً على أن نصفه بأنه نظم هذه القصيدة البارة ، أوله تلك المعاني الرائدة ، ولا أن شعره كان رقيقاً أو حوشياً . ولا أن يقول مئى ولد ومئى مات ؟ ولكن البحث الصحيح المنتج يتناول هذا الشاعر فيضرب حوله نطاقاً من أحوال بيئته الاجتماعية والسياسية والطبيعية ، ويتعرف ما كان للوارثة والمخالطة من آثار ظاهرة في ما كانت ذلك الشاعر ، ويتنبع الحوادث التي كانت منبعاً لشعره ومورداً لقوله ، ويقف على حاله من حيث غناه وفقره ، ورفعته ووضعته ، وعزه وذله ، ونعمته وخشوعته ، وسراؤه وضراؤه ، وحضره وبدوته ، وحربه وسلبه ، وعلمه وجبله ، وكبره وصغره وكل ذلك له أثر في نفسية الشاعر

وشعره . فالناشيء بين بيئة راقية له مسلك في معانيه وبيانه وأخياته غير مسلك النابت بين السوقة . وكذلك شعر الشريف الناعم غير شعر الوضع البائس . وشعر الحاضرة غير شعر البادية . وشعر الشاب الصغير غير شعر الشيخ الكبير . وشعر المسالم الوادع غير شعر المحارب الثائر . وشعر الناسك الزاهد غير شعر الماجن العاهر ...

وقد لا يوفق الباحث إلى نقل الصورة المطابقة لحقيقة الشاعر إذا حاول أن يأخذه من كلامه وحده غير باحث عن العوامل التي أحاطت به فقد تحتجب نفسية الشاعر لأشور سياسية أو لشهوات خاصة أو لأغراض أملت على البيئة . والباحث يدور يبحث عن "شاعر في شعره" فلا يجد له إلا ظلاً ضئيلاً لا يكاد يحمل من حقيقة شينا بل قد لا يتصل بها في شيء وقد دلت التجربة مراراً على أن التباين قد يقع بين حقيقة الشاعر وبين ما يظهر في شعره . فأين حقيقة المعرى في قوله :

ألاح وقد أرى برقاً مليحاً سرى فأتى الحمى نضوا طليحاً^١
كما أغضى الفتى ليزوق غمضاً فصادف جفنه جفنا قريحاً^٢
إذا ما احتاج أحمر مستطيراً حسبت الليل زنجياً جريحاً^٣

(١) ألاح البرق أومض ولمع - سرى أى - ار ليلاً - انضوا المزلزل من السفر - الطليح المتعب

(٢) الفريح الجريح

(٣) احتاج أى ثار - مستطيراً منتشراً

وقوله :

ولاح هلال مثل نون أجادها بجارى النضار الكاتب ابن هلال^١

وأين حقيقة بشار فى قوله :

كان مشار النقم فوق رموسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكب^٢

ونحن نعلم أن كل منهما كان أعمى كفيف البصر

بل أين حقيقة بشار فى قوله :

إن فى بردى جسما ناحلا لو توكت عليه لاهدم^٣

ونحن نعلم أنه كان ضخم الجثة طبق لحما واكتنز شعما . ولكن الباحث

إذا قتش عن تلك المؤثرات القائمة التى دعت الشاعر إلى أن ينتحى هذا

المنحى ويسلك هذا المعنى . علم أن تلك النفس الشاعرة تحدثت بغير خاطرها

وتنكرت فى صورتها وابست ثوبا غير زيبا

(١) البصار الذهب

(٢) النقم العمار

(٣) الرد المتوب

أسرة امرئ القيس

يتصل نسب امرئ القيس بملوك كندة و كندة بطن من كهلان بن
سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وأصاهم من البحرين والمشقر ، ثم
أجلوا عنها في زمن لا يمكن تحديده وقد أقاموا هناك حيناً من الدهر على
عهد التابعة الحميرين ، وكانت إقامتهم في بلد عرف باسمهم « كندة » مرتفع
عن الأرض ومشرف على حضرموت . ثم تحولوا إلى مهرة وأقاموا بدمون
قصبها الكبرى ، وكانوا على وفاق مع التابعة الحميرين وهؤلاء الآخرون
اتخذوا منهم بطانة وأعواناً ، وأدخلوهم في حاشيتهم ، واستخدموا خاصتهم
وكبراهم في بعض مصالحهم - وقد ضاع أكثر أخبارهم - وأقدم من
عرفت أخباره منهم حجر الملقب بآكل المزار وقد تولى حجر هذا ملك
بعض القبائل العدنانية بنجد في أوائل القرن الخامس الميلادي . وخبر ذلك
أنه حين غلب سقهاء بكر عقلاءها على أمر القبيلة وأكل القوى منهم الضعيف
وتقاطعت أرحابهم قدشاور رؤسائهم فيما بينهم وقالوا الأفضل إلينا أن نملك
علينا ملكاً نعطيه الشاة والبعر ويأخذ للضعيف من القوى ويرد على المظلوم
ماسلبه منه ظالمه ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا حتى لا يطيعه قوم ويخرج
عليه آخرون فتفسد ذات بيننا وإسكتنا تأتي تبع اليمين (حسانا) فملكه
علينا . فقصدوه وذكروا له أمرهم فملك عليهم حجراً آكل المزار لأنه كان

ذارأى ووجهه. فقدم حجر إلى نجد ونزل بيطن عاقل ثم توجه ببني بكر بن وائل إلى ملوك الحيرة اللخمين وهم المناذرة فغزاهم بهم وغلبهم على أمرهم وردهم عما كانوا امتدكوه في نجد لاسيما بلاد بكر بن وائل ثم غزا بهم أيضا ملوك الشام وهم الغساسنة وانتصر عليهم فأحبته بكر واجتمعت كلمتها على احترامه وطاعته . ومارال كذلك حتى مات فيهم ودفن بينهم وله من الولد عمرو ومعاوية الجون وقد قيل أنه خرف في آخر حياته

أما سبب تسميته بآكل المزار فإنه كان قد سار بجنده لغزو ربيعة وكان في أيامه رجل يقال له زياد بن الهبولة بن عمرو القضاعى - رئيسا لقوم من العرب بأطراف الشام - فلما سمع بغيته حجر وجيشه أغار على ديارهم وأخذ كثيرا من أموالهم وسبي غير قليل من نسايتهم . وكانت إحدى السبايا امرأة حجر وهى هند بنت ظالم . ولما بلغ حجر خبر إغارة زياد ارتد عن غزوربيعة فى طلب غريمه ابن الهبولة . وتعجل من جند حجر عمرو بن معاوية وعوف ابن محلم الشباني وقالوا لحجر إنا متعجلان إلى زياد لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب فلقياه دون عين أباغ فكلمه عوف بن محلم وقال له ياخير الفتيان اردد على أمراى أمامة فردها عليه وهى حامل - فولد له بنتا أراد عوف أن يثدها فاستوهبها منه عمرو بن معاوية وقال لعلها تلد أناسا فسميت «أم أناس» وتزوجها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المزار فولدت عمرو ويعرف بابن أم أناس - ثم إن عمرو بن معاوية قال لزياد أيضا وأنا ياخير الفتيان أردد على ما أخذته من إبل فردها عليه وفيها فحلها فجازعه الفحل إلى الإبل فصرعه

عمر و فقال له زياد لو صرعتهم يابني شيبان الرجال كما تصرعون الال
لكنتم أتم أتم . فقال له عمرو : لقد أعطيت قليلا ، وشتمت جليلا ، وجررت
على نفسك ويلا طويلا . ثم ركض حتى صار إلى حجر فأخبره الخبر فأقبل
حجر في أصحابه حتى إذا كان بمكان يقال له الحفير . وهو دون عين أباغ .
بعث سدوس بن شيدان وصليح بن عبد غم يتجسسان له الخبر ، ويعلمان علم
العسكر فخرجا حتى وصلا إلى عسكر زياد ليلا وقد أوقد نارا ونادى منادله
من جاء بحزمة من حطب دله فدرة^(١) من تمر . فاحتطب سدوس وصليح ثم أتيا
به إلى ابن الهولة وطرحاه بين يديه فناولهما من التمر وحلسا قريبا من القبة
ثم إن صليعا قال هذه آية وعلم ما يريد فأنصرف إلى حجر وأخبره بأمر زياد
وعسكره وأراه التمر . أما سدوس فقال لأبرح حتى آتني بأمر جلي ، وجلس
مع القوم يسمع ما يقولون . ولما انقضى شطر من الليل أقبل رجالات من
أصحاب زياد يحرسونه وقد تفرق أهل العسكر في كل ناحية ، ودنا سدوس
من القبة متخفيا بحيث يسمع ويرى فأذا بزياد قد دنا من هند امرأة حجر .
فقبلها وداعبها وقال لها ما ظلك الآن بحجر ؟ فقالت ما هو ظن ولكنني يقين ،
إنه والله لن يدعك حتى تدع القصور الحرة ، وكانني به في فوارس من بني
شيبان يذمرهم^(٢) ويدمرونه ، وهو شديد الكلب^(٣) السريع الطلاب تزبد شفتاه كأنه
بعير آكل مرار ، فالنجاء النجاء فأثّر وراءك طالبا حثيثا وجمعا كثيفا وكيدا
متينا ورأيا صليبا . فرفع زياد يده ولطمها ثم قال لها ما قلت هذا إلا من
عجبك به وحبك له . فقالت والله ما أنغضت أحدا بغضى له ، ولا رأيت

(١) الدرّة القطاة والكلمة من كل شيء (٢) يذمرهم يحرمهم على القتل (٣) الكلب العصب والاسف

رجلا أحزم منه نائما ومستيقظا ، إن كان لتنام عينه فبعض أعضائه مستيقظ . لا ينام . قال كيف ذلك ؟ . قالت كان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عسا من لبن . فبينما هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه إذ أقبل أسود سالخ^١ إلى رأسه فنهض رأسه ، فقال الثعبان إلى يده فقبضها حجر ، فقال إلى العس فشربه ثم مجه . فقلت في نفسي يستيقظ الرجل ويشربه فيموت فأستريح منه . ولما استيقظ من نومه قال علي بالآناء ، فتأولته إياه فشمه ثم أهرأقه على الأرض . وقال أين ذهب الأسود يا هند ؟ فقلت مارأيته فقال كذبت .

ذلك الحديث الذي تَقصه هند على زياد بن الهبولة يسمعه سدوس ويُعيه . فلما نامت الإحراس خروج سدوس يسرى ليلته حتى صبح حجر فقال له : — .

أتاك المارجفون بأمر غيب على دخل وجئتكَ باليقين
فمن يك قد أتاك بأمر لبس فقد آتى بأمر مستبين
ثم قص عليه جميع ما سمع ورأى . فجعل حجر يعبث بالمرار يأكل منه وهو غضبان محنق لا يشعر أنه يأكله من شدة ما أصابه من الغيظ والكمد فسمى يومئذ بآكل المرار . ثم أمر حجر فتودى في الناس بالرحيل فساروا إلى عسكر زياد وأقتلوا وإياهم قتالا شديدا وكان النصر حليف حجر وأجناده ، واستنقذت بكر وكعدة ما كان بأيدي أعدائهم من الغنائم والسبايا وعرف سدوس زيادا وحمل عليه فاعتنقه وصرته وأخذه أسيرا . فلما رأى

(١) العس الآناء (٢) الأسود السالخ من ذكور الحيات العظام

ذلك عمرو بن معاوية حسد سدودا على هذا فباعن زيادا فأراد قتيلا حتى لا ينفرد سدوس بالفخر دونه فغضب سدوس من ذلك الفعل وقل لصاحبه قتلت أسيرى وديته دية ملك !! .. ثم تحكما إلى حجر فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك وأعانهم من ماله . وأخذ حجر زوجته هند فربطها في فرسين ثم ركضا بها حتى قطعت إربا إربا وهزقت ثمر ممزقا ويقال إن حجرا أحرقها وقال فيها :-

لمن النار أوقدت بحفير لم ينم عنه مصطل مقرر^٢
أوقدتها هند الهنود وقالت أنت ذا موثق وثاقا أسير
إن من غرم النساء بشيء بعد هند لجاهل مغرور
حلو القول والحديث ومر كل شيء أكن منها الضمير
كل أنثى وإن بدالك منها آية الحب حبيها خيشعور^٣

(١) وجاء في رواية أخرى أن حمرا سبي آكل المرار لأنه لما أذاه المر بأن (الحارث بن جبلة) كان نائما في حجر امرأته هند وهي تغليه جعل يأكل المرار - وهو نبت شديد المرارة - من الغيط وهو لا يدري ويقال بل قالت هند للحارث وقد سألتها ما ترى حجرا فاعلا . قالت كأنك به قد أركك في الخيل وهو كأنه بعير قد أكل المرار

وسواء لدينا أكان صاحب القصة مع حجر وزوجته هو زياد بن المهولة أم الحارث بن حبة وأن القصة في ذاتها ومع تعدد روايتها تدل في مجلتها على أن السب في تسمية حجر بأكل المرار ما كان من روحته وحقها هوها مع عدوه

(٢) المصطلح المسدق والمعروف الذي أصابه البرد (٢) الخيشعور الغمر الذي لا يدرم على حال

وحكم كندة بعد حجر ابنه عمر المقصور الذى اقتصر على ملك والده
أما معاوية الجون بن حجر فلقد كان ملكا على اليمامة
وتولى حكم كندة بعد المقصور ابنه الحارث بن عمر بن حجر ومكث فى الملك
خمسين عاما (٤٩٠-٥٤٠ م) وكان شديد البأس ذائع الصيت كبير المطامع وفى
أيامه فتح الأحباش الين وقضوا على دولة حمير فضعف شأن كندة لأنها كانت
حليفها ومن خير أعوانها وأنصارها ، ولكن الحارث كان سياسيا حازما
وملكا بعيد النظر فلم يغفل عن إعزاز مملكه وتقوية سلطانه . فولى وجهه
شطر الآكاسرة كى يتخذ منهم أحلافا يشدون أزره ويقرون ساعده ، وكان
الحارث هذا يحسد الأخمين على تقربهم من الآكاسرة وأحب أن تكون
تلك المكانة له من دون الأخمين ملوك الحيرة ، فما زال يترقب الفرص
ويتمى للأمر حتى تنكر كسرى قباذ ملك الفرس للمندر بن ماء السماء ملك
الحيرة بسبب المزدكية . فأن المنذر جلس على العرش فى أواسط حكم قباذ
وظهر فى أثناء ذلك (مزدك) ذلك الرجل الزنديق الذى ذهب إلى إباحة
الأموال والحرم ، ودعا الناس إلى مذهبه فدخل فيه قباذ وتعصب لصاحبه
وحمل رجاله على اعتناقه راجيا أن يستولى بذلك على ما بأيدي رعيته من
الأموال . فتار الأشراف فى وجهه ، وأكبر المنذر هذه البدعة وأبى الدخول
فيها ومناصرة أشياعها ، فغضب عليه قباذ وشرده واستعان عليه بدولة كندة
وانتهز الحارث الكندى هذه الفرصة فوافق قباذ على المزدكية وشايعه عليها

ابتغاء الوصول إلى غاياته ؛ ثم غزا الحيرة وأخرج منها المنذر^١ وبذلك أصبح الحارث السكندى مائكا على الحيرة ، فمظم في أعين القبائل وجعلوا يتقربون إليه ويفدون عليه ، يقدمون له الطاعة ويظهرون الولاء . ولما تفاسدت قبائل نزار وبدت بينهم العداوة والبغضاء ودب فيهم ديب الفساد وآل أمرهم إلى التدابر والتخاذل ، أتى أشرافهم الحارث فقالوا له إنا نخاف أن تتفانى مما يحدث بيننا فوجه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض . فأجابهم إلى ما طلبوا ، وفرق أولاده في القبائل ، فجعل ابنه - سجر - والد امرئ القيس - ملكا على بني أسد وغطمان . وملك ابنه شرحبيل الذي قتل يوم الكلاب الأول على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني دارم من تميم والرياب ، وملك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بن حنظلة والصنائع وهم بنو رقية . وملك ابنه عبد الله على بني عبد القيس وأمر ابنه سلمة على بني قيس

بيد أن الحال لم تدم للحارث بن عمرو بل غلبه الفدر وتنكر له الدهر فنكب في ملكه وعزته ولم يطل سلطانه على الحيرة فما هو إلا أن مات قباز

(١) هذا ويعلم القارىء أن المدركا روحا لهذا السكندى أى أنه كان بين المدر والحارث قرابة المصاهرة ولكن ذلك لم يحل دون مبارعتهم وإشعال الحروب بينهم وهذا يوقعا على مدى القطيعة التي كانت بين القبائل العربية الحاملة قل أن يلم الأسلام شعثا ويجمع تسبيها ويجعل منها وحدة قومية وحرية قوية

وتولى بعده أنوشروان وكان حانقا على المزدكية متبرما من مسلك أبيه ،
فلقد كانت أمه يوما بين يدي والده قباذ فدخل عليه مزدك الزنديق فقال
لقباذ ادفع إلى زوجتك لأقضى منها حاجتي فقال له قباذ دونسكها . فوثب
أنوشروان إلى مزدك وطلق يتغمرع إليه وما زال به يستمطفه ويرتجيه أن
يرجع عن أمه ويكف عما يريد أن يفعله معها حتى وصلت به الحال أن قبل
رجله فتركها مزدك وكانت تلك في نفس أنوشروان . فلما جاس على سرير
المملك وفد الناس عليه وكار فيهم مزدك ثم دخل عليه المنذر فقال أنوشروان
لجلسائه إني كنت تمنيت أمنيتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لي
فقال مزدك وما هما أيها الملك ؟ قال تمنيت أن أملك فأستعمل هذا الرجل
الشريف (بريد المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة (يريد مزدك وأشياعه)
فقال مزدك أوتستطيع أن تقتل الناس كلهم ؟ فقال له أنوشروان إنك
لهنا يا ابن الزانية والله ماذهب من ريح جوربك من أنفى منذ قبلت
رجلك إلى يومى هذا ، وأمر به فقتل وصاب وأمر بقتل الزنادقة فقتل
منهم ما بين حاذر إلى النهر وان إلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق
وصلبهم ، ثم أرجع المنذر إلى عرشه وغضب على الحارث بن عمرو - الذى
تابع أباه قباذ على الزندقة حتى ولاه مكان المنذر - وجداً في طلبه فبلغ الحارث
ذلك وهو بالأثبار وكان بها منزله فخرج هارباً بماله وهجائه وأهله ، فتبعه
المنذر على خيل من تلعب وإياد وبهراء فلحقوا الحارث بأرض كلب (بين
الحجاز والعراق) فاتموا ما له وهجائه وساقوا معهم ثمانية وأربعين نفساً

من بنى آكل المرار فيهم عمرو ومالك من ولد الحارث فقدم بهم على المنذر
فضرب رقابهم في ديار بني مرينا وفي ذلك يقول امرؤ القيس :-

ملوك من بني حجر بن عمرو يسافون العشية يقتلوننا

فلو في يوم معركة أصبوا ولكن في ديار بني مرينا

ولم يغسل جماجمهم بغسيل ولكن في الدماء مرملينا^١

تظل الطائر عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

وجاء في الأغاني أنه في ذلك يقول عمرو بن كلثوم التغلبي

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك صفدينا^٢

أما الحارث فإنه نجا بنفسه وما زال هائما على وجهه حتى وافته منيته في
بني كلب. وأختلفوا في موته . فقالت كلب نحن قتلناه ، وقالت كندة إنما خرج
للصيد فألظ^٣ بتيس من الظباء فأعجزه فألى على نفسه ألا يأكل إلا منه فطلبت
خيله الظبي ثلاثة أيام ثم جرى به إليه وقد هلك جوعا فشوى له بطنه فالتهم
فلذة من كبده وهي حارة كان فيها حتفه . ونحن نميل إلى أن بني كلب هم
قاتلوه ، على أن كلتا الروايتين تحدثنا أن منيته كانت في ديار بني كلب

وبعد أن هلك الحارث تشتت أمر بنيهِ وتفرقت كلمتهم فلقد سعى
المنذر بينهم بالوشاية حتى بدت بينهم العداوة والبغضاء وتحاسدوا وتحاذلوا
وتفاقم الأمر فجمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وكان من أثر ذلك أن
سلمة بن الحارث قاتل أخاه شرحبيل في معركة تعرف يوم الكلاب

(١) الرمل الملتح بالدم (٢) مصعدين موثقين (٣) التلاط التلارد

الأول وكان سلمة هذا جعل جعلاً من يقتل أخاه فقتله رجل يقال له أبو حنش وأحترق رأسه وبعث بها إلى سلمة مع ابن عم له يسمى أبو أجأ بن كعب بن مالك بن غياث فألقاها بين يديه فقال له سلمة لو كنت ألقىها إلقاء رقيقاً . فقال ما صنع به وهو حى أشد من هذا وعرف أبو أجأ الندامة في وجه سلمة والجزع على أخيه بعد أن علم أن المنذر هو المسبب لهذا كله فهرب أبو أجأ وهرب أبو حنش وقال سلمة يرثي أخاه وفيها يظهر الندامة :

ألا أبلغ أبا حنش رسولا فمالك لا تجيء إلى الثواب
تعلم أن خير الناس طرا قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جعاسيس الرباب^١
قتيل ماقتيلك يا ابن سلمى تضربه صديقك أو تحابي
فأجابه أبو حنش :

أحاذر أن أجيتك ثم تحبو حباء أهلك يوم صنيعات
وكانت غدرة شنعاء تهفو تقلدها أبوك إلى الممات

وقال معديكرب بن الحارث المروفي بغلفاء - وكان مسالماً معتزلاً عن

جميع هذه الحروب - يرثي أخاه شرحبيل :

إن جنبي عن الفراش لنابي كتجاني الأسير فوق الظراب^٢
من حديث نبي إلى فلا تر قاعيني ولا أسينغ شرابي
مرة كالزعاف أكتمها لنا س على حر ملة كالشهاب
من شرحبيل إذ تعاوره الأثر ماح في حال لذة وشباب

(١) تداعت محمداً وأسلمه حذله والجعاسيس القصر الديميم (٢) الطراب مائتاً من الحجارة

يا ابن أمي ولو شهدتك إذ تدعو تميميا وأنت غير مجاب
لتركت الحسام تجري ظباه من دماء الأعداء يوم الكلاب
ثم طاعت من ورائك حتى تبلغ الرحب أو تبز ثيابي
يوم ثارت بنو تميم ووات خيلهم يتقين بالأذنان
ويحكم يابني أسيد إني ويحكم ربكم ورب الرباب
أين معطيكم الجزيل وحايكم على الفقر بالمشين للباب
فارس يضرب الكتبة بالسيف على نحره كنضج المذاب
فارس يطعن الكماة جرى تحته قارح كلون الغراب

وخرج سلمة من تغلب والتجأ إلى بكر بن وائل فأذعنت له . فبعث إليهم
المنذر يدعوهم إلى الطاعة فأبوا فخلف ليسيرن إليهم فان ظفر بهم ليدبجهم
على قمة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض وسار إليهم في جموع كثيرة
فقاتلوه فهزمهم وأسر منهم يزيد بن شرحبيل الكندي وأمر به فقتل ،
وقتل في المعركة خاق كثيرون وأسر المنذر من بكر عددا كبيرا أمر بدبجهم
وكان ذلك بنجد حوالى سنة ٥٤٨ م

وبهلاك سلمة وشرحبيل ضعف شأن الباقيين من أبناء الحارث الكندي
وهم حجر ومعد يكرب وعبد الله ، حتى أن بني أسد تنكروا للحجر وأظهروا
له العداء وتابعهم في ذلك غطفان لأنه لم يحسن سياستهم فقد ضرب عليهم
إتاوة أثقل بها كاهلهم والكنهم كانوا يؤدونها له على مضض مادام في عز
بأبيه وأخوته ، فلما علموا بنكبة أبيه وموته أولا ، وتطاحن أخويه وهلاهما

ثانيا ، أظهروا له العصيان وامتنعوا عن أداء الأتاوة وضربوا رسله ، وحجروا يومئذ بنهامة وظنوا أنهم قادرون عليه ، ولكنه جلب عليهم بخيله ورجله وجرد لهم سيفه واستعان عليهم بأجناده من ربيعة وأجناد أخيه من قيس وكنانة وزج بطائفة من أشرافهم في غياهب السجن وسامهم الذل وأنواع النكال ، وحرّم على فريق منهم المقام بنجد فارتحلوا إلى تهامة . بيد أنه لم يطل عليهم أمد هذا الهوان فأن عبيد بن الأبرص استعطف حجرا وهو في سجنه بقصيدة كانت شفاعته لقومه لدى الملك وفيها يقول .

يا عين فابكى مابنى أسد فهم أهل الندامة
أهل القباب الحمر والنعم المؤبل والمدامة^١
وذوى الجياد والجرد والأسل المثقفة المقامة^٢
مهلا أيّت اللعن مهلا إن فيما قلت آمة^٣
في كل واد بين يشرب فالقصور إلى القيامة
تطريب عان أوصيا ح محرق أو صوت هامة
ومنعتهم نجدا فقد حلوا على وجل تهامة
برمت بنو أسد كما برمت ببيضتها الحامة^٤
... جعلت لهم عودين من نشم وآخر من ثمامة
إما تركت تركت عفوا أو قتلت فلا ملامة
أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة
ذلوا لسوطك مثل ما ذل الأشيقر ذو الخزامة

(١) المؤبل المكل (٢) الأسل الرماح والنبل . المثقفة المقومة المساواة (٣) الآمة العيب (٤) برمشم وضجر

فأطلق الملك سيولهم وعفا عنهم ولكنهم يَضْمرون العداوة والبغضاء
لحجر وأصحاب حجر لما أصابهم من هذا الذل وذلك الحوان قتلوا
عليه وركبوا كل صعب وذلول ويتولوا له الشر وائتمروا على قتله وكان
حجر قد بعث في إثرهم كي يقبلوا عليه بعد فك إسارهم فساروا إليه حتى إذا
كانوا على مسافة يوم من تهامة تسكن لهم كاههم وهو عوف بن ربيعة
الأسدي فقال لهم من الملك الأصهب، الغلاب غير المقلب، في الأبل كاهها
الربرب، هذا دمه يتشعب، وهو غد أول من يسلب. قالوا من هذا؟ قل
لولا أن تجيش نفس جاشية، لا أخبرتك أنه حجر ضاحية. فما أدبر الليل
وأسفر الصبح حتى جاءوا عسكر حجر وهجموا على قبته وأقبل علباء بن
الحارث الكاهلي - وكان حجر قد قتل أباه فطعنه من خلفهم فأصاب
نساء فقتله وحينئذ قالت بنو أسد يامعشر كنانة وقيس أنتم إخواننا وبنو
عمنا والرجل ليس منا ولا منكم وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه
فانتبهوهم إنهم ما كوالون ثم شدوا على هجائمه فزقوها ولفوه في ريطة
بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق وانتهبت قيس وكنانة أسلابه

. وقيل إن بني أسد ناهضوه القتال فلم يلبثوا أن دزموا أصحابه وأخذوه
أسيرا ثم حبسوه ريثما يتشاورون في قتله فلما رأى ذلك علباء بن الحارث
خشى أن ينجو حجر منهم فدعا غلاما من بني كاهل هو ابن أخته - وكان
حجر قد قتل أباه - وقال يا بني أعنيك خير فتأربأ بك وتنال شرف
الدهر وإن قومك لن يقتلوك. فلم يزل بالعلام حتى أحسسه ودفع إليه

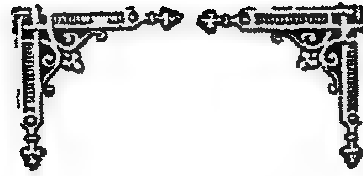
حديدة قد شحذها وقال له ادخل عليه مع قرمك ثم اطعنه في مقتله
فعمد الغلام إلى الحديدة فأخباها ثم دخل على حجر في قبته التي
حبس فيها ، واتهرز الغلام غفلة من قومه ثم وثب عليه فضربه ضربة
مميتة كان فيها هلاكه فوثب القوم على الغلام يريدون الفتك به ، فقال
إنما تأرت بأبي تفلوا عنه

وهناك روايات أخرى في مقتل حجر ذكرها الرواة ولا يمكنها
في جملها تتفق على أن بني أسد هم الذين قتلوه وأوردوه
سوارد الموت

وكان حجر في ساعة احتضاره أوصى ودفع كتابه إلى رجل يثق به
من بني عجل يقال له عامر الأعور وقال له انطلق إلى ابني نافع - وكان
أكبر أولاده - فأن بكى وجزع فآله عنه واستقر أولادى واحدا واحدا
حتى تأتى امرأ القيس - وكان أصغرهم سنا - فأبهم لم يحزع فادفع إليه
سلاحى وخيلى ووصيتى وكان قد بين فى وصيته من قتله وكيف
كان خبره فانطلق الرجل بالوصية إلى نافع فأخذ التراب فوضعه على
رأسه ، ثم جاءهم واحدا واحدا فكلهم جزع وفعل مثل ما فعل نافع حتى
أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه الترد فقال له
عامر الأعور قتل حجر فلم يلتفت إليه امرؤ القيس ، وأمسك نديمه
عن اللعب فقال له امرؤ القيس اضرب فضرب حتى إذا فرغ فقال ما كنت
لأفسد عليك درستك ، ثم سأل الرسول عن أمر أبيه فقص عليه

القصص فقال الخمر والنساء على حرام حتى أقتل من بنى أسد مائة وأجز
نواصي مائة وفي ذلك يقول :

أرقت ولم يأرق لما بي نافع وهاج لي الشوق الهموم الروادع
وبذلك أصبح امرؤ القيس أحق بملك والده وأجدر بالأخذ بثأره
حسب وصية أبيه حجر



مولد امرئ القيس

وشاعريته المتوارثة

ليس يصح لدى النظر الصادق أن يكون ما عرف به امرؤ القيس
من براعته في الشعر ونبوغه في القريض جاءه على غير إرث من آباءه
وأجداده بل لابد أن يكون جاريا في ذلك على عرق من عروقهم وسليقة
من طبائعهم فعمومته شعراء وخنولته شعراء والشعر وإن كان سليقة في
النفس إلا أن الوراثة لها أثر كبير في تلك السليقة الشاعرية وقل أن
نجد شاعرا ليس في أحد من أصوله مائة الشعر . ولقد رأينا في نسب
امرئ القيس من جهة أبيه شاعرية متوارثة في أجداده وعمومته الذين
تلقوها كابرا عن كابر وذكرنا من شعر جده حجر الملقب بآكل المراتق قوله

لم ينم عنه مصطل مقرور لمن النار أوقدت بحفير
أوقدتها هند الهنود وقالت أنت ذا موثق وثاقا أسير
إن من غره النساء شيء بعد هند لجاهل مغرور
حلمة القول والحدث ومر كل شيء أكن منها الضمير
كل شيء إن وبدالك منها آية الحب حبها خيشعور
ومن شعر عمه سلمة يرثي أخاه شرحبيل ويندم على ما فرط في جنبه
ألا أبلغ أبا حفش رسولا فذاك لا تجيء إلى الثواب
تعلم أن خير الناس طرا قتيل بين أحجار الكلاب

(١) وردى بعضهم هذا الشعر لعمه مع يكره

تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جماسيس الرباب
قتيل ماقتيلك يا ابن سلى تضر به صديقك أو تحبني
ومن شعر عمه معذيكرب يرثي شرحبيل أيضا

إن جنبي عن الفراش لنأني كنتجاني الأسير فوق الظراب
من حديث نمي إلى فلا تر قأعيني ولا أسيع شرابي
مرة كالزعاف أكتمها النامس على حر ملة كالشهاب
من شرحبيل إذ تعاوره الأرماح في حال لذة وشباب
يا ابن أمي ولو شهدتك إذ تدعو تمها وأنت غير مجاب
لتركت الحسام تجرى ظاه من دماء الأعداء يوم الكلاب
ثم طاعت من ورائك حتى تبلغ الرحب أو تبر ثيابي
يوم ثارت بزود تميم وولت خيلهم يتقين بالاذناب
ويحكم يابني أسيد إني ويحكم ربكم ورب الرباب
أين معطيكم الجزيل وحايكم على الفقر بالمئين اللباب
فارس يضرب الكتبية بالسيف على نحره كنضج المذآب
فارس يطعن الكفاة جرى تحته قارح كلون الغراب

أما ميراث امرئ القيس الشعري من جهة أمه فإن خاله مهمل بن
ربيعة التغلبي الذي قال عنه بعض الرواة إنه همل الشعر ونقله من المقطعات
إلى المطولات : وإنا لنجد في شعر المهمل بلاغة فياضة وفصاحة تنجاب
دوتها السنة المقاول. ومن قصائده:-

أليتنا بذى جسم أنيرى إذا أنت انقضيت فلا تحورى^١
فأن يك بالذائب طال ليلي فقد أبكى من الليل القصير
وأنقذنى بياض الصبح منها لقد أنقذت من شر كبير
كأن كواكب الجوزاء عوذ مطفة على ربع كسير^٢
كأن الجدى فى مثاه ربق أسير أو بمنزلة الأسير^٣
كأن النجم إذولى سحيرا فصال جلن فى يوم مطير^٤
كواكبهاز واحف لا غبات كأن سماءها بيدي مدبر^٥
كواكب ليلة طالت وغمث فهذا الصبح راغمة فغورى
وتسألنى بديلة عن أيها ولم تعلم بديلة ماضيرى
ويقول فيها أيضا مشيرا إلى حرب البسوس التى كانت بين بكر وتغلب
فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذائب أى زير^٦
يوم الشعثمين لقرعينا وكيف لقاء من تحت القبور
وإنى قد تركت بواردات بجيرا فى دم مثل العبير
هتكت به بيوت بنى عباد وبهض القتل أشفى للصدور
وهمام بن مرة قد تركنا عليه القشعمين من النسور
ينوء بصدرة والريح فيه ويخاجه خذب كالبعير^٧
على أن ليس عدلا من كليب إذا طرد اليتيم من الجزور

١ ذى جسم موضع تحورى ترجمى ٢ العوذ الحاديثات التاج . والربع مانج فى الربيع ٣ المتساء المتى .
والريق الجبل ٤ النجم الثرى ٥ الزواحف المعينات التى لا تقدر على النهوض واللاغات مثلها ٦ يقال هو زير
نساء إذا كان يتحدث اليهن ويتبعن ويمواهن ويخالهن ٧ ينوء ينهمش ويحمله يحزنه و الخذب الضخم

على أن ليس عدلا من كليب إذا رجف العضاء من الدبور^١
على أن ليس عدلا من كليب إذا ماضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب إذا خيف المخوف من الثغور
على أن ليس عدلا من كليب غداة بلابل الأمر الكبير
على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت مخبأة الحدود
على أن ليس عدلا من كليب إذا علنت نجيات الأمور
فدى لبنى الشقيقة يوم جاؤا كأسد الغاب لجحت في الزئير
كأن رماحهم أشطان بر بعيد بين جاليها جرور^٢
فلا وأبى جليلة ما أفانا من النعم المؤبل من بعير^٣
ولكننا نهكنا القوم ضربا على الأثباج منهم والنحور^٤
قتيل ماقتيل المرء عمرو وجساس بن مرة ذو ضرير
تظل الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل تدحض في غدير
كأنا غدوة وبنو أيننا بجنب عنيزة رحبا مدير
فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض يقرع بالذكور^٥
ومن شعر المهمل أيضا يرثى أخاه طيبا ويتوعد أعداءه
إن تحت الأبحار حزماء وعزما وقتيلا من الأراقم كهلا
قتلته ذهل فلست براض أو نبذ الحيين قيسا وذهلا
ويطير الحريق منا شرارا فينال الشرار بكر وعجلا

١ رجف تحرك حركة شديدة والعضاء كل تنجر له شوك ٢ الأشطان الحبال وجمال البئر وجولها ناحيتها
وما يحبس الماء منها ٣ أفانا رجعتنا ٤ الأثباج الأواسط ٥ بهذا البيت قالوا إن المهمل أول من كذب في شعره

قد قتلنا به ولا ثار فيه أو نعم السيوف شيان قتلا
ذهب الصلح أو تردوا طليبا أو تحلو على الحكومة حلا
ذهب الصلح أو تردوا كليا أو أذيق الغداة شيان ثكلا
ذهب الصلح أو تردوا كليا أو تنال العداة هونا وذلا
ذهب الصلح أو تردوا طليبا أو تذوقوا الوبال وردا ونهلا
ذهب الصلح أو تردوا كليا أو تميلوا عن الحلائل عزلا
أو أرى الفتل قد تقاضى رجالا لم يميلوا عن السفاهة جهلا
إن تحت الأحمجار والتراب منه لدفينا علا علا وجلا
عز والله يا كليب علينا أن ترى هامتي دهانا وكحلا
ومن شعر كليب أخى المهملل وخال امرئ القيس أيضا قوله يفتخر
ويذ كر واقعة خزاز التي كانت بين المضريين واليمنيين قوله

لقد عرفت قحطان صبرى ونجدتى غداة خزاز والحقوق دوان
غداة شفيت النفس من ذل حمير وأورثتها ذلا بصدق طعانى
زلفت إليهم بالصفائح والقنا على كل ليث من بنى غطفان
ووائل قد جذت مقادم يعرب فصدقا فى صخرها الثقلان
وقال كليب أيضا بعدما قتل ليبد بن عنبسة

إن يكن قتلنا الملوك خطاء أو صوابا فقد قتلنا لييدا
وجعلنا مع الملوك ملوكا بجياد جرد تقل الحديددا
نسر الحرب بالذى يجمع لنا من به قومكم ونذكى الوقودا

أو تردوا لنا الأتابة والفىء ولا نجعل الحروب وعيدا
إن تلبى عجائز من نزار فأراني بما فعات مجيدا
ومن شهر ربيعة الزهراء أخت كليب ومهمل وخالة امرئ القيس قولها
تعرض أجاها كليا على زوجها لبيد بن عنبسه^١
ما كنت أحسب والحوادث جمة أنا عبيد الحى من تحطان
حتى أتتى من لبيد لطمه فعشت لها من وقعها العينان
إن ترض أسرة تغلب إبنة وائل تلك الدنية أو بنو شيبان
لا يرحوا الدهر الطويل أذلة هذل الأعنة عند كل رهان
ذلك الشعر وغيره لعمومة امرئ القيس وخثولته أيضا يوقفنا على
بلاغتهم وشدة عارضتهم . ولا غرو بعد هذا إذا وجدنا امرأ القيس ينشأ
شاعرا مفاقا حاد القريحة ذكى الفؤاد فان العرق دساس وهو مخول معم فى
شاعريته ، تلقى من قبل أبويه ذلك الفيض الذى لا ينضب معينه وتلك
الشاعرية التى أتت دلاء وجات ، فكان من ذلك كله مدد لشعره ، وهورد
لقوله ، ومنبع لفصاحته ، ومنهل لبيانه

(١) كان لبيد بن عنبسة هذا زوج الزهراء وعامل ملوك كعدة قد ثقلت وطأته على بنى ربيعة فتنا وجبر
وأخذ فيهم بالعنف والظلم وأساء المباشرة بينهم فزحروه فلم يزحروه وهو يزدد جورا . فانكرت عليه زوجته
يوما صنعه بنى ربيعة فقال لها ما بال أخيك يتعمر باضر ويتهدد الملوك كأنه يمز بنيرهم . فقالت ما أعرف
أعز من كليب وهو كفؤ لها ففضب لبيد ولطمها على وجهها لطمه أعشت عينا غرجت باكية إلى كليب وهى
تقول : ما كنت أحسب والحوادث جمة . الخ فلما سمع كليب قولها ورأى ما بها من أثر اللطم أخذته الحمية وسار
إلى أبيات لبيد فجم عليه وعلا رأسه بالسيف فقتله وعلى أثر ذلك شبت حروب بين اليمنيين والمضربين منها
واقعة خزاز وواقعة السلان

ولقد كانت ولادة ذلك الشاعر التاريخي العظيم في أوائل القرن السادس الميلادي وفي شعراء النصرانية أنه ولد عام ٥٢٠ م أى قبل الهجرة بنحو مائة سنة وجاء في الشهاب الراصد أن ريزان ذكر في كتابه تاريخ اللغات السامية أن امرأ القيس أقدم شعراء المعلقات ولد حوالى سنة ٥٠٠ م

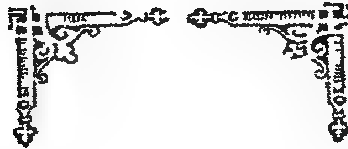
أما الديار التى ولد فيها ذلك الشاعر فأنا نعلم أن أباه كان ملكا على بنى أسد وغطفان وملكه يحد غربا بوادى القرى وشرقا ببلاد طيء وشمالا بأرض طيء أيضا وجنوبا ببلاد غنى وعامر بن صعصعة ففى تلك الديار التى حددناها من بلاد نجد والتى تملك عليها حجر كان مولد شاعرنا . واسم أمه فاطمة بنت ربيعة وقيل تملك أخذنا من قول امرئ القيس

ألا هل أتاها والحوادث جمة بأن امرأ القيس بن تملك يقرأ

والرأى عندى أن تملك لقلب لفاطمة بنت ربيعة

ولقد كانت وفاة ذلك الشاعر كما قال بعض الرواة والمؤرخين فى عام

٥٦٥ ميلادية



نشأة امرئ القيس

ببلاد نجد الواسعة وفي ربها المتشعبة وأوديتها المتلاقية وبين قبائل
معد بن عدنان كان امرؤ القيس صبيا عربيا يلهو مع لداته ويمرح في
أعطاف الصبا بين رعية أبيه ، وما كان يدري أنه بعد قليل من الزمن سيفضي
إلى الدنيا بسر من أسرار العظمة ولا أنه سيضم على جبين الدهر ذلك
الآكليل الفاخر من الخاود والشهرة فبين تلك الأدواح الظليلة وفي خلال
ربا العرار الشذى رسم شاعر التاريخ مدارك طفولته وملاعب صباه
في تلك الأرض التي افترت الطبيعة فيها عن بعض محاسنها وأكثر
الشعراء من توأصف طيبها وجمال مصطافها ومتربها نشأ امرؤ القيس بن
حجر . وما عرف سيرة أهله حتى وجدهم ملوكا تدهن لهم ربيعة وأحياؤها
ومضر في أكثر عماثرها ، وكندة وعشاثرها . فلا يولى وجهه شطر جهة
من جهات نجد وتهاثمها وبلاد اليمن ومزارعها إلا ولائله ولاية عليها
يأمرون فيها وينهون على قواعد من الاستبداد والمالكية المطلقة . فما بلغ
مبلغ الفتیان حتى مد عينيه إلى تلك العزة الشاحخة تحيط به من أطرافه ،
وذلك المجد الباذخ يتلقاه من قبل أبويه ، فمضى في غلوائه سالكا في ميعة
شبابه طريق أمثاله من أبناء الملوك مؤثرا للذات القرائح محبا للجمانة والعبث
لا تشغله تكاليف الحياة عن الأمعان في هذه الفتوة فجرر مآزر اللهو ،
وترنح في سكر الحداثة ، وصحب الفتیان يغشى بهم مناقع الماء ويرتاد

أكان الخلاءة والتصف ، ويتقلب بين قبائل وأحياء قد اختلط نساؤها
برجالها ، لا رادع ولا حجاب سوى ما ارتكز في تلك النفوس من موازعات
الشمم ، وعلو المروءة ، وخوف العار . ويحضر مجالس آية ونوادي قومه
يمسح ما تلى فيها من الشعر وما يتناقل من أخبار الشعراء . وهو في وسط
ذلك كله غلام ذكي الفؤاد ، حاد القريحة ، مفتون بالشراب والصيد ، معزم
بالصافات الجياد . فما لبث أن تفتحت في نفسه عيون هذه الغريبة الشجرية
المتوارثة من قبل عمومته وخثولته ، فسالت بألوان من الكلام جرى مع هذا
الملك الحايح من وصف النساء وذكر محاسنها ، وركوب الخيل وسرعة
كرها ، ومجالس الشراب وأكوابها ، وديبه إلى مغشوقه ومخاتلة أحراسها
وبجر بذلك في شعره ، وغلا في فجوره حتى أنف له أبوه من تلك الحياة
الخالية التي ارتطم في حمائها وألقى بنفسه بين أحضانها ، ولم يعد في نظره
صالحا لما كان يرشحه له من الملك بعده ، فأذله ثم أقصاه عنه وطرده ، فهام
على وجهه شريدا في نواحي الجزيرة العربية ولم يزد ذلك إلا استمرارا لمذاق
هذا العبث وتلك المجاعة ففضى على سبله تتناوح بركابه أحياء العرب ينزل
مياها ويتنقل بين مراتعها ومعه أسلحة من شذاذ طي موطنه وبكزبن قبائل
فأذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل
يوم وخرج إلى الصيد فتصيد ، ثم عاد فأكل وأكلوا معه ، وشرب الخمر
وسقاهم . وغته وإياهم قياته ، ولا يزال كذلك كل يوم يندوا عليهم بمشي الزقاق
المترعات وبالجزر حتى نفذ ماء ذلك الغدير فينتقل عنه إلى غيره فتضرب

له القباب وتنحر الجزور وتغنيه إقيان . كل ذلك دواع انبعث بها عين
الشعر في قريحة امرئ القيس فنطق به على ستة قومه في عباب من بدعوة
العيش وطبيعة أرض كلها بين أودية وآكام فكان أول شعر قاله :

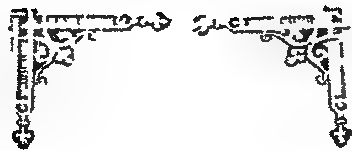
أذود القوافي عني ذيادة ذباد غلام جرى جوادا
فلما كثرن وعنيه تخير منهن شتى جيادا
فأعزل مرجانها جانبا وآخذ من دردها المستجادا



بيئات امرئ القيس

يجب أن لا تنسى تأثير البيئة التي نشأ فيها شاعراً . فنجعله كل شيء ونضيف إليه كل شيء . ونحو تلك البيئة التي نشأته وكونه وتضافرت على تربية جسمه وعقله ومشاعره فهو ظاهرة من ظواهرها وأثر من آثارها . تلقى على يدها ما جال بخاطره ، وأخذ عنها ما أوحى به شاعريته

ولسنا نعالى في إكبار تلك البيئة فنضيف كل شيء إليها ونستنبط كل شيء منها حتى نفنى الشاعر فيها ونتركه للاحول له ولا قوة بجانبها . إنما السبيل أن نقدر البيئة قدرها ، ونبوىء الشاعر مكانه منها ونحدد الصلة بينه وبينها ولذلك سأجته ما أستطعت أن أبين في حدود الاختصار وفي صورة غير شوهاء تلك البيئات الطبيعية والاجتماعية والعلمية التي نشأ فيها امرؤ القيس وتأثر بها وأثر فيها فكلاهما على الحققة متأثر بصاحبه مؤثر فيه



البيئة الطبيعية

في الجنوب الغربي من آسيا وبين البحر الأحمر والخليج الفارسي وبحر الهند تقع بلاد العرب التي قسمت في عصر الجاهلية إلى خمسة أقسام جغرافية تهامة ونجد والحيجاز والعروض واليمن ، وأكثر الشعراء من ذكرها وتواصف طبيعتها وجمالها . وقد جاءها امرؤ القيس ' من أتصاها إلى أدناها ، وضرب بجرانه فيها شرقا وغربا . وتلك البلاد جديرة بالالتفات إليها من حيث طبيعة أرضها ومزاج قطرها فلقد كان لذلك أثر في شاعرنا

فهي على جملتها نقية التربة . مبسوطة الرقعة ، مجلوة الآفاق ، ممتدة الجنبات ، وفيرة الوحش ، كثيرة الطير ، شديدة الحر . فيها جبال وأودية ، ووهاد غائرة ، ونجاد عالية ، وكثبان متقلبة ، وعيون متفجرة ، ومسايل جارئية ، وصحارى شاسعة ، وبقاع مخصبة . جوها يصحح الهواء وسماؤها ضاحية الشمس . سافرة البدر ، ساطعة الكواكب ، يترام فيها السحاب شتاء ثم ينجاب عنها وقد ننت في ثراها أنواع من الكلال والمرعى ذات أشكال مختلفة ، وألمان متعددة ، وأزهار متنوعة . مساكن أهلها بيوت مشيدة ، أو خيام متقلبة على ظهور جمال بازلة يأكلون لحومها ويشربون ألبانها ويتخذون من أصوافها وأوبارها أثاثا ومتاعا إلى حين

قابل امرؤ القيس تلك الطبيعة الباسمة وجها لوجه فطلعت عليه الشمس بأشعتها الذهبية المحرقة تصليه بشواظها ، وبدا له القمر مرسلا أنواره

الفضية الوادعة يهر له ويملك عليه مشاعره ، وسطعت النجوم ولا حائل
بينه وبينها يرى سناها ويصير لآلاءها ، ووقف على الديار المتقوضة والغدران
المتملئة وتراءت له الفلوات الواسعة

بها العين والآرام يمشين خلفه وإطلاؤها ينهض من كل مجثم
وعصفت من حوله الرياح العاتية تجعل من الرمال كثباناً أو تجري
رخاء وبسلاما

بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا
شمس تسطع ، وقمر يلعب ، ونجوم تتلألأ ، ورياح تلعب ، وظباء ترتع ،
وخيام تقوض فى جو فسيح كل ما فيه حر طليق
الحق ! . إنها طبيعة وادعة تملأ القلوب جمالا والأفئدة جلالا ، وتدع
فى النفوس شغفا زائدا بها واستجلاء لمظاهرها واحتراما لأحداثها وحبا يملأ
القلب ويشغل الجوانح . فلا عجب إذا وجدنا امرأ القيس يمسك ريشته
فيرسم بها تلك الطبيعة فى شعره ، ويتحدث عنها فى خياله . وسنقف على شئ
من ذلك عند دراسة المعلقة



البيئة الاجتماعية

إن من أخلاق تلك البيئة التي عاش فيها امرؤ القيس . الشهامة والتجدة ،
والشجاعة والنخوة ، والمروءة وعلو الهمة ، وكرم الخلق وشدة البأس ، والحلم
والوفاء ، وإباء الضيم وعزة النفس . تمدحوا بذلك في أشعارهم التي جمعت
محاسن أقوالهم . على أننا لا نكذب التاريخ فنرى الأمة العربية في جاهليتها
كل البراءة وتدعى أنها كانت سواء في اكتساب المحامد واطراح المآثم ، فذلك
سبيل أهل الخيال الذين يأخذون من كل منهل أصفاه ويرون في كل شيء غاية .
فأن من الأعراب شذاذا وصعاليك كانوا يقتربون الفواحش ويحترحون
السيئات فيغدون على نساء مهينات مظللمات كن يتوارين عن الأنظار خارج المدائن
والقرى وخلف مضارب القباب ، فإذا أرخى الظلام سدوله أسبل الرجل
على آثار أقداره إزاره ليعفى فوق الرمال معامه ويعمى خطاه ، وغدا إليها
تحت جناح الدجى لا تدركه الأبصار . أما بغاة الشرف وطلاب المجد فهم
بمنجاة عن هذا حتى لقد بلغت الغيرة بهم أن كان الرجل يد يده الأنيمة
الظالمة إلى نفس وليدته الطاهرة التي بدأت تستقبل الوجود وتهض في
الحياة على قدميها فليقى بها في حفرة من الأرض ثم يهيل على جسدها
التراب ويدعها تعالج سكرات الموت تحت أطباق الثرى . ولعمري إذا نحن
أسدلنا الستار على تلك المظالم التي لم نعلم جميع القبائل والأحياء بل اختص
بها فريق دون آخر فأنا واجدون تلك المرأة البدوية مشار عاطمة ذلك

الرجل العربي ، ومدار وجدانه ، وسر حياته ، ومصدر إلهامه ، ومناط آماله ومهبط وحيه ، وقبلة خاطره ، ومنتجع هواه ، ومجتل قريحته ، ومطلع قصيدته بها غناؤه وفيها غناؤه . تعنى بمحاسنها ، وتمدح بشمائلها ، ووقف على أطلال دارها ومعالمها ، واثمر بأمرها ، وتقبل أحكامها ، ونزل في غالب الأحيان على إرادتها ، وكثيرا ما تقبل رغبتها . فهي نور الوجود في نظريه وكل شيء بين يديه . هتفت به تحت ظلال السيوف فاستمد منها عزما أكيدا وبأسا شديدا . ومن بين أحضانها خرج فتيان وفتيات نشأتم منذ الطفولة على الشرف والسؤدد ، ولقنتهم آيات المجد والمجدد

ولقد كان للعرب في ذلك الحين مجالس وأندية يغشاها الرجال والنساء يتناشدون فيها الأشعار ويتبادلون الأخبار . وكان لهم أسواق تقام للبيع والشراء ويقف فيها الخطباء والشعراء يتنافرون ويتناشدون ويتحاكون فيها إلى قضاة عدول لهم بصرب نقد المنثور والمنظوم . وفي ذلك شحذ لأذهانهم وتنمية لأفكارهم وتهذيب للغتهم

وكانت لهم أيضا حروب مشهورة وأيام معلومة لما فطرت عليه نفوسهم من سرعة الغضب والجراة على الشر وحب الغزو والميل إلى الانتقام والأخذ بالنار . فلا تفتتح عيونهم إلا على سيوف تتألق ، ورماح تلمع ، وأسنة تشرع ، وجياد تصهل ، ورؤوس تنطير ، وأشلاء تتناثر ، وطير يهوى ، ووحش يزجر . فرسخت فيهم صفات القروسية وكثر بينهم الفتنة والنهب . وما كان لهم مقام بأرض وإنما كانوا يبتغون منافع الماء ويرتادون

منابت العشب ليرعوا أنعامهم التي عليها بلاغهم في حملهم وشعبهم : وزيتهم فتنازعوا على المرعى وتدافعوا على النجعة ونشبت بينهم دواعي الخلاف وانتشرت العداوة والبغضاء وقامت الحروب وتفرقوا شيعا وأحزابا يتخطف بعضهم بعضا . والشعر في تلك المواقف يقوم مقام الموسيقى إذ هو والغناء يحلقان كزوجي الطائر فوق رموس الربا وبين خمائل الزهر يتناغيان بنجوى النفوس ويوقعان على أوتار القلوب ، تجيش بها الأفتدة في مثل تلك المواطن استنهاضا للهمم وبكاء على القتلى واقتنارا بالعصية ، والشعر يوحى الحب والحرب والموت

أما ديانات العرب في ذلك العصر فكانت على ضروب شتى فمنهم عابد الشمس والقمر ، والنجم والشجر ، والنار والحجر . ومنهم من تهود أو تنصر . ومنهم من بقى على ملة إبراهيم يحج ويعتمر ، ويعظم الأشهر الحرم ومنهم من كان مجوسيا يعبد مبدأ الخير والشر . ومثل ذلك الدين المضطرب الواهن قد أسلم العرب إلى صنوف من العقائد وضروب من الهواجس رسخت في نفوسهم وتمكنت من قلوبهم ، فهناك بين ثنايا الجبال وأعطاف المغاور صنوف من الحجر تطاول عليها القدم تنوعت أشكالها وتعددت ألوانها اتخذوا منها تمائم ورقى تجلب الخير وتدفع الشر بما لها من سر دفين وأثر كمين . وإذا اعتزم الواحد منهم أمرا وأراد السفر طلب معرفة مآله قبل إقدامه بالتفائل والتطير ، وإن بدأ ارتحاله و كان يبغضا إلى زوجته قامت إلى النار فأوقدتها حتى تحول دون مآبه وإن كان عزيزا عليها قبضت

قبضة من أثر أقدامه واحتفظت بها حتى يعود إليها سراعا . وإن من أفدح
أثقال الظلم أن ترى الرجل منهم يعمد إلى شجرة حين سفره فيعقد بين
غصنين منها فأن عاد وكان الغصنان على حلقهما زعم أن زوجته لم تحنه وإلا فقد
خائته كأن عرض المرأة ال عرض القبيلة مرتين بغصنين تعصف بهما الريح
أو تعبت بهما الأيدي فتفرق بينهما

تلك صورة من مظاهر هذه البيئة الاجتماعية التي درج في عشاها
امرؤ القيس من المهد إلى اللحد نقدمها بين يدي القارئ لتطعن نفسه
ولتكون إليه هاديا



البيئة العلمية

ما كان العربي إلا إنسانا فيه عاطفة وبين جنبيه نفس متأثرة تعشق الحرية والعدل وتحب الطبيعة والجمال طال إصغاقها لتلك النغم المترددة في أسجاع الطير ، وحنين الأبل ، وخرير الماء ، وحفيف الشجر ، وهزيم الرعد وعصف الرياح ، وصهيل الخيل ، وقعقة السيوف ، وصلصلة الإصفاة ، وزجرة الوحوش . فما هو إلا أن حكي صداها وصار ورا من أوتارها يشدو معها . وقد ضرب العربي في تلك البادية القاحلة على ظهر راحلته البازلة يبتغي من فضل الله ترقصه تلك الأيقاعات المتوالية فهدته نفسه الشاعرة أن يلقي على ضروبها من ألحانه الساذجة حذاء لناقته وأنيساله في وحشته وما كان للناس عجباً أن يمتاز العربي بالشعر وأن يفوق فيه سائر الأمم إذ لم يعرف عنه أنه مال إلى فلسفة أو نشط إلى علم أو زاول صناعة وإنما كان اهتمامه مصروفا إلى هذا الفن الجميل من القول ، ولم يزد ما أثر عنه من ضروب الحكمة على أن يكون في جملة أشبه بالحقائق المجردة التي لا تبعد عن تناول الفطرة وإنتاج التجربة والمشاهدة . وكل ما وصل إلى العرب بعد ذلك من أسباب العلوم لا تتعدى معلومات أولية مبنية على قوة النظر أو صدق الحدس ومستمدة من التجربة والمشاهدة حيناً وبمخالطة من جاورهم من الأمم أحياناً فمن ذلك علم النجوم فقد كان ما انبسط لأعينهم من رقعة السماء داعياً إلى إدمان النظر في كواكبها ، وتعرف صورها وألوانها ومطالعها وألوانها ، وغروبها وأشكالها . وقد وصلوا بذلك إلى معرفة أوقات

الخصب والمحل ، والريح والمطر . واهتدوا بها في ظلمات البر والبحر
أما علم الطب فكان ينبوعه تجربة قاصرة متوارثة عن مشايخ الحى
وعجائزه فلم يكن يتجاوز عندهم الكى بالنار ، وبتر الأعضاء بمحمى الشفار ،
واتخذوا من العسل دواء ، ووجدوا فى عصارات بعض النباتات شفاء
ومن خرافاتهم أن المجروح إذا شرب الماء قاضت نفسه وأن المرأة إذا
ذعرت من شيء حتى برد قلبها تسقى لشفائها ماء حارا

وقد توصلوا بقوة ذكائهم إلى الاستدلال على أخلاق الشخص وصفاته
من هيئته وكلامه وظاهر أعضائه وتلك هى الفراسة . أما القيافة عندهم
فهى الاستدلال بآثار الأقدام على أصحابها ، ولقد بلغوا فى ذلك من
الآعاجيب أمدا بعيدا ففرقوا بين آثار المرأة والرجل ، والأعمى والبصير
ومع انتشار الإامية فيهم إلا أن قوة الحافظة عندهم أدت بهم إلى تفوقهم
فى علم الأنساب يتعرفون به ألقابهم ويحفظون أصولهم وأحسابهم فلا
يدخل رجل فى غير قبيلته ولا يدعى إلى غير أبيه ، دعاهم إلى ذلك اعتزازهم
بالعشيرة ومغالاتهم فى العصبية

وكانت من معارفهم الكهانة والعرافة وزجر الطير والطرق بالحصى
يبتغون بذلك اختراق حجب الغيب ومعرفة أسرارهم ومكنونه
أما بصرهم بالخيل ومعرفة شياتها وأوضاعها وعتاقها وما يستحب من
صفاتها وما يتعاق بها من إنتاج وبيطرة فقد فاقوا فى ذلك سواهم من الأمم
أما تاريخهم وأحوالهم فصحائفها منشورة فى شعرهم الذى هو ديوان
علمهم وأخبارهم

شباب امرئ القيس

ترعرع امرؤ القيس وكأني به يتقلب بين نجد وروايبها واليمامة وأوديتها والبحرين وأحسانها وهو فتى ناعم العيش رخي البال قرير العين خلى القاب من هموم الحياة وأعبائها ؛ تخالطه الحسان وتعزفه القيان ؛ يلهو بالصيد وركوب الصافات الجياد ، قد خلع الملك على شبابه ثوباً من الجمال وحلة من الاختيال ، ينزل في كل منزل ما أراد ويرتفع في كل واد ماشاء ويتقلب في ملك أعمامه وأبيه وجده . وهو في خلال ذلك يسمع الشعر في نراجيم الحدادة ، وأغاني الرعاة . وسمر السمار ؛ وأحاديث الرواة . ويرى عناية القبائل بالشعر وإكبار الأحياء للشعراء . وهو ذو سليقة شاعرة وقريحة مطبوعة . يصحب الشعراء ويصحبه ، وينشدهم الشعر وينشدونه ، وما هو بالمحزون فبشتكى ، ولا بالفقير فيجتدى ، إن هو يومئذ إلا أسير لذات وخدن لهو وصبوات . فذراعى الشعر عنده لا تعدو هذه المؤثرات ولذلك ذهب امرؤ القيس مع الشباب وسبح في واديه وترنح في سكرة الحدائث يحب هذه ويشرب بثلج وفجر بذلك في شعره وغلا في فجوره حتى شرب بنساء كن إلى والده مما غيظه منه فهو القائل :

أحار بن عمرو كأني خمر ويعدو على المرء ما ياتمر

١ قال البغدادي في خزنة الأدب إن مطلع هذه القصيدة :

لا وأيك ابنة العامري لا يدعى القوم أنى أمر

وإن أبا عمرو والشيباني والمفضل وغيرهما أتتوا أن هذه القصيدة لامرئ القيس أما الأصمعي فقد زعم في روايته عن أبي عمرو بن العلاء أنها للرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جثم وأولها عده أحار بن عمرو كأني خمر . ويعدو على المرء ما ياتمر

ولها يقول

وهز تصيد فلوب الرجال وأفلت منها ابن عمرو وحجر
رمتني بسهم أصاب القواد غداء الرحيل فلم أتضر
وأستبل دمعى كقص الجنان أو الدر رقراقه المنحدر
وإذهى ثمثى ثمثى الزيف يصرعه بالكثيب البهر^١
رهرة رودة رخصة كحرقوة البانة المتقطر^٢
فتور القيام قطنع الكلام تفرعن ذى غروب تحضر
فان المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به رد أنيابها إذا طرب الظائر المستحضر

وقد عرف حجر عن ولده ادرى القيس أنه كان فاحشاً فاجراً مستهتراً
يحب الله ويستتبع صعاليك العرب يغير بهم على أحيائها لما جعل الوالد
يفكر فى عقاب يؤدب به هذا الولد الفاجر فأرسله فى رعا. الأبل ليكون فى
هذا إذلال له وصغار وتعب وأين حتى ينصرف عن تلك الحياة الخلية
الطائشة ويرعوى عن غيه وضلاله ولكن امرأ القيس لم يأبه لهذا وخرج
بالأبل يرعاها عامة يومه ثم آواها مع الليل وجعل ينيخها ويقول : حبذا
طويلة الأقارب ، غزيرة الحلاب ، كريمة الصحاب ، حبذا شداد الأوراك
عراض الأحناك ، طوال الأسماك . ثم بات ليلته يسمر مع السمار بذكرها

١ التريف السكان الذى يترعى مشيته والهر انقطاع النفس والكلال ٢ الهرقة الرقيقة الحلد المساء

المرحرة والرودة الشاة والرحصة الباعمة والخرعوه العضة الله

والحديث عنها وعلم أبوه ذلك فقال . والله ما أذلته ولا بد من عقاب يزجره
عن غيه فلما أصبح الصبح قال له اخرج مع الخيل تخرج بها إلى المرعى حتى إذا
أقبل الليل رجع بها ، وتسمعه والده حنجر يقول عند إيوائها حمد الجياد بإنائها
ساء وذئورها طباء ، نعم التمتع حنجر راجلا وراكبا ، تترك طالبا وتهوت
هاربا . فساء ذلك أباه فجعله في رعاية الأغنام فخرج بها عامة يومه حتى إذا
أمسى آض من المرعى وهو يقول : أخزاها الله ، لانهتدى طريقها ولا
تعرف ضديقا ، ولا تطيع راعيا ولا تسمع داعيا . ثم تهالك على نفسه إعياء
وكلا لا وهتئ لا يلوى على السمار إلى مضجعه فظن والده أنه قد قدر عليه . فلما
أسفر الصبح قال له اخرج بالشاء . فمضى امرؤ القيس يقودها . حتى بعد من
الحى واشترف على الوادى أخذ التراب وطفق يحثوه على وجوها وهى
ترتد عنه إلى الديار وهو خلعها لا يكف عن فعله قائلا : حبر فى حجر ،
حبر لا مدر ، هباب لحم وإهاب ، للطير والذئب ، فلما رأى حبر فعل
امرى القيس بالأغنام أسقط فى يده وعلم أن لن يقدر عليه فادى مولى
من مواله يسمى ربيعة وأمره أن يأخذ امرأ القيس إلى خارج الحى ثم
يقتله ويأتيه بعينه فانطلق ربيعة به إلى الصحراء ولكنه فكر مليا فأشفق
على امرى القيس وأشفق على نفسه أيضا من أن يعود حبر بعد أن نهذا
ثأرتة فيجزع على فقد ولده الذى أصدر عليه الحكم بالموت وهو يحتدم
الغائظه فى ثورة وغضب . نظر ربيعة إلى هذا فخشى على نفسه أن يصيبه
الأذى إن قتل امرأ القيس ولذلك فإنه تركه فوق رادة برقع وبلعب ثم رحم

إلى حجر ومعه عيًّا جوذر وإلكن سرعان ما عرف الندامة في وجه حجر
وأسفه على موت ولده فقال له أبيت اللعن لا تجزع فأني لم أقتله فقال له حجر
على به . فسار ربيعة إلى امرئ القيس حيث خلفه ليعود به إلى والده
فوجدته يقول :

لا تتركى ياربيع لهذه وئنت أرانى قبلها بك واثقا
مخالفة نوى أسير بقرية هوى عريبات يشمن البوارقا^١
فأما ترينى اليوم فى رأس شاهق ذند أغمدى وأقود أجرد تائقا^٢
وقد أذعر الوحش الردع بكرة وقد أحتلى بيض الخدور الروائقا^٣
نواعم بجلاوا عن ميون بقة عبرا وربطاجاسدا أو شقائقا^٤
ولما رجع امرؤ القيس إلى والده لم يكف عن فجوره وفخشه فى قوله
وفعله فعاد أبوه فطرده وأبى أن يقيم معه أهله منه وعارا . فخرج امرؤ القيس
مراغما لأبيه وعاد سيرته الأولى يتماهى أسباب المجانة والعبث ويهيم
على وجهه فى الأحياء ويتبع الصعاليك ويتحاط الشذاذ بصحبهم ويصحبونه
فيخرج بهم إلى الصيد والغارات وينزلهم على الغياض والرياض . يذبح
لهم جزوره وتخنيهم قبانه ريسياً الزق الرى^٥ إلى أن ألقى عصاه واستقر به

١ تمام الرق سوء ولحق إليه ٢ فى رأس شاهق أى - قه - لى والاحرد العرس القصير الشعر
وتأثما محمدا للعدو ٣ بكرة أى على حين علة من المر من الحور الساء المححات والروائق البيض
المواضع المر اعلا لى ناعما والاطاجاسدا ب - ت - والذقائق الخ

نواه في بلدة (دمون) وهي التي يقول فيها

كأني لم ألهو بدمون مرة

ولم أشهد الغارات يوما بعندل

وجاءه النذير بنعي والده في د-ون فكان منه ما كان مما سنقف عليه

عند الكلام عنه بعد مقتل أبيه



عشق امرئ القيس

وَصِباحه

جيري امرؤ القيس وراء الحجارة والعبث إلى أبعد غاية ، وما كان عاشقا وإنما كان فاحشا . يشرب اليوم بهر وفاطمة ، وفي الغداة يزين له الهوى أن ينتقل إلى هند والرباب وفرتنا . فهو كالنحلة ينتقل من زهرة إلى زهرة ، ويدف بجناحيه على كل غصن رطيب يصادفه ثم يتجافى عنه إلى غيره . ولم يكن امرؤ القيس صبا ولوعا ولا عاشقا متبها وإنما كان أسير لذات وصنو شهوات وخدين خلاعة وهو . ويظهر أثر ذلك في شعره فنحن لا نجد فيه برحاء المحب المستهام ولا لوعة الصب الولوج . وكل ما في شعره من نسيب إنما هو ذكر للنساء ومحاسنهن ووقوف على ديارهن وأماكنهن ووصف عبثه معهن ولهوه بهن . ومع ما نعلمه من تلك الحياة الخليعة العابثة التي ارتضاها امرؤ القيس لنفسه في شبابه وقضاها في ارتياد أكنان الخلاعة والقصف نرى أن شعره مثل هذه الناحية أصدق تمثيل فهو وحي الألهام الصادق والغريزة التي أنبأت عن مكنونها وحديث النفس التي انتزعت من دخيلتها صورة مطابقة لحقيقتها ثم أظهرتها إلى المثل بعد أن خلعت عليها من قننها ثوبا بيانيا رائعا . فامرؤ القيس عندي هو الشاعر الملهم الصادق الوحي والتصوير وهو المثل الأعلى في شاعريته وفيضه فلا تزييف في عاطفته ولا افتعال

وهذه أسماء من ورد ذكرهن في شعره وقوله فيهن

أم مالك قال فيها : -

قفا نسأل الأطلال عن أم مالك وهل تخبر الأطلال غير التهاك^١
وأم جندب وهي زوجته الطائية قال فيها

خليلى مرابى على أم جندب لنقض لبانات الفؤاد المعضب
فأنكأ إن تنظرانى ساعة من الدهر تنفعنى لدى أم جندب^٢
ألم تريانى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب
عقيلة أتراب لها لادميمة ولا ذات خلق إن تأملت جانب^٣
ألا ليت شعرى كيف حدث وصلها وكيف تراعى وصلة المتغيب
أقامت على ما بيننا من مودة أميمة أم صارت لقول الخجب
فأن تنبأ عنها حقبة لا تلاقها فأنك بما أحدثت بالمجرب
وسليمى قال فيها

يا بؤس للقلب بعد اليوم ما آبه ذكرى حبيب ببعض الأرض قد رابه
قالت سليمى أراك اليوم مكتسبا والرأس بعدى رأيت الشيب قد عابه
وحار بعد سواد الرأس جمته كعقب الريط إذ نشرت هدا به^٤
وقال فيها أيضا

سمالك شوق بعد ما كان أقصرا وحلت سليمى بطن قو فعرعرا

١ روى هذا البيت صاحب جمهرة أشعار العرب ٢ تنظرانى أى تنتظرانى ٣ العقيلة الكريمة المخدرة
والأتراب اللدات وهم الذين يولدون مع الإنسان فى وقت واحد والجانب القصير اللحم ٤ ما آبه ماشأته
ومرجعه ٥ حار جمع وعاد وصار . والجمعة مقدم شعر الرأس . والمعقب الخمار تعتقب به المرأة . والريط
ثوب لين رقيق

كنانية بانث وفي الصدر ودها مجاورة غسان والحي يعمر
بعينيك ظعن الحي لما تحملوا لدى جانب الأفلاج من جنب قيما^١
والخنساء قال فيها ٢

قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدى رأس هذا واشتهب ٣
عهدتي ناشئا ذا غرة رجل الجمة ذا بطن أقب ٤
أتبع الولدان أرخى مئزرى ابن عشر ذا قريط من ذهب
وهى إذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب ٥
ورقاش قال فيها :

لله زبدان أمسى قرقر جلدنا وكان من جندل أصم منضودا ٦
لا يفقه القوم فيهم كل منطقهم لإسرار اتخال الصوت مردودا ٧
قامت رقاش وأصحابي على عجل تبدى لى النحر واللبات والبيدا
وهند قال فيها

أذكرت نفسك ما لن يعودا فهاج التذكر قلبا عميدا
تذكرت هندا وأتراها فأصبحت أزمعت منها صدودا ٨

١ الأفلاج جمع فلج وهو النهر الصغير . وقيمر مدينة بالنعام ٢ وقيل أن هذا الشعر منحول لامرئ القيس
٣ اشتبه صار أشهب الرأس والشبهة يابض في سواد ٤ رجل الجمة ممشط شعر الرأس : وأقب عال ٥ يعنى
أنها كانت صغيرة ولها بيت تضع فيه لعبا ودهاما التى على شكل الجوارى ٦ زبدان دوضع بين دمشق وبعليك
والقرقر الأرض المطمئة والجلد الأرض الصلبة المستوية المتن ٧ الأسرار الخفوت ٨ وقال بعضهم إن المقصود
فى هذا الشعر صدابة القيس ذكرها أبوها هو بعيد عنها فدير قصر

وقال فيها أيضا

طرقتك هند بعد طول تجنب وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق ١
والرباب وفرتنا وليس قال فيهن جامعا معهن هنداً
لمن الديار غشيتها بسحام فعمائتين فمضب ذى أقدام
فصفا الاطيط فصاحتين فغاضر تمشى النعاج بهامع الآرام
دار لهند والرباب وفرتنا وليس قبل حوادث الأيام
عوجا على العائل المحيل لأننا نبكى الديار كما بكى ابن خزام
دار لهم إذ هم لأهلك جيرة إذ تستبيك بواضح بسام
أزمان فوها كلما نبتها كالمسك بات وظل فيه فدام ٢
أو ماترى أظعانهم بواكرا كالنخل من شوكان حين صرام ٣
حور تعلل بالعبير جلودها بيض الوجوه نواعم الأقسام
فظللت في دمن الديار كأننى نشوان باكره صبح مدام
وقال أيضا ذاكرًا هنداً والرباب وفرتنا .

لمن طلل أبصرته فشجانى كخط زبور فى عسيب يمانى
ديار لهند والرباب وفرتنا ليالينا بالنعف من بدلان
ليالى يدعونى الهوى فأجيبه وأعين من أهوى إلى روان
وقال فى فرتنا أيضا ذاكرًا معهما هرا

١ وهنا أى بعد هدأة من الليل ٢ القدم الغطاء ٣ الاظعان التوق عليها الموارج فيها النساء . بواكر

مبكرات . وشوكان موضع . وصرام عطاف المحل

ألا إنما الدهر ليال وأعصر
ليال بذات الطلح عند محجر
أغادى الصبوح عند هر وفرتنا
إذا ذقت فاما قلت طعم مدامة
هما نعتجان من نعا ج تبالة
إذا قامتا توضع المسك منهما
وهر قال فيها :

تروح من الحى أم تبتكر
أمرخ خيامهم أم عشر
وفى من أقام من الحى هر
وهر تصيد قلوب الرجال
رمتنى بسهم أصاب الفؤاد
فأسبل دمعى كفض الجمان
وإذ هى تمشى كمشى الزيف
برهره رودة رخصة
فتور القيام قطيع الكلام
كأن المدام وصوب الغمام
يعل به برد أنياها

وماذا عليك بأن تنتظر
أم القلب فى إثرهم منحدر ١
أم الظاعنون بها فى الشطر ٢
وأفلت منها ابن عمرو حجر
غداة الرحيل فلم أتصر
أو الدر رقراقه المنحدر
يصرعه بالكثيب البهر
كحروبة البانة المنفطر
تفتقر عن ذى غروب خصر
وريح الخزامى ونشر القطر
إذا طرب الطائر المستبحر

١ المرخ شجر قصير يبيت بنجد والعشر شجر طويل يبيت بالدور ويعى أشاعر دل هم منجدون أو معزون

٢ الشطر جمع شطير وهو الغريب

فبت أكابد ليل التما م والقلب من خشية مقشعر
فلما دنوت تسديتها فثوبا نسيت وثوبا أجر ١
ولم يرنا كالى كاشح ولم يفش منا لدى البيت سر ٢
وقد رابى قولها ياهناه ويحك ألحقت سرا بشر ٣
وسلامة وقدور قال فيهما :

عفا شطب من أهله فغرور فربولة إن الديار تدور
بجزع بحياة كأن لم تقم بها سلامة حولا كاملا وقدور
وماوية قال فيها :

أماوى هل لى عندكم معرس أم الصرم تختارين بالوصل نياسر ٤
أبني لنا إن الصريمة راحة من الشك ذى المخلوجة المتلبس ٥
وقال فيها أيضا

يادار ماوية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل
صم صداما وعفا رسما واستعجمت عن منطق السائل
وسلمى قال فيها مع تعرضه لذكر بسباسة

ديار لسلمى عافيات بذى الحال ألح عليها كل أسحم هـ طال
وتحسب سلمى لا تزال ترى طالا من الوحش أو ييضاً بميثاء محلال ٦
وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا بوادى الخزامى أو على رأس أو عال

١ تسديتها أى علوتها ٢ الكالى المراقب والكاشح المعادى ٣ مناه اسم من أسماء الداء لا يستعمل فى سواه
ومعناه كما تقول ياهذا ٤ أماوى ترخيم ماوية والمعرس المنزل الذى يحله المسافر عند السفر ليسترج فيه المخلوجه
المعوجة ٦ الميا الأرض السهلة . و محلال أى يكثر الناس الدور فيها

ليالى سلى إذ تريك منصبا وجيدا بكيد الرثم ليس بمعطال ١
 ألا زعمت بسباسة اليوم أتى كبرت وإن لا يحسن السر أمثال ٢
 كذبت لقد أصبى على المرء عرسه وأمنع عرسي أن يزن بها الخال ٣
 ويارب يوم قد طوت ليلة بآ نسة كأنها خط تمثال ٤
 يضىء الفراش وجهها الضجيعها كمصباح زيت في قناديل ذبال ٥
 كأن على لبانها جرم مصطل أصاب غضا جزلا وكف بأجزال ٦
 وهبت له ريح بمختلف الصوا صبا وشمال فى منازل قفال ٧
 إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير مجبال ٨
 كحقف النقا يمشى الوليدان فوقه بما احتسبا من لين مس وتسعال ٩
 ومثلك ييضاء العوارض طفلة لعوب تنسينى إذا قت سربالى ١٠
 لطيفة طى الكشح غير مفاضة إذا انفتلت مرتجة غير متفال ١١
 إذا ما استحمت كان فيض حميمها على متنتيها كالجمان لدى الحال

١ منصبا ثغرا مستويا متناسقا ٢ الدر الكاح ٣ أصبى على المرء عرسه أى أغرى زوجته وأردا إلى الصبا
 ويزن يثيم . والحال الاعتزب ٤ خط تمثال أى كنفش التمثال المصور والمعنى المراد أنه قد لها بحسن هذه
 الاتساق جمالها التى كأنها صورة صورة ٥ قناديل ذبال المراد ذبال قناديل والذبال القنيلة ٦ كف بأجزال أى
 جعل له كفاف من أصول شجر النضا ٧ الصوا جمع صوة وهى الدلالة التى تكون فى الطريق أو فى الأرض
 المرتفعة فى غلط . والقفال العائدون من السفر ٨ ابتزها سلب عنها ثيابها . وهونة أى لينة والمجبال المليئة
 الخلق ٩ حقف النقا الكشيب المستدير من الرمل وقد ذكر ذلك قاصدا تشبيه العذبة ١٠ العوارض صفحما
 المنق والطفلة الرخوة الناعمة ١١ لطيفة طى الكشح أى رقيقة الخصر والمهضة المسترخية البطن والمريرة
 التى يترجرج لها من كثرة والمتفال المتنة الريح

تنورتها من أذرعات وأهلها
نظرت إليها والنجوم كأنها
سموت إليها بعد ما نام أهلها
فقلت سباك الله إنك فاضحى
فقلت يمين الله أبرح قاعدا
حلفت لها بالله حلفة فاجر
فلما تنازعنا الحديث وأسمحت
وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا
فأصبحت مدشوقا وأصبح بعلمها
يغبط غطيظ البكر شد خناقه
أيقنتنى والمشرقى مضاجعى
وليس بذى ربح فيطعننى به
أيقنتنى إنى شغفت فؤادها
وقد علمت سلبى وإن كان بعلمها
وماذا عليه إن ذكرت أو أنسا
وبيت عذارى يوم دجن ولجته

يثرب أدنى دارها نظر عال ١
مصاييح رهبان تشب لقفال
سمو حباب الماء حالا على حال ٢
أست ترى السمار والناس أحوالى
ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى ٣
لناموا فما إن من حديث ولاصال ٤
هصرت بغصن ذى شمار يخمىاله ٥
ورضت فذلت صعبة أى إذلال
عليه القتام سيء الظن والبال ٦
ليقتلنى والمرء ليس بقتال
ومسنونة زرق كأنىاب أغوال
وليس بذى سيف وليس بنبال
كما شغفت المهنوءة الرجل الطالى ٧
بأن الفتى يهذى وليس بفعال
كغزلان رمل فى محاريب أقوال ٨
يطلقن بجباء المرافق مكسال ٩

١ تنورتها أى نظرت الى ثارها ٢ سموت اليها يعنى علوتها وحباب الماء ففاقيمه ٣ أبرح قاعدا أى لا أبرح قاعدا ٤ لناموا أى لقد ناموا ٥ أسمحت لانت واقادت ٦ القتام الغبار ٧ شغفت فؤادها أى بلغ حبى شغاف قلبها والمهنوءة الساقة التى تظلى بالقطران ٨ بما نحررت فيوحد طعم القطران فى فخما ٨ المحاريب الغرف والاقوال كالاقبال آخر الملوك ودونهم ٩ الدخن ظل العمام وجباء المرافق أى غامة عظام المرافق من كثرة فخما

قايلة جرس الليل إلا وساوسا وتبسم عن دذب المذاقة ساسال ١
 سباط البنان والعراتين والقنا لطاف الخصور في تمام وإكمال
 نواعم يتبعن الهوى سبل الردى يقان لأهل الحلم ضلا بتضلال
 صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقل الخلال ولا قالى ٢
 وأم هاشم وابنة عفزر قال فيها ذاكرًا معها البسباسة ابنة يشكر .
 لقد أنكرتني بعابك وأهاها ولا بن جريح في قرى حمص أنكرًا
 نشيم بروق المزن أين مصابه ولا شئ يشفى منك يا ابنة عفزر ٣
 من القاصرات الطرف لودب محول من الذرفوق الأتوب منها لأثرا ٤
 له الويل إن أمسى ولا أم هاشم قريب ولا البسباسة ابنة يشكراه
 ويقول أيضا في هذه القصيدة ذاكرًا سليمى وأسماء
 كأن دمي سقف على ظهر مرمر كساه زبد الساجوم وشيام مصورا ٦
 غرائر في أن وصون ونعمة يحاين يا قوتا وشذرا مفقرا ٧
 وريح سنا في حفة حميرية تخص بمفروك من المسك أذفرا ٨
 وبانا وألويا من الهند ذاكيا ورندا ولبنى والسكباء المقترا ٩

١ الجرس الصوت . والوساوس اصوات الحلي ٢ المقل المبخض ٣ مصاب المزن هو السحاب حيث يقع
 ومعنى البت أنه يقول نحن ننظر الى هذه البروق رجاء منا ان يكون الغيث الواقع معها في ديار من نحب فنسقى
 بسقيام والعرب يدعون ان يحبون بالسقياء ثم كان كل شئ لا يستشفى به من الشوق الى ابنة عفزر وعفزر اسم
 رجل ، المحول من الذرفوق جدا والأتوب القيس نفسه
 ٦ سقف اسم موضع والساجوم واد في جزيرة العرب . والمزبد الذي علاه الزبد ٧ الغرائر العواجل التي لا تجر به
 لمن . والشذر قطع الذهب . والمفقر المصنوع على شكل نقار الجراد ٨ السنا نبت ذكي الرائحة ٩ الالوى العود
 الذي يتخرجه والند شجر طيب الثمر . واللبنى الميعة والسكباء النخور والمقتر المدخن

غلقت برهن من حبيب به ادعت سليمى فأمسى حبلى قد تبترا ١
وكان لها فى سالف الدهر خلة يسارق بالطرف الخباء المسترا ٢
إذا نال منها نظرة ريع قلبه كما ذعرت كأس الصبوح المخمرا ٣
تزيغ إذا قامت لوجه تمايات تراشى الفؤاد الرخص إلا تخبرا ٤
أأسماء أمسى ودها قيد تغيرا سنبدل إن أبدلت بالود آجرا
وسعاد قال فيها :

لعمري لقد بانث بحاجة ذي الجوى سعاد وراعت بالفراق مروجا
وقد عمر الروضات حول مخطط إلى اللجج مرأى من سعاد ومسمعا
متى تردارا من سعاد تقف بها وتستجر عينك الدموع فتدمعا
وليلى قال فيها :

تذكرت ليلى عن الوصل ونأت ورت معاقد الحبل ٥
ولو وامتاعهم وقد سئلوا بذل المتاع فضعن بالبذل ٦
ونحت له عن أزر تالبة فلق فراغ معايل طحل ٧
وافت بأصلتي غير أكلف بحسروم البهاء وقلة الأسل ٨
ومؤشر عذب مذاقته برد القلال بذائب النحل ٩

١ غلق الرهن حل موعده وتمذر قكاكه والرهن القلب والمراد أنهن احتبسن قلب هذا الحبيب الذى ادعته سليمى بأنها أحق به ٢ الخلة الخليل ٣ الخمر الذى رتجه الخمار ٤ تراشى ترمى والتختر الخداع ٥ تذكرت تعاقلت وتناست ٦ لووا مالوا وتباعدهوا ٧ نحت أى تحت ٨ أزر تالبة مجتمع حمر وحشية ٩ فلق أى يفض فراغ أى فطلب ١٠ والمعايل نصال السهام ١١ والطحل جمع الطحلة وهى لون بين الغيرة والسواد بياض ١٢ وافت جاءت والمراد بالانصت الجبين الواضح الذى لا كلف فيه والأسل الطول والاسترسال بوصف به الغد ٩ المؤشر الثغر والمراد بذائب النحل الشهد

وقال في ليلي أيضا :

عيناك دمعهما سيجال كان شانيهما أو شال ١
أو جدول في ظلال نخل للباء من تحته بجال
من ذكر ليلي وأين ليلي . وخير مارمت لا ينال
وأم الحويرث وأم الرباب وعنيزة وفاطمة ٢ ورد ذكرهن في معلقته قال
قفانبك من ذكرى حبيب ومزل بسقط اللوى بين الدخول فحوهل
فتوضح فالمقراة لم يعفك رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال
ترى بعز الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل
كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل
وقوقابها صهي على طيهم يقولون لا تملك أسا وتحمل
وإن شفاى عـبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول ٣
كدأبك من أم الحويرث قباهما وجارتها أم الرباب بمأسل
إذا قامتا توضع المسك منهما نسيم الصبا جاءت برىا القرنفل
ففاضت دموع العين منى صباة على النحر حتى بل دمعى محلى
ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جاجل
ويوم عقرت للعدارى مطيى فياعجبا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتين باحمها وشحم كهداب الدمعس المقتل

١ السجال جمع سجل وهو الدلو العظيمة المملوءة بالماء وشأبيها جانبيها أو مجارى الدموع منهما والأوشال جمع وشل وهو الماء محتلب من أعلى الجبل بكثرة ٢ قيل إن أم الحويرث هى هر وقيل أيضا إن عنيزة هى فاطمة وذكر ذلك مفصل فى آخر هذا الباب ٣ وفى رواية أخرى وإن شفاى عبرة إن سفحتها

، ويوم دخلت الخدر خدر عزيزة
 تقول وقد مال الغبيط بنا معا
 فقلت لها سيري وأرخي زمامه
 فمثلك حبل قد طرقت ومرضع
 إذا ما بكى من خلفها انصرفت له
 ويوما على ظهر الكتيب تعذرت
 أفاطم مهلا بعض هذا الدلال
 وإن يك قد ساء بك مني خليقة
 أغرك مني أن حبك قاتلي
 وما ذرفت عيناك إلا لتضربي
 ويضة خدر لا يرام خباؤها
 تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا
 إذا ما الثريا في السماء تمرضت
 فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
 فقلت يمين الله مالك حيلة
 خرجت بها أمشي تجر وراءنا
 فلما أجزونا ساحة الحى وأنتحي

فقلت لك الويلات إنك مرجلي
 عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
 ولا تبعديني عن جنائك المعلن
 فألهيتها عن ذى تمام محول
 بشق وتحتى شقها لم يحول
 على وآلات حلقة لم تحال
 وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجلى
 فسلى ثيابي عن ثيابك تنسل
 وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل
 بسهميك فى أعشار قلب مقتل
 تمتعت من لهو بها غير معجل
 على حراسا لو يسرون مقتلى
 تعرض أثناء الوشاح المفصل
 لدى الستر إلا لبسة المتفضل
 وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
 على إثرنا أذيال مرط مرحل
 بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل

١ لا تبعدني عن جنائك الدال أى لا تبعدني من اقتطاف حرة خديك بالقبل والمهال المطيب ٢ نضت ثيابها أى خلعتها ولبسة المتفضل ما بابس عد النوم من قيصر أو أزار ٣ المرط ثوب تنز معلم والمرحل الخطاط المنقوش على هيئة الرحال ٤ اجزونا قطعنا ونحنى قصد واعتمد والحقف الرمل المشرف الموج والمقنقل أيضا الرمل الكثير المنعقد المتلبذ

مهصرت بفودي رأسها قمايلت على هضم الكشح ربا المخالخل ١
 مفهفة بيضاء غير مقاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل ٢
 كبر المقناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل ٣
 تصد وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل
 وجيد بكيد الرتم ليس بفاحش إذا هى نصته ولا بمعطل
 وفرع يزين المائن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتشكل ٤
 غدائره مستشزات إلى العلا تضل العقاص فى مثنى ومرسل ٥
 وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كائوب السقى المذل ٦
 وتضحى فتيت المسك فوق فراشها تؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل ٧
 وتعطو برخص غير شئن كأنه أسار يع ظبي أو مساويك إسحل ٨
 تضىء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل

١ مهصرت جذبت والعودان جانباً الرأس وهضم الكشح ضامر الوسط ورياً ملائى والمخلخل مكان
 الخلخال من الساق ٢ المفهفة الضامرة البطن والمقاضة الكبيرة البطن والترائب الحر ومصقولة مجلوة
 والسجنجل المرآة ٣ والمقناة المخالط بياضاً صفرة وحمرة والنمير الصافى والمحلل الذى كثر حلول الناس عنده
 والمراد بالبكر بيضة النعامة أو لماتبيض والبكر من كل شئ. الم يسبقه مثله ٤ الأثيث الكثيف والمتشكل المتراكم
 بعينه فرق بعض أو هو المتدلى المستشزات المرتفعات والعقاص جمع عقيصه وهى النخلة المجموعة من الشعر
 ٦ الجديل خطام الناقة وزمامها والمراد بقوله كائوب السقى المذل أى كائوب نبات الردى المسقى المذل
 بالآرواء ٧ تضحى تستيقظ فى محبة النهار وتنطق تشد طاقاً للعمل ويقصد أنها مرهفة معمة وعن تحصل
 أى عن الثوب الذى تمام فيه ٨ تعطو تناول والمراد بالرخص الأصابع اللينة وغير شئن أى غير حشة
 والأسار يع دود صغر وظبى اسم موضع والأسحل شجر تتخذ منه المساء يك كالآراك

إلى مثلها يرنو الحليم ضباية إذا ما أسبكرت بين ذرع ومجول ١
تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس قواذى عن قواها بمسئل
ألا رب خصم نيك ألوى رددته نصيح على تعذاله غير مؤثل ٢
وإني لأقف هنا وقفة أعرض فيها أقوال الزواة والعلماء واختلافهم فيما
تعرضوا له من نسب هرثوبة وصواب امرئ القيس فأقول :

إن ابن قتيبة وصاحب معاهد التصنيف قالوا : إن هرا هذه من زوجات
أبيه واسمها أم الحويرث أيضا ، وقال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي
« أم الحويرث التي كان يشبب بها امرؤ القيس في أشعاره هي أخت
الحارث بن ضضم من كلب وهي امرأة حجر أبي امرئ القيس فلذلك
كان أبوه طرده ونفاه وهم بقتله ، وعلق البغدادي في خزائمه على قول
أبي عبيد بقوله « وهذا هو الصواب » ولكن جاء في نزهة ذوى الكيس « أن هرا
هي ابنة العامري وأبوها الحارث بن حصين الكلبي ويقال إن هرا جارية
لحجر بن عمرو أبي امرئ القيس ويقوى هذا قول امرئ القيس وأفلت
منها ابن عمرو حجر لأنها جاريته فهو ينال منها غربته ويدرك مراده دون غرام
بها ولا عناء » والوزير أبو بكر بن أيوب يقول عن هر « إنها ابنة سلامة بن
علند من كلب وإن فاطمة التي يذكرها من كلب أيضا وإنه قال هذه القصيدة
في حبيهم بعد أن نفاه أبوه ونزل بهم فعلق هواه بهاتين » وقد علق ابن أيوب
على قول امرئ القيس

وهر تصيد قلوب الرجال وأفلت منها ابن عمرو حجر

١ أسبكرت أى هشت مستقيمة وبين ذرع ومجول أى بين صغيرة تلمس المحول وقية تلمس الذرع ٢ ألوى
شديد الخصومة وتعذاله لومه وغير مؤثل أى غير مقصر

فقال استعارة الصيد مع الهر مضحكة ولو أن حجرا أباه من فارات
بيته ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف وهذه الاستعارة وإن لم تكن
فاسدة فقد تجنبها المحدثون ظرفا ولطافة . وقد رجع أبو بكر ابن أيوب فذكر قولا
آخر عن نسب هر عند شرحه للعلقة فقال « أم الحويرث هي هر التي كان
يشب بها في أشعاره وهي أخت الحرث بن الحصين بن ضمضم وقد تقدم في
نسبها غير هذا ، والتبريزي يقول « أم الحويرث هي هر أم الحارث بن حصين
بن ضمضم الكلبي وأم الرباب من كلب أيضا ، وقال أيضا عن عنيزة « إنها
ابنة عمه صاحبة يوم دارة جليل ، وقال ابن الكلبي - فيما أورده الزوزني - عن
فاطمة « هي ابنة عبيد بن ثعلبة بن عامر وعامر هو الأجداد بن عوف بن
عذرة ، قال ولها يقول

لا وأيك ابنة العامري لا يدعى القوم أنى أفر

وابن قتيبة تابع ابن الكلبي على هذا الرأي

وقال الزوزني عن عنيزة « إنها ابنة عمه شرحبيل ، وذكرها في موضع
آخر من كتابه فقال « عنيزة اسم عشيقته وهي ابنة عمه وقيل هو لقب
لها واسمها فاطمة وقيل بل اسمها عنيزة . وفاطمة غيرها ، وقال في موضع
آخر أيضا « فاطمة اسم المرضع واسم عنيزة . وعنيزة لقب لها فيما قيل ،
وقال أبو الحسن الطوسي عن هر « إنها ابنة العامري وهي ابنة سلامة بن عبد
ويقاب ابن عبد الله بن عليم قال وكان امرؤ القيس في كلب وطى أيام
نفاه أبوه وقال وابنها الحرث بن حصن بن ضمضم بن جناب الكلبي وفاطمة
أيضا من كلب فشذب بهاتين » وقال في موضع آخر « أم الحويرث هي

هر التي كان يشب بها في أشعاره وهي أخت الحرث بن حصين بن ضمضم
من كلب ، وقال عن فاطمة أيضا « إنها بنت العبيد بن ثعلبة من عذرة ، وقال
صاحب الخزانة عن البسياسة ابنة يشكر « إنها من بني أسد »
وإني لأميل إلى الرأي القائل بأن عزيزة لقلب لفاطمة لأن سياق
المعلقة يرجح ذلك . كما أنني أميل أيضا إلى الرأي القائل بأن هرا جارية
لحجر بن عمرو وإحدى سراريه ، لأنه لا يمكنني أن أفهم أن امرأ القيس
يصل به الفجش والعهر إلى هذا الدرك المنحط فيشب بزوجة أبيه وهو ابن
ملك تأتي عليه أخلاقه ذلك ، بل كل الأعراب في إماء مثل هذا سواء ، فإبائنا
بأبناء الملوك منهم فما عرف عن العربي في يوم من الأيام أنه اعتدى على حرمة
أبيه فتعشق نساءه وزوجاته لأن ذلك سبة وعار كبير ، وغاية ما عرف عن
العرب القدامى في مثل ذلك أن الأب بعد موته إن ترك امرأة يكون أكبر أولاد
ذلك الرجل من غير تلك المرأة وليا عليها فأن شاء تزوجها وإن شاء عضلها
حتى تموت وإن شاء زوجها من غيره وقبض مهرها ولكن زواج الولد
بزوجة الأب كان قليلا يستقبحه العرب ولذلك سموه نكاح المقت أما
عن غضب حجر على ولده امرئ القيس فسببه في نظري تلك الجارية (هر)
وتشبيهها لأنه بذلك خرج عن حد اللياقة والأدب مع والده مما أغضبه
عليه وجعله يمقته ويزدريه ويشرده في البلاد بعد ذلك أضف إلى هذا تلك
الحياة الحليمة التي ارتضاها امرؤ القيس لنفسه وأنفها له أبوه
وأعود فأقول مهما يكن من شيء فسواء علينا أن تكون هر هذه من نساء
أبيه أو جواريه وأن تكون أخت الحصين أو أمه وأن تكون بنت سلامة بن

عندي أو بنت غيره. وسواء علينا أيضا أن تكون فاطمة من بنات عمه أم لا
فقد عرف عن امرئ القيس أنه كان فاحشا مستهترا في فعله وقوله
كثير العبث بالنساء. كما عرف عنه أنه قضى زهرة شبابه منعمسا في
اللهم والمجانة يستتبع. صعايلك العرب يغير بهم على الأحياء بما أثار عليه
حفيظة والده.

وإن اختلاف الرواة والعلماء بالشعر في نسب هر وفاطمة إلى هذا
الحديث يجعلني أجنح إلى القول برأى جرىء وهو أن اسم (هر) لم يكن علما
على معشوقة واحدة لامرئ القيس وإنما كان علما على معشوقات وكذلك
اسم (فاطمة) لم يكن علما على معشوقة واحدة وإنما كان علما على معشوقات
ويرجح ذلك عندى ما كان من امرئ القيس في شبابه من كثرة تنقله في
أحياء العرب وجريه وراء المجانة والعبث إلى أقصى غاية وأبعد شوط



منزلة امرئ القيس الشعرية

امرؤ القيس فحل من فحول شعراء الجاهلية ، وعلما البصرة يجعلونه
رأس الطبقة الأولى وغيرهم متفق على أنه من الطبقة الأولى وإن كانوا
يقدمون عليه سواء فاهل الكوفة يقدمون عليه الأعشى وعلما الحجاز
والبادية يقدمون عليه زهيرا والنابعة وابن سلام قد قرنه بزهير والنابعة
وأعشى قيس ولكن الغالبية مع امرئ القيس في زعامته ورتاسته لتلك
الحلبة الجاهلية

وقد قيل للفرزدق من أشعر الناس فقال ذو القروح (يعنى امرأ القيس)
حيث يقول

وقام جدم بنى أيهم وبالأشقين ما كان العذاب
ومر ليبد بالكوفة في بنى نهد فسألوه من أشعر الناس ؟ فقال الملك
الضليل (يريد امرأ القيس) قيل له ثم من ؟ قال ابن العشرين (يريد طرفة)
قيل ثم من ؟ قال أبو عقيل (يريد نفسه)

وقال سيدنا عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما
وقد سأله عن الشعراء : امرؤ القيس سابقهم خسف لهم دين الشعر فافتقرت
عن معان عور أصبح بصراً ، وقد شرح السيوطى في كتابه (المازهر) عبارة
سيدنا عمر فقال خسف لهم من الخسف وهى البئر التى حفرت فى حجارة
فخرج منها ماء كثير وقوله افتقر أى فتح من الفقر وهو فم القناة وقوله
عن معان عور يريد أن امرأ القيس من اليمن وأن أهل اليمن ليست لهم فصاحة
نزار فجعل لهم معانى عورا فتح امرؤ القيس أصبح بصراً فأن امرأ القيس يمانى

النسب نزارى الدار والمنشأ

وفضله سيدنا على رضى الله عنه على شعراء الجاهلية بأن قال رأيت
أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا لرغبة
وقال الخطيئة امرؤ القيس أشعر العرب حيث يقول
فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يذب
وقيل لكثير من أشعر العرب ؟ فقال امرؤ القيس إذا ركب وزهير
إذا رغب والنابعة إذا رهب والأعشى إذا طرب
وقيل لنصيب من أشعر العرب ؟ فقال لم أر لأحدهم الشعر بعد
امرؤ القيس ما لزهير والنابعة والأعشى فى النفوس
وكان أبو عبيدة يقول افتتح الشعر بامرؤ القيس وختم بابن هرمة
وقالت طائفة . الشعراء ثلاثة جاهلي وإسلامي ومولد فالجاهلي
امرؤ القيس والإسلامي ذو الرمة والمولد بن المعتز
وقوم يرون مقدمة الشعر لليمن فى الجاهلية بامرؤ القيس وفى الإسلام
بحسان بن ثابت وفى المولدين بالحسن بن هانىء وأصحابه
وقال ابن سلام إن امرأ القيس سبق العرب إلى أشياء ابتدعها
واستحسنتها العرب وأتبعته فيها الشعراء منها استيقاف صحبة والبكاء على
الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ وشبه النساء بالظباء والبيض والخيول
بالعقبان والعصى وقيد الآوابد وأجاد فى التشبيه . وتلك شهادة من ابن
سلام لها ما قبلها وعليها ما بعدها

وقال الآمدي في الموازنة «... وبهذه الحلة دون ماسواها فضل
امرؤ القيس لأن الذي في شعره من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف
التشبيه وبديع الحكمة ، فوق ما استعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام
حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع
وأنواع ، ولولا لطيف الممانى واحتداد امرئ القيس فيها وإقباله عليها لما
تقدم على غيره وإمكان كسائر شعراء أهل زمانه ، إذ ليست له فصاحة توصف
بالزيادة على فصاحتهم ولا لآلئها من الجزالة والقوة ما ليس لآلئها
ألا نرى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا في تقديمه بأن قالوا هو أول من شبه
الخيل بالعصى وذئب الوحش والطير وأول من قال قيد الأوابد وأول من
قال كذا وقال كذا فهل هذا التقديم له إلا لأجل معانيه ، ويشهد الآمدي
بعد ذلك أن امرأ القيس جمع الفضيلتين فضيلة جمال اللفظ والأسلوب
وفضيلة جلال المعنى

وقد ذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار أن قوما قدموا على النبي صلوات
الله وسلامه عليه من اليمن فقالوا يا رسول الله أقبلنا نريدك ولكننا ضلنا
الطريق ومكثنا ثلاثة أيام بغير ماء فاستظلنا بالطلح والسمر فأقبل علينا
راكب متلثم بعمامة فنظر إليه بعض القوم فأعجبه سير الناقة فقال متمثلا
ببيتين هما

ولما رأت أن الشريعة همها وأن البياض في فرائصها دامي
تيممت العين التي عند ضارج نفى عنها الظل عر مضها طامي

فقال الرائب من يقول هذا الشعر ؟ فقلنا امرؤ القيس فقال والله ما كذب هذا ضارج عندكم وأشار بيده إليه فجثونا على الركب إلى ماء غدق عليه الطلح والعرمض والظل يفىء فشربنا حتى روينا وحملنا منه ما يكفيننا ويبلغنا الطريق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها ، منسى في الآخرة خامل فيها . بجىء يوم القيامة ويده لواء الشعراء يقودهم إلى النار ، وروى ذلك الخبر أيضا الألوسى في بلوغ الأرب وجاء في المزهرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : امرؤ القيس أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار ، يعنى الجاهليين

وقال يونس النحوى قدم علينا ذو الرمة من سفر وكان أحسن الناس وصفا للمطر فأختار قول امرئ القيس : -

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى وتدر ١
تخرج الود إذا ما أشحذت وتواريه إذا ماتعتكر ٢
وترى الضب خفيفا مامرا ثانيا برثنه ما ينعفر ٣
وترى الشجراء فى ريقها كرموس قطعت فيها الخمر ٤
ساعة ثم اتتحاها وابل ساقط الأكناف واه منهمر ٥

١ الديمة المطرة البائقة فى سحبها يوما وليلة . هطلاء مسيلة . فيها وطف أى لها حواش وأهداب متدلّة من جانبيها حتى لتكاد تمس الأرض وطبق الأرض أى تعم الأرض حتى تصير كالطبق وتحرى أى تتحرى بمعنى تقصد وتعتمد . تدر أى تصب ٢ الود الود . أشحذت أفلعت وكفت . تعتكر تشتد ٣ البرثن الأصعب . ما ينعفر أى ما يصبه التراب ٤ الشجراء الغابة الكثيرة الشجر . وريقها مستهلها أى أول المطر والخمر جمع خمار وهو ما ينفطى ٥ الوجه ٥ اتتحاها قصدها واعتمدها . والابل المطر الشديد . والأكناف البراحى والواهى المتشقق ومهمر أى سائل شديد الوقم

راح تمرية الصبا ثم اتحى فيه شؤبوب جنوب منفجر ١
 ثج حتى ضاق عن آذيه عرض خيم فتخفاف فيسر ٢
 قد غدا يحملني في أنفه لاحق الأبطال تحبوك ٣
 وقد قال صاحب شعراء النصرانية إن هذا أحسن شعر جاء في
 وصف الغيث

وحكى البغدادي في خزانته عن بعض العلماء بالشعر أن امرأ القيس
 أحسن الشعراء ابتداء في الجاهلية حيث يقول :

ألا عم صباحا أبها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
 وكان امرؤ القيس كثير الأجاداة في وصف الفرس حتى لا تكاد نجد
 قصيدة من قصائده تخلو من وصفه ومن أحسن ما وصفه به قوله :
 وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيسكل
 مكر مفر مقبل مدبر معا بجلود صخر حطه السيل من عل
 فقوله قيد الأوابد من الألفاظ الشريفة البالغة نهاية الحسن ومنتهى
 الجودة فقد عني بذلك أنه إذا أرسل فرسه على الصيد صار قيذا له وطان
 الصيد بحالة المقيد وذلك من شدة عدو هذا الفرس . وقد ذكر الأَصمعي
 وأبو عبيدة وحماد وقبلهم أبو عمرو وذكروا جميعا أنه أحسن في هذا المعنى

١ راح أى عاد في آخر النهار تمرية الصبا أى تستدره ريح الصبا وشؤبوب جنوب أى مطر ريح الجنوب وهى
 التى تقابل الصبا وقوله منفجر أى غزير شديد ٢ ثج أى صب والآذى الموج . عرض رحاب وخيم وخفاف
 ويسر أما كن ٣ أنه أى أوله ولاحق الأبطال صامر الخصر والمحبوك المدح الشديد الخلق والمهر المقتول
 العضل غير مترهل اللحم

وأنه اتبع فيه فلم يلحق
وقد قال خلف لم أر بيتا أفاد وأجاد وساد وزاد وقاد وعاد ولا أفضل
من قول امرئ القيس

له أبطالا ظي وساقا نعاما وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
فقد شبه أربعة أشياء بأربعة أشياء مع إحسانه في ذلك فما امتاز به
امرؤ القيس حسن التشبيه ورقته وقد قال بشار بن برد لم أزل أحسد امرأ القيس
على قوله :

كأن قابو الطائر رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
حتى قلت

كأن مثار النقع فوق رموسنا وأسيافنا ليل تهاوى كوابه
ولكن امرأ القيس قد سبق إلى صحة التقسيم في التشبيه ولم يتمكن
بشار إلا من تشبيه إحدى الجملتين بالأخرى دون صحة التقسيم
والتفصيل

ومن بديع تشبيهات امرئ القيس قوله

وليل كموج البحر أرخى سدوله	على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه	وأردف أعجازا وناء بكل كل
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي	بصبح وما الأصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه	بكل مغار القتل شدت يئذيل
كأن الثريا علقت في مصاءها	بأمراس كتان إلى حمم جندل

فأنظر إليه كيف جعل الليل جملا له صدر ، ثقیل تنجیه ، بطيء تقضیه ،
وجعل له تلكلا ينوء به وأعجازا كثيرة يردفها ، وجعل له صلبا يمتد ويتطاول
ثم بالغ في طول الليل فقال كأن نجومه شدت بحبال إلى جبال فكأنها لا تسير
ولا تغور . وزاد على جلال هذا المعنى جمال اللفظ والأسلوب

ومن تشبيهاته الحسنة أيضا قوله

كأنني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل
وقوله

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب
وقوله أيضا يصف المرأة

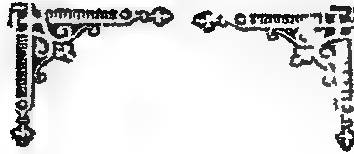
تصد وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل
وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعشکل
غداثه مستشزات إلى العلا تفضل العقاص فى مثنى ومرسل
وكشع لطيف كالجدیل منحصر وساق كأنبوب السقى المذل

ويجب أن نذكر أن خيال امرئ القيس خيال شاعر عاش فى البادية بين
الوهاد والنجاد ، والربا والآكام ، والظباء الوادعة والوحوش النافرة ،
ولكل هذا جمال خاص وجلال يقف على حقيقته من طبع نفسه بطابع البيداء
وجعلها مرآة لذلك العراء . فلا غرابة بعد هذا إن وجدنا لامرئ القيس
فى بعض تشايبه نزعة لا تروق أهل الحاضرة وسكان الأهمصار

ومن أحسن غزل امرئ القيس الذي جمع إلى عدوثة اللفظ ذرقة المعنى قوله :
أفاطم مهلاً بعض هذا التذلل وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجلى
أغرك مني أن حبيك قاتلي وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
وقد ذكر ابن قتيبة أن أشرافاً من الناس والشعراء اجتمعوا عند
عبد الملك فسألهم عن أرق بيت قالته العرب فاجتمعوا على قول امرئ القيس
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
وقد قال الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن : وأنت لا تشك في جودة
شعر امرئ القيس ولا ترتأب في براعته ولا تتوقف في فصاحته . وتعلم
أنه قد أبدع في طرق الشعر أمورا اتبع فيها من ذر الديار والوقوف عليها
إلى ما يصل بذلك من البديع الذي أبدعه والتشبيه الذي أحدثه والتميح
الذي يوجد في شعره والتصرف الكثير الذي تضادفه في قوله والوجوه
التي ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعلو ومتانة ورقة وأسباب
تحمد وأمور تؤثر وتمدح ، وتعرض الباقلاني بعد ذلك إلى معلقة امرئ القيس
فایتقد منها آياتا كثيرة ليدل بهذا النقد على إعجاز القرآن الكريم
وأنه فوق مقدور البشر وأن أبلغ شعر للعرب وأفصح كلام لهم لا يمتنع من
النقص وأنه لا يصل إلى مرتبة القرآن الكريم في بلاغته وفصاحته وجمال
لفظه وجلال أسلوبه وشرف معناه ونحن نوافق الباقلاني رضى الله عنه على أن
القرآن في الذروة العليا من البيان العربي وأنه لا يلحق له غبار ولا يدانيه

شيء من كلام العرب وأنه قيل آخر منقطع النظر فهو وحى يوحى ، نظمه
مميز ، وأسلوبه مخصص . ولكنى آخذ على الإمام الباقلانى تعسفه فى نقد
امرىء القيس وغلوه فى ذلك حتى جاوز حد انتقاد البرىء فجاء كلامه مختلطاً
ذا عوج غير مبين وسنبين ذلك مفصلاً عند كلامنا على أوهام نقاد شعر
امرىء القيس

وينتهى بنا القول إلى أن امرأ القيس جيد السبك رشيق المعنى قريب
المأخذ إلا أنه أحياناً تخشن ألفاظه وتجنف عباراته



معلقة امرئ القيس

قال ذلك الشاعر

قفانبك من ذكرى حبيب وهنزل
فتوضح فالمقراة لم يف رسمها
تري بعرا الآرام في عرصاتها
كأنى غداة البين يوم تحملوا
وقوفا بها صحبي على مطيهم
وإن شفائي عبرة مهراقة
كدأبك من أم الحويرث قبلها
إذا قامتا تضوع المسك منهما
ففاضت دموع العين منى صباية
وقال يصف يوم الغدير

ألا رب يوم لك منهن صالح
ويوم عقرت للعدارى هطيني
فظل العذارى يرتمين بلحمها
إلى أن يقول :

ويوما على ظهر الكشيب تعذرت
وفيهما يقول أيضا مخاطبا ابنة عمه

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجلى

أغرك منى أن حبك قاتلى وأنك مهما تأمرى القلب يفعل
وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل
ثم معنى يقص ما كان منه مع معشوقته ويصفها بقوله :-

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهُو بها غير معجل
تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا على حراسا لو يسرون مقتلى
إذا ما الثريا فى السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل
إلى أن يقول

ألا رب خصم فيك ألوى رددته نصيح على تعذاله غير مؤتل
ثم خرج من ذلك إلى وصف الليل فقال

وليل كهوج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهوم ليلتلى ١
فقات له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وزاء بكل كل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وه الأصباح منك بأمثل ٢
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يذبل ٣
كأن الثريا عثقت فى مصاهها بأمراس كتان إلى صم جندل ٤
وروى أبو سعيد السكرى بعد ذلك أربعة أبيات عدها من المعلمة وهى

قوله فى وصف الذئب

وقربة أفوام جعلت عصامها على كاهل منى ذلول مرحل ٥

١ ليتلى ليحتر ٢ مامل أى بأفضل ٣ معار العمل شديد القتل ٤ ويدل حمل ٥ مصامها موضع وهوها
والأمراس الحبال ٦ صم حذل أى حجارة صلبة ٧ عصام الف ٨ سرها الذى تحمال منه ٩ ذلول مدلل
وملا ١٠ المارل الممل ١١ ل ١٢

وواد بكجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوى كالخليع المعيل ١
فقلت له لما عوى إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تمول ٢
كلانا إذا مانال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل ٣
ولكن الأصمى وأبا حنيفة الدينورى فى كتاب النبات وابن قتيبة فى
أبيات المعاني رويها لتأبط شرا. والبغدادى عاق على هذه الآيات فى
خزائنه بأنها أشبه بكلام اللص والصعلوك لا بكلام الملوك

ثم قال امرؤ القيس يصف الفرس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بنه مجرد قيد الأوابد هيكل ٤
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلود صخر حطه السيل من عل ٥
كفيت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل ٦
على الذبل جياش كأن ادترامه إذا جاش فيه حميه غلى مرجل ٧
مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن الغبار بالكديد الماركل ٨
يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف المشقل ٩
دري كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل ١٠

١ الخليع الذى خلعه قومه وطردوه والمعيل ذو العيال ٢ لما تمول أى لما تصب مالا ٣ أماته أضاعه والمراد بالحرث هنا الفعل والسمى ٤ اغتدى اخرج أول النهار والمجرد الفرس القصير الشعر والأوابد الوحوش والمراد بهيكل طويل ٥ مكر مفر أى معاود للكر والفر والجلود الصخر الاصم ٦ الفرس الكفيت هو الذى فى لونه حمرة ضاربة إلى السواد والصفواء الصخرة الملساء والمتنزل المطر ٧ الذبل هو الذبول جياش أى يزداد فى الجرى والاهتزام الصوت والمراد بحميه سدة جريه والمرجل الفدر ٨ مسح كثير الجرى والمراد بالسابحات الخيل والونى الاعياء والكديد ماصاب من الأرض والمركل الذى ركنته الخيل بحوافرها ٩ الخف الخفيف الحاذق بالر وب ويلوى يذهب والمراد بالهيف المنقل الذى لا يحسن الركوب ١٠ درير سريع الجرى والخذروف قال الغندامى هم القردة التى تلعب بها الصبيان يسمع لها صوت

له أبطالا ظي وساقا نعادة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل ١
ضايح إذا استدبرته سد فرجه يضاف فويق الأرض ليس بأعزل ٢
كأن على المتنين منه إذا اتحى مدالك عروس أو صلاية حنظل ٣
كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل ٤
فعن لنا سرب كأن نعاجه غدارى دوار فى هلاء مذيلى ٥
فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم فى العشيرة مخول ٦
فألحقنا بالهاديات ودونه جواهرها فى صرة لم تزيل ٧
فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل ٨
فظل طهاة اللحم مابين منضج صفيف شواء أو قدير معجل ٩
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ماترق العين فيه تسفل ١٠
فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعينى قائما غير مرسل ١١
وقال بعد ذلك يصف البرق والمطر ومرح الطائر وطربها بصفاء السماء
بعد تسكاب الماء :

١ أبطالا ظي خاصرتيه لانفراجهما وإرخاء المرحان سرعة الدثب وانقريب وضع الرجلين الخلفيتين موضع
الرجلين الأماميتين فى العدو والتفل ولد التعلب ٢ ضليح قوى الأضلاع واستدبرته نظرت اليه من خلف
والأعزل الذى يميل عظم دبه الى احد الشفين ٣ مدالك العروس الحجر الذى يسحق عليه الطيب لها والصلابة
الحجر الذى يدق عليه الحنظل وكلاهما يكونان براقا مع الهاديات أوائل الصيد والوحش والمرجل المسرح بالمشط
ه عن ظهر والسرب قطع البقر والنعاج البقر الوحشية والدوار صنم كانت العرب تنصبه وتدور به والملاء جمع
ملاء وهى ثوب ذا لفقين والمذبل الطويل الذيل ٦ الجزع الخرز ٧ والجواهر المتخلفات
والصرة الجماعة لم تزيل أى لم تتفرق ٨ عادى أى والى الجرى دراكا أى سريما ينضح يعرق الصفيف ترائح
اللحم المرفقة والقدير المطبوخ فى القدر ١٠ متى ماترق العين فيه تسفل أى متى ما ارتفعت عين الناظر الى اعلى خلقه
تسفلت فبادرت بالنظر الى قوائمه ١١ بات بعينى أى بجيت أراه

أصاح ترى برقاً أريك وهضيه ١
 يضىء سناء أو مصاييح راهب ٢
 قعدت وأصحابي له بين ضارج ٣
 على قطن بالشهم أيمن صوبه ٤
 فأضحى يسح الماء حول كثيفة ٥
 ومر على القنان من نفيانه ٦
 وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ٧
 كأن ثيرا في عرائن وبله ٨
 كأن ذرى رأس المجيمر غدوة ٩
 وألقى بصحراء الغبيط بعاعه ١٠
 كأن مكاكي الجواء غدية ١١
 كأن السباع فيه غرق عشية ١٢
 فأنت ترى أنه بدأ هذه القصيدة العالية بما عده الأدباء بحق من أجود

١ الحبي المكلل السحاب المتراكم ٢ السليت الزيت ٣ المعنى في قوله بعد ما منأ على بضم الباء على ما قاله التبريزي
 يا بعد ما تأملت ٤ الشهم النظر إلى البرق وصوبه ط ٥ كثيفة موهن يبلد باهلة وقوله يكب على الأذقان دوح
 الكنهل أي يقتلع شجر الكنهل من أصوله وبقية على أم رأسه لشدة نسجه ٦ القنان اسم جبل لبنى اسد والنفيان
 ما يتطاير من قطر المطر والعصم جمع أعصم وهو الوعل الذي في إحدى دمراض ٧ الاطم العصر ٨ ثير جبل
 والعرائن الانوف وقد استعيرت هنا لأوائل المطر والبهاد كساء مخاض ٩ الغناء ما جاء به السيل من الحشيش
 والشجر والكلاء والتراب وغير ذلك ١٠ البعاع الثقل ١١ المكاكي جمع كما وهو ضرب من الطير حسن التغريد في
 الصالح ١٢ الانابيش اصول النازات والحتميل الحصل البني

مطالع الشعر الجاهلي بل الشعر العربي جملة وضربوا بحسنه المثل فقالوا
أحسن من قفانبك وإن كانوا يريدون القصيدة كلها ، وقد جمع في شطر
هذا المطلع بين أشياء عدها الناس من أولياته لأنه وقف واستوقف وبكى
وأبكى معه صاحبه وذكر الحبيب والمنازل ثم جعل يذكر صاحبه ويصفه
بالطيب والنعمة في عذوبة ورشاقة وأخذ يتحدث عن قصته مع صاحبه
يوم الغدير وما كان من تحالفه وقسمه الممزوج بمطوعة الشباب وكان في مثل
عذوبة السلاف حين رقق الغزل في قوله :

أغرك منى أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمرى القلب يفعل
وما ذرفت عينك إلا لتضربي بسميك في أعشار قلب مقتل
وحين رققه أيضاً عندما وصل إلى وصف الديب والاستهتار في الحب
والتعرض للتهلكة في مخاتلة الأحراس الحراس على قتله والفتك به ، ثم
انتحى نحو آخر في وصف الليل ووصف الفرس بما هو فيه أول بالاجماع
ثم جرد من الذئب شخصاً خيالياً وخاطبه في قوة خيال وروعة تصوير^١
ثم وصف البرق والمطر وجعل الطيور وهي المكاكي من شدة سروره
بصفاء السماء بعد نزول المطر كأنما شرين سلافاً من رحيق مفلقل وكل هذا
مفرغ في ذوب من ماء العربية بين الجزالة والعذوبة . نستطيع أن نحكم بعد
ذلك على هذه المعلقة بأنها من أجل الآثار التاريخية لتلك الفصاحة العربية

(١) يقول صاحب الشهاب الراصد ان قصيدة الفريدي فيني أحد أعضاء أكاديمية فرنسافي (موت الذئب)

لا تضارع في مجموعها آيات امرئ القيس ثم يقول ان فكرة الشاعر العربي هي التي اوحى بلا ادنى ريب
إلى الشاعر الفرنسي قصيدته الشهيرة

فى ذلك العصر الجاهلى وهى فى جملة أغراضها وأوصافها ونسبها ولناياتها
المثال الذى احتذى عليه الشعراء بعده وجعلوه رئيس فخروهم والمقدم عليهم
غير مدافع فى ذلك وليس فى شعراء الجاهلية من نشعر بقوة شخصيته فى
شعره مثل امرئ القيس وهو يعتبر من شعراء العالم الذين طبقت شهرتهم
الآفاق ، ولئن جاز فى عقل أحد أن يشك فى شىء من أشعار الجاهلية
ليكون امرؤ القيس آخر من يتطرق إليهم الشك أو تتصل بحياتهم التهمة
ولقد روى شعره ثمانية من ثقة الرواة ودونوه وتناولوه بالنقد والشرح وهم
أبو عمر بن العلاء وأبو سعيد الأصمعى وابن السكيت وأبو عباس الأحول
وأبو عبيده وأبو سعيد السكرى ومحمد بن حبيب وخالد بن كلثوم وتناوله
أيضا العلماء المستشرقون ونقدوه وحللوه وهؤلاء جميعا لم يمكنهم أن ينكروا
شعر امرئ القيس ولا شخصيته ويكفى أن نذكر شهادة المستشرق (نيكلسون)
لهذه المعلة فقد قال : أما معلة امرئ القيس فقد تسابق النقاد
الأوربيون إلى التعنى بجمال تعبيرها والتحدث بفاخر تصويرها وحلاوة تدفق
أبيانها وسحر تمثيلها المنوع ومما زاد إعجابهم بها ذلك الشعور بأفراح الحياة
وتمجيد الشباب الذى أوحى إلى الشاعر معانيها الخلابة ومبانيها البالغة أعلى
درجات الفصاحة ، أما ماذهب إليه الدكتور طه حسين من إنكار شعر
امرئ القيس وشخصيته فسنفند هذا الرأى ونبين وجه الخطأ فيه فى فصل
مقبل إن شاء الله تعالى

رأينا في المعلقة

قال ابن قتيبة « كان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع بالشعر بفاطمة
ما صنع وكان لها عاشقا فطلبها زمنا فلم يصل إليها وكان يطلب غرة حتى
كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان ، فقال قفانبك من ذكرى حبيب
ومنزل فلما بلغ ذلك حجراً أباه دعا مولى له يقال له ربيعة فقال له اقتل
امراً القيس واأنتى بعينه فذبح جؤذرا فأتاه بعينه فندم حجر على ذلك فقال أبيت
اللعن إني لم أقتله قال فأتني به فانطلق فإذا هو قد قال شعر آفى رأس جبل وهو قوله:
فلا تتركنى ياربيع لهذه وكنت أرانى قبلها بك واثقا

فرده إلى أبيه فنهاء عن قول الشعر ، ثم إنه قال ألا عم صباحا أيها
الطلل البالي فبلغ ذلك أباه فطرده فبلغه مقتل أبيه بدمون ،

ومن تلك الرواية التي تحدث بها ابن قتيبة نعلم أن امرأ القيس قد قال
معلقته وقصيدته الثانية (ألا عم صباحا أيها الطلل البالي) في أيام شبابه
ولهوه قبل أن يغالبه القدر وينازعه الدهر وعلى هذا فنحن ندرس هاتين
القصيدتين على أنهما تمثلان امرأ القيس في طوره الأول طور الشباب

أما قصة الغدير فقد قالت الرواة في أنبائها إن امرأ القيس كان عاشقا
لعنيزة ابنة عمه شرحيل وكان قد منع من الاجتماع بها وحيل بينه وبينها
جريا على مألوف العرب في عدم تمكين العاشق من الاجتماع
بمعشوقته وعدم تزويجه إياها وأيضا لأن امرأ القيس كان متهتكا مشهورا
بالفواحش ، ولكنه كان يبنى نفسه بملاقاتها والوقوف بين يديها يتمتع

نظره برؤيتها ويستمتع إلى حديثها العذب المشتوى وشاء القدر أن يظعن
حيهما وكان من عادة العرب في ظعنهم أن يتقدم الرجال وتتبعهم النساء
فتخلف امرؤ القيس عن الرجال وتربص يترقب النساء مستخفيا حتى ظعن
فمشى على إثرهن وهن لا يشعرن به . وكان في طريق الظاعنين غدير
يسمى دارة جلجل من منازل كندة بنجد فلما ورد العذارى هذا الغدير
نضون عن جسومهن ثيابهن ونزلن إلى الماء يستحممن وكانت فيهن عنيزة
فبرز إليهن امرؤ القيس من مكمنه وجمع ثيابهن وجلس عليها فلما شعرن
به وأدركن مكيدته تضرعن إليه وتلطفن في المقال معه لعله يعطين ثيابهن
فأقسم أنه لن يعطى واحدة منهن ثيابها حتى تخرج إليه عارية فخاصمته
ساعات من النهار فأبى إلا إبرارا بقسمه ووفاء بيمينه وأستمسك بهذا
وأصر فخرجت إليه أوقعهن فرمى إليها ثيابها ثم تتابعن عليه ولم يبق في
الغدير إلا عنيزة معشوقته فأقسمت عليه وتوسلت إليه أن يعدل عن شرطه
فأبى مطاوعتها وقال لها لا بد لك من أن تفعل مثل ما فعلن وما زال بها حتى
خرجت إليه وهي عارية فأبى أن يعطيها ثيابها إلا إذا رآها مقبلة مدبرة
ففعلت فدفع إليها ثيابها فلبستها ثم اجتمعت عليه النسوة وأخذن في عذله
وتعنيفه على تلك الفعلة الشنعاء وقلن له لقد جوعتنا وأخرتنا عن الحى فقام
إلى ناقتة فعقرها لهن وجمعت الأماء الحطب وأوقدن النار وطفق النسوة
يشوين اللحم ويأكلن إلى أن شبعن وكانت مع امرئ القيس ركوة من
خمر فسقاهن منها . ولما تأهبن للرحيل قسمن أمتعته بينهن فحملنها على

رواحلهن ولم يكن لعنيزة نصيب من هذا المتاع وبقي امرؤ القيس ولا مركب له فقال لعنيزة لا بد لك من أن تحمليني وألحت عليها صواحبتها أن تحمله على مقدم هودجها فحملته مرغمة فجعل يدخل رأسه في الهودج يقبأها ويغازلها ويحادثها أحاديث الهوى والصبابة ثم نظم هذه المعلقة وذكر في أثنائها تلك القصة

ومهما يكن من تحدث الرواة عن يوم الغدير وجعله سببا لتلك المعلقة فالباعث الحق على هذه القصيدة هو اللهو والعبث والرغبة في قول الشعر لأنها لم تقتصر على النسيب والتشبيب بل تناولت عدة فنون وأغراض وذلك معناه أن الباعث على تلك القصيدة إنما هو الرغبة في الشعر بمختلف فنونه جريا على سنة الشعراء في أشعارهم

ولا مرية في أنها من شعر امرئ القيس أيام الشباب أيام زهوه بخفض العيش وخلو قلبه من هموم الحياة وأثقالها التي أناخت عليه بكلكلها بعد موت أبيه .

والمؤثرات في تلك القصيدة هي مناظر تلك الأماكن التي رادها والمياه التي وردها والصحارى التي ضرب فيها والجبال التي شاهدها حيث الدخول وحومل وتوضيح والمقراة ودارة جابل وبطن خبت ووجرة وظبي ودوار وضارج والعذيب وقطن والستار وبذبل وكثيفة والتمنان وتيلاء وثبير والمجير وصحراء الغبيط . يدل على ذلك قوله :-

قفانبك من ذكر حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال
وقوله :-

الارب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل
وقوله :-

لما أجزنا ساحة الحى وانتحى بناطن خبت ذى حقاف عقنقل
وقوله :-

تصد وتبدي عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل
وقوله :-

تعطو برخص غير شثن كانه أساريع ظي أو مساويك إسحل
وقوله :-

فيالك من ليل كان نجومه بكل مغار القتل شدت يئذبل
وقوله :-

فعن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار فى ملاء مذيبل
وقوله :-

قعدت وأصحابى له بين ضارج وبين العذيب بمد ما متأمل
على قطن بالشيم أيمن صوبه وأيسره على الستار فيئذبل
فأضحى يسح الماء حول كثيفة يكب على الأذقان دوح الكنهبل
ومر على القنان من نفيانه فأنزل منه العصم من كل منزل
وتياء لم يترك بها جزاع نخلة ولا أطما إلا مشيدا بجندل

كأن ثبيراً في عرائن وبله كبير أناس في بجاد مزمل
كأن ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل والغناء فلكة مغزل
وألقى بصحراء الغبيط بعاه نزول اليماني ذي العياب المحمل
أما أغراض تلك القصيدة فأربعة :-

أولها التشبيب بالنساء حتى يقول :-

تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواها بمنسل
وثانيها الشكوى ووصف الليل وطوله إلى قوله . -

وقد أعتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
وثالثها وصف الخيل والصيد إلى قوله :-

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلعع اليدين في حبي مكلل
ورابعها وصف الغيث وسيوله حتى ينتهي إلى قوله . -

كأن السباع فيه غرقى عشية بأرجائه القصوى أنا ييش عنصل
وقد أطل في الغرض الأول لأنه شاب ناعم مترف أحب شيء إليه النساء
وأعذب حديث عنده ذكرهن فجمال القول له فيهن واسع . وأقل في الثاني
لأن الشكوى من المعاني التي لا يهتم بها مثله في ذلك الحين لأنه إذ ذاك لا يشعر
بشيء ينغص عليه عيشه ويكدر صفوه فهو لا يطيل القول في شيء لا يحسه
وأطل في الثالث حتى قرب من الأول لأن ركوب الخيل عند الفتیان لذة
تكاد تعدل حب النساء والهيام بهن ولا سيما عند أمثال امرئ القيس
وأما الغرض الرابع فإنه كان فيه وسطاً بين الثاني والثالث في الكثرة لأنه وإن

يكن من ضروب اللذات لما فيه من لهو وطرب إلا أنه في نفس ذلك الشاعر
الفتى لا يعدل حب النساء والخيال فلم يبعد الشوط فيه إبعاده فيهما على أنه
أظهر لنفسه فيه ميزة لا يلحقه فيها شاعر إذ كان كالمصور الماهر أخذ ريشه
التصوير ورسم بها على لوحة الخيالة الناطقة ما أوحته إليه شاعريته وأملاه
عليه خياله في وصف تلك الطبيعة ثم عرضها على سمعك وبصرك معا، وهو
في وصفه للمرأة والفرس أيضاً فارس لا يلحق غباره

وما امتازت به هذه القصيدة أن كلماتها متجانسة متجاذبة أخذ بعضها
بحجز بعض حتى أنك إذا بدأت بأول كلمة في البيت تتابع على مسمعك
بقية الكلمات قبل أن تكلف لسانك نطقها ، فاعرض أي بيت شئت على سمعك
تجد له رنة موسيقية وحلاوة إيقاع وإن تحس إلا ما ذكرت لك .
ولقد أظهر امرؤ القيس في هذه القصيدة نعمة النبلاء وترف السادة
المالكيين كقوله .

فظل العذارى يرمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المقتل
وقوله أيضاً .

فظل طهارة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل
ولأعجاب المتأخرين بفاخر تصوير امرئ القيس في معلقته وتقديرهم
لجمالها وجلالها وتذوقهم لعذوبة ألفاظها وروعة معانيها كان بعضهم
يضمن أبياتها وأسطارها في قصائدهم ومن هؤلاء صلاح الدين الصفدي الذي
قال مخاطب ابن نباتة المصري مضمناً بعض المعلقة

أفنى كل يوم منك عتب يسوءنى (بجلود صخر حطه السيل من عل)
وترمى على طول المدى متجنيا (بسهميك فى أعشار قلب مقتل)
فأمسى بليل صاح جنح ظلامه (على بأنواع الهموم ليبتلى)
وأعدو كأن القلب من وقدة الجوى (إذا جاش فيه حميه غلى مرجل)
وسالت دموعى من هموعى ولو عتى (على النحر حتى بل دمعى يحلى)
إذا عاين الأخوان ما بى من الأسى (يقولون لانهلك أسى وتجمل)
نرفق ولا تجزع على فائت الوفا (وهل عند رسم دارس من معول)
ولى فيك ود طالما قد شدته (بأمراس كنان إلى صم جندل)
فكر على جيش الجناية عاتدا (بمنجرد قيد الأوابد هيكل)
تجد خفرات الأنس منها كواعبا (ترائبها مصقولة كالسجنجل)
وخل الجفا وارجع إلى معهد الوفا (وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجمل)
حلا ودك الماضى وإن لم تعد أعد (لى سمرات الحى ناقف حنظل)
ومنهم أيضا ابن نباتة المصرى الذى قال يرد على قصيدة صلاح

الدين الصفدى

فطمت ولائى ثم أقبلت عاتبا (أفاطم مهلا بعض هذا التدلل)
بروحى أفاظ تعرض عتبها (تعرض أثناء الوشاح المفصل)
فأحييت ودا كان كالرسم عافيا (بسقط اللوى بين الدخول فومل)
تعفى رياح العذر منك رقومه (لما نسجتها من جنوب وشمأل)
نعم قوضت منك المودة وانقضت (فيا عجباً من رحلها المتحمل)
أمولاى لا تسلك من الظلم والجفا (بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل)

ماتمثلة القصيدة

من أحوال الاجتماع

أول ماتعطيه القصيدة من أحوال الاجتماع أن الشاعر يشب فيهم
بنساء من البدو حياتهن بين الحل والترحال ، وسكنى الخيام بين الجبال
والآكام على أنهن كن على شيء من النعمة التي نراها في هذه الأيام من
تحو النوم إلى الضحى ونض الثياب عند النوم إلا لبسة المتفضل وتعطير
الفراش بالروائح العطرة ويظهر ذلك في قوله

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وقوله . -

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل
وأن الملابس عند الأعراب أيام امرئ القيس كانت على شيء من
الرقش مثل الذى نراه الآن يؤخذ ذلك من قوله . -

خرجت بها أمشى تجروراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل
فذلك يعطيك أن ثوبها وهو المرط كان مرقشا بصورة رجال الأبل كما
تفعل مناسب أوربا اليوم في نقش الصور المختلفة على الثياب
ومن ذلك عادتهم في الميسر لقوله

وماذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل
ومنها أن نساء العرب كن يصفرن بعض شعورهن ويرسلن بعضه يؤخذ
ذلك من قوله

وفرع يزبن الماتن أسود قاحم أثيث كقنو النخلة المتعشك
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص في مثنى ومرسل
وأن الرهبان كانوا أشهر الناس بأيقاد المصاييح وإشعالها يبين ذلك
في قوله

تضىء الظلام بالعشاء كأنها منارة مسمى راهب متبتل
وقوله :

يضىء سناه أو مصاييح راهب آمال السليط بالذبال المقتل
وأن ألوان النساء الحسان في تلك الجهات يياض تقاويه صفرة كنساء
أهل مصر الوسطى اليوم ، ومن أدواتهن السجنجل ، يؤخذ ذلك من قوله :
مهفهفة ييضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
كبكر المقناة البياض بصفرة غذاها نمر الماء غير المحلل
ولعب أطفالهم بالخذروف (لعبة الخيطين والزر) قال :
دري كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل
والخضاب بالخناء قال :

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل
والالتحاف بالملاء قال

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيل
وتقليد أطفالهم العقود ونسائهم الوشح المفصلة بالذهب قال
إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقال أيضا

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم فى العشيرة مخول
وأنهم كانوا يشوون اللحم على الطريقة المعروفة اليوم (البفتيك)
وهو صفيق الشواء فى قوله

فظل طهاة اللحم ما بين منضج صفيق شواء أو تقدير معجل
ولبسهم البجاد وهو العباءة المخططة قال

كأن ثبرا فى عرايين وبله كبير أناس فى بجاد مزمل
وأن تجار الأقمشة يرتحلون فى بيعها من مكان إلى آخر فى الأحياء
والقبائل وأن البنين هم الذين اشتروا بالتجارة يؤخذ ذلك من قوله
وألقي بصحراء الغبيط بعاهه نزول اليماني ذى العياب المحمل
وأنهم كانوا يعلقون التمايم للأطفال قال
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمايم محول
وأنهم كانوا يستعملون الحرير قال

فظل العذارى برتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المقتل
وأنهم كانوا يستعملون المغازل يغزلون عليها الخيط قال

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل والغناء فلكة مغزل
وغير ذلك من الشؤون المختلفة والأمور الكثيرة التى يجلوها أدب
القصيدة على من يطالعها بأمعان ، وإنما جئنا بنموذج فى ذلك على ما اقتضاه
نظر التاريخ والأدب

قصيدة امرئ القيس الثانية

(ألا عم صباحا أيها الطلل البالي)

قال ذلك الشاعر التاريخي العظيم

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
وهل يعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال ١
وهل يعمن من كان أحدث عهده ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال
ديار لسلمى عافيات بذى الخال ألح عليها كل أسحم هطال
ثم استمر في غزله الفاحش وتشبيهه وجعل يصف معشوقته ويذكر
موقفا من مواقفه معها إلى أن يقول

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقل الخلال ولا قالى
ثم خرج من ذلك إلى ذكر صبوته وفتوته ونبله فقال
كأننى لم أركب جوداً لاذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخلي كرى كرة بعد إجفال ٢
ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحي على هيكل نهى الجزارة جوال ٣
ثم انتقل من ذلك إلى الصيد ووصف فرسه وتشبيهه بالعقاب في شدة
هويه وسرعة كره فقال

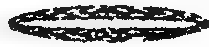
١ المخاد الذى ابطأ عنه الشيب أو هو الصبي الذى ألدس القرمط والأوجال جمع وجل وهو الخوف ، اسبأ أى
اشترى والروى الذى يروى من ثمره ٣ المراد بالهيكل القرمس العظيم ونهد الجزارة أى غليط عصب القوام
والجوال السريع فى كره ورمه

سليم الشظاعبل الشوى شنج النساء له حجبات مشرفات على الفال ١
وصم صلاب مايقين من الوجى كأن مكان الردف منه على رال ٢
وقد أغتدى والطير في وكناتها لغيث من الوسمى رائده خال ٣
تحاماه أطراف الرماح تحاميا وجاد عليه كل أسحم هطال ٤
بعجلة قد أنرز الجرى لحما كيت كأنها هراوة منوال ٥
ذعرت به سربا نقياً جلوده وأكرعه وشى البرود من الخال ٦
كأن الصوار إذ يحاهدن غدوة على جمد خيل تجول بأجلال ٧
نخر لروقيه وأمضيت مقدما طوال القرا والروق أخنس ذيال ٨
فعادى عداء بين ثور ونعجة وكان عداء الوحش منى على بالى
كأنى بفتحاء الجناحين لقوة صيود من العقبان طأطأت شمال ٩

١ الشظى عظم لازق بالذراع عبل الشوى أى غليظ عصب اليدين والرجلين والشنج المنقبض والنساء عرق من
الفخذ الى الكعب ومتى كان الفرس شنج النساء لم تسترخ رجلاه وهذا دليل العتق . والحجبات رموس عظام
الوركين الفال والفائل ايضا عرق عن يمين عجب الذنب أى أصله وعن يساره ٢ المراد بالصم الصلاب حوافر
الفرس ويقين يهين والوجى الحفا أو اشد منه والردف الركب خلف الراكب والرال فرخ النعام ٣ المراد
بالنيث الكلاء على سبيل المجاز والوسمى اول مطر الخريف والرائد الباحث عن الكلاء والخالى الذى يكون فى الخلاء
٤ الأسحم السحاب الأسود والمطال الماطر السال ٥ العجلة الفرس الشديدة واترز ايبس والكميت الفرس
التي لوسها بين السواد والحمره والمراوة الامراء والمنوال خنسة تسمع عليها وينتد عليها التوب وقت المنسح وانما حص
هراوة المنوال لأنها لاتتخذ الا من اصاب الخشب وهذا وجه الشبه ٦ الاكرع جمع كراع وهو مستند الساق
والخال صرب من برود العين الموشاة ٧ الصوار هو السرب والقطيع من بقر الوحش والجمد المكان الصاب المرتفع
والأجلال جمع جل ٨ الروق القرن وطوال بمعنى طويل والقرى الظهر والأخنس المنخفض قصبة الأنف
والذيال طويل القد والذيل المتبخرق مشيته ٩ فتحاء الجناحين عقاب لينة الجناحين طويلتهما والقوة السريعة التي
تختطف كل شئ وصيود أى حادقة فى الصدمه نأدته طأطأ فرسه أى نحزه فتحذيه وحر كذا الشمال الفرس السريعة

تخطف خزان الشربة بالضحي وقد حجرت منها ثعالب أورال ١
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى
ثم ختمها بما يطلبه أمثاله من أبناء الملوك من مجدد وسؤدد فقال
فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنها أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالى
وما المرء مادامت حشاشة نفسه بمدرّك أطراف الخطوب ولا آلى
فهذا الحديث المترقّق فى ماء الحلاوة والرقّة فيما يشبه أن يكون قصصاً
شعرياً ، وتلك السلاسة والتدفق المعجب ، وهذه الفتوة ولطافة المخالعة ،
وذلك الابتكار فى التشبيه ، وهذه اللذات العجيبة التى وصفها من الركوب
والشراب والديب والعشق ، هى امرؤ القيس فى حياة صبوته . وامرؤ القيس
فى ذلك الوقت هو هذه الأشياء أو هو ذلك الشعر الذى لم تشهد جزيرة
العرب قبل هذا الأمير السادر فى بحبوحة الترف وظلال النعم والمملك

١ الخزان يجمع لخزّ والخزّ ذكر الأرنب والشربة موضع وسجرت بالبناء للجهنم أى منعت فلا تخرج
من الخوف وأورال موضع



رأينا في قصيدة امرئ القيس الثانية

سبق أن قلنا إن هذه القصيدة قالها امرؤ القيس في طوره الأول وهو في شبابه قبل مقتل أبيه ، وأنها جاءت بعد المعلقة بشهادة ابن قتيبة ويؤيدنا في ذلك قوله فيها

ألا زعمت بسباسة اليوم أننى كبرت وألا يحسن السر أمثالى
فهو لم يتعرض لذكر الكبر ولا لتعيير النساء له به في المعلقة وهذا مما يصح اعتباره دليلا على أن هذه القصيدة جاءت بعد المعلقة
ولقد ذكر بعض المؤرخين كصاحب معاهد التنصيص أن ابنة قيصر
أحبت امرأ القيس وأحبها وراسلها فأجابته إلى ما سأل وذلك حيث يقول لما
وصل إليها

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
والبستانى أورد ذلك أيضا في دائرة معارفه ولعله نقله عن معاهد
التنصيص وإنى لا أعجب من هذا أشد العجب فأين ابنة قيصر في هذه القصيدة
وأين منها في قوله بعد البيت السابق

وقد علمت سلمى وإن كان بعلمها بأن الفتى يهذى وليس بفعال
فالمرأة التى يتحدث عنها امرؤ القيس اسمها سلمى وهى ذات بعل فلا
شك أنها إحدى خليلاته من نساء الأعراب ويؤيد هذا قوله قبل ذلك
تنورتها من أذرعات وأهلها ييثرب أدنى دارها نظر عال
فأهل تلك المعشوقة كانوا حلولا ييثرب وهى المدينة فضلا عن هذا

أن ابن قتيبة ذكر أن امرأ القيس قال هذه القصيدة قبل مقتل والده أى قبل رحلته إلى قيصر

فالحق أن أصحاب هذا الرأى مخطئون فى زعمهم وأن هذه القصيدة قالها امرؤ القيس قبل مقتل حجر وقبل أن يرحل إلى القسطنطينية وقبل أن يتصل بقيصر وابنته كما يزعمون والقصيدة فى سياقها من أولها إلى آخرها تنهض حجة لنا وعليهم فليس فيها ما يشتم منه رائحة ابنة قيصر بل القصيدة فى جملتها وتفصيلها تقطع بفساد هذا الرأى وتنفيه نفيا باتا

أما الباعث على تلك القصيدة فهو اللهو العام والعبث والرغبة فى قول الشعر ، والمؤثرات التى ظهرت آثارها فى هذه القصيدة هى عين المؤثرات التى تأثر بها فى المعلقة لأن الأماكن التى ذكرها هنا فى هذه القصيدة هى من معاهد البلاد التى جاء ذكرها فى المعلقة فذو الخال جبل مما يلي نجد من ناحية البحرين وكذلك وادى الخزامى من أودية البحرين وأوعال هضبة هناك بالقرب منها الدخول وحومل وتوضع والمقراة وأيضا أذرعات بالشام حيث قطن والستار ويذبل وكذلك الشربة وأورال فى بلاد غطفان وكذلك يثرب وهى المدينة من البلاد التى ضرب على أقدامه فيها . ويظهر أثر هذه المعاهد فى قوله

ديار لسلى عافيات بذى الخال ألح عليها كل أسحم هطال

وفى قوله أيضا

وتحسب سلى لاتزال كعهدنا بوادى الخزامى أوعلى رأس أوعال

وكذلك فى قوله

تنورتها من أذرعات وأهلها يثرت أدنى دارها نظر عال

وفى قوله

تخطف خزان الشربة بالضحى وفد حجرت منها ثعالب أورال

أما أغراض هذه القصيدة فاثنان

أولها التشبيب بالنساء إلى أن يقول

كأننى لم أركب جوادا للذة ولم أبتطان كاعبا ذات خلخال

وثانيهما الصيد ووصف الفرس حتى يقول

كأن قلوب الطير رطباً ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

وبعد ذلك انتهى به القول إلى ما يتطلبه مثله من مجدد وسؤدد

ودرجة هذه القصيدة من البلاغة على سنته المعروفة من الابتداع

وجودة التشبيه من نحو قوله

إذا ما استحمت كان فيض حميمها على متنتيها كالجمان لدى الحالى

وقوله

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

وقوله

كأن قلوب الطير رطباً ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

وتمتاز هذه القصيدة بظهور أثرها بينا فى شعر عمر بن أبى ربيعة فى قصيدته

التي مطلعها

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غسد أم رائح فمبهر
وقد ذكر صاحب كتاب (شرح شواهد الـكشاف) شيئاً من غزل قصيدة
امرئ القيس ثم علق عليه بعد ذلك بقوله إنه أورد هذه الأبيات لحلاوة
الفاظها ولطافة فحواها ثم قال إن قصيدة عمر بن أبي ربيعة (أمن آل نعم)
مشابهة لقصيدة امرئ القيس بمعناها مشابهة اليوم للآمس ومطابقة لها
مطابقة الخمس بالخمس

ومن تأثر بهذه القصيدة من المتأخرين وأعجب بها ابن عبدون الأندلسي
فقد قال مضمناً شطورا منها في دار أنزله بها المتوكل بن الألفطس وكان
سقفها قديماً فهطل عليه منها المطر

أيا ساميا من جانبيه إلى العـلا (سمو حباب الماء حالا على حال)
لعبك دار حل فيها كأنها (ديار لسلى عافيات بذى الخال)
يقول لها لما رأى من دثورها (ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى)
فقلت ولم تعباً برد جوابه (وهل يعمن من ثان فى العصر الخالى)
فمر صاحب الأنزال فيها بعاجل (فأن الفتى يهذى وليس بفعال)

وأما أخلاق امرئ القيس فى هذه القصيدة فالتهتك والفجور والفحش

بدرجة أشد منه فى المعلقة وقد شهد هو على نفسه بالفجور فيها فقال

حلفت لها بالله حلقة فاجر لنا موا فإن من حديث ولاصال

صفات امرئ القيس وأخلاقه

في شيء من أخباره وحوادثه

كان امرؤ القيس جميل الوجه ، طلق المحيا حسن البزة ، وسيم الخلقة وقد ذكر بعض الرواة أن ابنة قيصر عشقته وعشقها لحسنه وجمالها حتى أضغى يرأسها ويختلس غفلة من أبيها فتأتيه ويأتيها قال ذلك ابن قتيبة وصاحب معاهد التنصيص

ولقد شهد ابن سلام على امرئ بأنه كان عاهرا فاحشا في شعره ومسلكا قال « كان من الشعراء من يتأله في جاهليته ويتعفف في شعره ولا يستهتر بالفواحش ولا يتهكم في الهجاء ومنهم من كان يرغب على نفسه ويتعبر ومنهم امرؤ القيس والأعشى »

وقد وقفنا على شيء من هذا الفحش وذلك العهر عند دراسة معلقته وقصيدته الثانية « ألا عم صباحا أيها الطلل البالي » حتى لقد صور إلينا هذا الشاعر في شعره امرأة بلغت من الجمال غاية ومن الحسن نهايته ثم أبرزها إلينا في تلك الصورة البارعة الفاتنة نروح علينا وتغدو عارية

ولقد روى الجاحظ في البيان والتبيين أن سائلا سأل امرأ القيس ما أطيب، عيش الدنيا فقال « بيضاء رعبوبة ، بالطيب مشبوبة ، بالشحم مكروبة » ولئن صح ما قاله الرواة عنه يوم الغدير ليكون هذا أبعد غايات العهر وأقصى درجات الفحش ويسكفي أن يشهد هو على نفسه بالفجور في قوله :

حلفت لها بالله حلقة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صاكن

وأى قول أخش من قوله

فتملك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيته عن ذى تمام محول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحنى شقها لم يحول

وقوله

مصرت بفودى رأسها فتمايات على هضم الكشح ريا التخلخل

أو قوله

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

وقوله

إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير مجبال

كحقف النقا يمشى الوليدان فوقه بما احتسبا من لين مس وتسبال

وقوله يصف قلف قيصر وكان قد دخل معه الحمام فرآه على ما تحدث

به الرواة

إني حلفت يمينا غير كاذبة بأنك أقام إلا ما جنى القمر

إذا طعنت به مالت عماءته كما تجمع تحت الفلكة الوبر

أو قوله يصف موفها من موافف صبو به

يعز عليها ريبتي ويسوءها بكاه فتني الجيد أن يتضوعا

بعثت إليها والنجوم ضواجع حذارا عليها أن تهب فنسمعا

فخأت فطوف المشى هامة السرى بدافع دكتها كواعب أربعا

يزجينا مشى الزيف وقد جرى صباب الكرى في مخها فتقطعا
تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعت مكحول المدامع أتلاعا
وجدك لو شيء أتاناً رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
تصد عن الماثور بيني وبينها وتدنى على السابري المضلعا
إذا أخذتها هزة الروح أمسكت بمنكب مقدم على الهول أروعا
وما أجمل تصويره للمرأة في قوله

وإذ هي تمشى كمشى الزيف يصرعه بالكشيب البهر
برهره رودة رخصة كحروية البانة المنفطر
فتور القيام قطع الكلام تفر عن ذي غروب خصر
كأن المدام وصبوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطار
يعل به برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر

وامرؤ القيس وإن وسها جميلا فاحشا عاهرا يشبب بالنساء ويعبث بهن
إلا أنه كان مفركا فقد روى الميداني عن المفضل الضبي أن امرأ القيس
ابن حجر الكندي كان رجلا مفركا لا تحبه النساء ولا تكاد امرأة تصبر
معه فتزوج امرأة من طيء فابتنى بها فابغضته من تحت ليلتها وكرهت مكانها
معه فجعلت تقول يا خير الفتيان أصبحت أصبحت ! .. فيرفع رأسه فينظر
فإذا الليل كما هو فتقول المرأة أصبح ليل . فلما أصبح قال لها قد علمت
ما صنعت الليلة وقد عرفت أن ما صنعت كان من كراهية مكاني في نفسك
فإذا كرهت مني ؟ فقالت ما كرهتك ، فلم يزل بها حتى قالت كرهت منك

أنك خفيف العجز ، ثقیل الصدر ، سریع الأراقة ، بطيء الأفاقة . فلما سمع ذلك منها طلقها وذهب قولها « أصبح لیل ، مثلاً يضرب فی اللیلة الشدیة التي يطول فیها الشر

وفی نزهة ذوی السکيس والموشح أن تلك المرأة هی أم جندب زوجة امرئ القیس الطائیة وأنه لم يطلقها بعد أن أبانت له مآثرهته متة وأنها لم تزل عنده حتی أتاه علقمة بن عبدة فتذاکرا الشمر عندهما فقال هذا أنا أشعر وقال هذا أنا أشعر ثم تحاکا إليها فقالت لهما قولاً شعراً علی روى واحد وقافیة واحدة یصف فیه کل منكما فرسه وینعت الصید فقال امرؤ القیس قصیدته التي مطلعها

خلیلی مرابی علی أم جندب لنقض لبانات الفؤاد المعذب
وقال علقمة قصیدته التي مطلعها

ذهبت من الهجران فی کل مذهب ولم یک حقاً کل هذا التجنب
فقالت المرأة لامرئ القیس علقمة أشعر منك لأنک زجرت فرسک وحرکتہ بساقلک وضربته بسوطک ورأیت علقمة أدرك الصید ثانياً من عنانه بمر کمر الرايح المتحاب . فغضب علیها امرؤ القیس وقال لها لیس كما قلت ولا کنک هویتة ثم طلقها فتز وجها عاقمة بعد ذلك وقد جاء فی بعض الأهوال أنه سمی علقمة الفحل لهذا

وسأل امرؤ القیس مرة إحدى نسائه عما یکره النساء منه فقالت إنک إذا عرقت فحت یریح کلب فقال أنت صدقتی ، إن أهلی أروضعونی لن کلب

ولم تُصبر عليه من زوجاته إلا امرأته من كندة وكان أكثر ولده منها
أما ذكاء هذا الشاعر وحدة خاطره وسرعة بديهته فنحن نقف على ذلك
في شعره وفيما ذكره الرواة فقد قص علينا على بن ظافر (صاحب كتاب
بدايع البداية) في أنبائه قصة ذكرها غيره أيضا كصاحب شعراء النصرانية
واحتج بها الأستاذ (أحمد أمين) في كتابه فجر الإسلام على ما كان عند
أغراب الجاهلية من الألغاز والأحاجي التي استعملوا فيها الشعر . ولئن صحت
تلك القصة وصدق على ومن تابعه فأنها تنشر بين أيدينا صحيفة من ذكاء هذا
الشاعر الخالد . أنظر إليه وقد أقبل عليه عبيد بن الأبرص يسأله ما معرفتك
بالأوابد ؟ فقال قل ما شئت تجدني كما أحببت فأخذ عبيد يلقي عليه ألغازا في
أبيات من الشعر وأمرؤ القيس يحل تلك الألغاز على البديهة في شعر أيضا
وتلك مقدرة فائقة وذكاء متوقد نعهدهما في فتي كندة

قال عبيد

ما حية مية قامت بميتتها درداء ما أنبتت سنا وأضراسا

فقال امرؤ القيس

تلك الشعيرة تسقى في سنا بلها فأخرجت بعد طول المكث أكدا سا

فقال عبيد

ما السود والبيض والأسماء واحدة لا يستطيع لهن الناس تمسا سا

فقال امرؤ القيس

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها دوىها من محول الأرض أبسا سا

فقال عبيد

ما مرتجات على هول مراكبها يقطعن طول المدى سيرا وأمراسا

فقال امرؤ القيس

تلك النجوم إذا حانت مطالعها شبهتها في سواد الليل أقباسا

فقال عبيد

ما القاطعات لأرض لا أنيس بها تأتي سراعا وما يرجعن أنكاسا

فقال امرؤ القيس

تلك الرياح إذا هبت عواصفها كفى بأذيالها للترب كناسا

فقال عبيد

ما الفاجعات جهارا في علانية أشد من فيلق مملوءة باسا

فقال امرؤ القيس

تلك المايا فما ييقين من أحد يكفتن حمقى وما ييقين أكياسا

فقال عبيد

ما السابقات سراع الطير في مهل لا يشتكين ولو طال المدى باسا

فقال امرؤ القيس

تلك الجياد عليها القوم قد سبحوها كانوا لهم غداة الروع أحلاسا

فقال عبيد

ما القاطعات لأرض الجوفى طلق قبل الصباح وما يسرين قرطاسا

فقال امرؤ القيس

تلك الامانى يتركن الفتى ملكا دون السماء ولم ترفع له راسا
فقال عبيد

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر ولا لسان فصيح يعجب الناسا
فقال امرؤ القيس

تلك الموازين والرحمن أنزلها رب البرية بين الناس مقياسا
وقد روى صاحب الأغاني عن محمد بن القاسم حديث الحق لا حديث
الباطل كما يقول فقال

إن امرأ القيس آلى بألية ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة
وثنتين فجعل يخطب النساء فأذا سألن عن هذا قلن أربعة عشر فبينما هو
يسير فى جوف الليل إذ هو برجل معه ابنة له كأنها البدر ليلة تمامه فأعجبته
فقال لها يا جارية ما ثمانية وأربعة واثنتان فقالت أما الثمانية فأطباء السكبة
وأما الأربعة فأخلاف الناقة وأما ثنتان فتدنيا المرأة فخطبها إلى أبيها فزوجه
إياها وشرطت هى عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال فجعل لها
ذلك ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الأبل وعشرة أعبد وعشر وصائف
وثلاثة أفراس ففعل ذلك ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نحيا
من سمن ونحيا من عسل وحلة من قصب فنزل العبد ببعض المياه فنشر
الحلة ولبسها فتعلقت بشعره فانشقت وفتح النحيين فأطعم أهل الماء منهما
ففقصا ثم قدم على حى المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها
ودفع إليها هديتها فقالت له أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد

قريبا وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين وأن أخي يراعى الشمس وأن
سما كم انشقت وأن وعاءكم نضبا فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال امرؤ القيس
أما قولها إن أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا فأن أباها ذهب يحالف قوما
على قومه، وأما قولها ذهبت أمي تشق النفس نفسين فأن أمها ذهبت تقبل
امرأة نفساء، وأما قولها إن أخي يراعى الشمس فأن أخاها في سرح له
يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وأما قولها إن سما كم انشقت
فأن البرد الذي بعثت به انشق، وأما قولها إن وعاءكم نضبا فأن النحيين
الذين بعثت بهما نقصا، فأصدقني ! .. فقال يامولاي إني نزلت بماء من مياه
العرب فسألوني عن نسي فأخبرتهم أني ابن عمك ونشرت الحلة فانشقت
وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء . فقال أولى لك. ثم ساق مائة من
الأبل وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلا فخرج الغلام يسقى الأبل
فعبجز فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام في البئر، وخرج حتى أتى حى المرأة
بالأبل وأخبرهم أنه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما أدري
أزوجي هو أم لا ؟ ! انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا
وأكل، فقالت اسقوه لبنا حازرا وهو الحامض فسقوه فشرب، فقالت
افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له قنام . فلما أصبحت أرسلت إليه
إني أريد أن أسألك، فقال سلى عما شئت. فقالت مم تختلج شفتاك ؟ قال
لتقبيلي إياك . قالت فمم تختلج كشحاك ؟ قال لا لتزأى إياك . قالت فمم
يختلج نخذاك ؟ قال لتوركى إياك . قالت عليكم بالعبد فشدوا أيديكم به

ففعّلوا . و مر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر فرجع إلى حيه فاستاق مائة من الابل وأقبل إلى امرأته فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما أدري أهو زوجي أم لا ؟ ولكن انحروا له جزورا فاطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فلما أتوه بذلك أبي أن يأكل وقال وأين الكبد والسنام والملحاء ؟ فقالت اسقوه لبنا حازرا فأبى أن يشربه وقال فأين الصريف والرثيثة . فقالت افرشو له عند الفرث والدم فأبى أن ينام وقال افرشوا لي فوق التلعة الحمراء واضربوا لي عليها خباء . ثم أرسلت إليه هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث فقال لها سلى عما شئت فقالت له مم تختلج شفتاك ؟ قال لشربي المشعشات ، قالت مم تختلج دشجاك ؟ قال للبسي الحبرات قالت فمم يختلج فخذاك قال لركضى المطيات . قالت هذا زوجي لعمرى فعليكم به واقتلوا العبد ، فقتلوه وتزوج امرؤ القيس بالمرأة

ونحن وإن كنا نأخذ بالحيلة في شأن هذه القصة فلا ندعيها حديث الحق لا حديث الباطل إلا أنه قد يكون لها نصيب من الصحة في جملتها لا في تفصيلها وهي إن صحت - وهذا مانشك فيه - تدل على أن امرأ القيس ينشد في زوجته وشريكه حياته الجمال والدكاء ، كما يبدو في خلاها أيضا ذكاء ذلك الشاعر حين فهم المراد من رسالة خطيبته مع مولاه وخادمه ، ونلح فيها أيضا شمه ونبله حين عاف أن يأكل الكرش والذنب ويشرب حازر اللبن وينام على الفرث والدم ، وأبى إلا أن يكون الكبد والسنام والملحاء له طعاما والصريف والرثيثة له شرابا ، ولم ينم إلا على فراش فوق التلعة

الجرأ وقد ضرب عليها خباء . ونقف أيضا على نبه وعزه عندما أخذت
زوجته تاقى عليه مسائلها وهو يجيها بشرب المشعشات ولبس الحبرات
ورفض المطيات على حين غيره جعل نفسه فخا يناع على الابل تختلج
شفته من تقيلها وكشحا من التزامها وفخذه من توركا

وليس أدل على شجاعة امرئ القيس وإقدامه من تلقيه لنعى أبيه بجأش
رابط وقلب ثابت لم يعرف إليه الجزع سيلا ثم إبلاته على نفسه بعد ذلك
أن لا سكر ولا خمر ولا هو ولا طرب حتى يثأربا أبيه من بنى أسد ، وهب
إليهم فأنهل سيفه من دمائهم وأعله وصاح فيهم صيحة قذفت عاليهم
على سافلهم

يطعنهم سلكى ومخلوجة كرك لامين على نابل

بعد ذلك أباح لنفسه ما كان منع فقال

حلت لى الخمر وثنت امرأ عن شربها فى شغل شاغل
قال يوم أسقى غير مستحقب إثما من الله ولا واغل
وكان امرؤ القيس شديد الظنة فى شعره كثير المنازعة لاهله مدلا فيه
بنفسه محبا للظهور على أقرانه كارها أن ينتصر عليه غيره . قابل التوأم
اليشكرى فقال له إن كنت شاعرا فأجز أنصاف ما أقول فقال التوأم
فل ماشئت

فقال امرؤ القيس : أصاح ترى بريقا هب وهما

فقال التوأم كئار مجوس تستعر استعارا

: فقال امرؤ القيس أرقت له ونام أبو شريح
فقال التوأم إذا ماقات قد هداً استطارا
فقال امرؤ القيس كأن هزيمة بورا غيب
فقال التوأم عشار ولها لاقت عشارا
فقال امرؤ القيس فلما أن علا لنفى أضاح
فقال التوأم وهت أعجاز ريقه فخارا
فقال امرؤ القيس فلم يترك بذات السر ظبيا
فقال التوأم ولم يترك بجلتها حمارا
وتلك الحكاية رواها أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء وقد ذكر أن
امراً القيس لما رأى بماتنة التوأم له آلى على نفسه ألا ينازع أحدا بعده
ولو نظرنا إلى الكلامين كما يقول ابن رشيق في عمدته لو وجدنا التوأم
أشعر في شعرهما هذا لأن امرأ القيس مبتدىء ماشاء هو في فسحة مما أراد
والتوأم محكوم عليه بأول البيت مضطر في القافية التي عليها مدارهما جميعا
ومن هنا والله أعلم عرف له امرؤ القيس من حق الماتنة ما عرف



عقيدة امرئ القيس الدينية

قبل أن نأخذ في دراسة عقيدة امرئ القيس نلم بشيء من يثته الدينية ونذكر في حدود الإيجاز ما كانت عليه ديانات العرب في ذلك العصر الجاهلي فقد كانت عقيدتهم واهنة ، ودينهم شتى ، ونحلهم مختلفة ، ومذاهبهم متباينة فجاء الإسلام والنزعات الدينية لديهم ترجع إلى ثلاثة أصول كان لها الأثر الأكبر في نظمهم الاجتماعية ، وحياتهم العقلية ، وفي أخلاقهم وعاداتهم وهذه الأصول الثلاثة هي اليهودية والنصرانية والوثنية والأخيرة كانت الدين الغالب إذ ذاك حتى عم انتشارها جل أصقاع الجزيرة العربية فالعرب القدامى منهم الصائبة عبدة الكواكب والأجرام السماوية ، ومنهم عبدة الأوثان والأصنام ، ومنهم عبدة الملائكة والجن فالشمس معبودة حمير ، والقمر والدبران إلهان كنانة ، والمشتري إله الحنم وجذام ، وسهيل إله طيء وعطارد إله أسد ، واللات إله ثقيف ، ومناة إله هذيل وقضاة ، وود إله بني كلب ... وغير ذلك من الكواكب والأصنام التي اختصت بعبادتها قبائل بأعيانها . وإنه ليطول بنا القول إن نحن أسندنا إلى كل قبيلة إلهها وتقصيدنا جميع أسماء تلك الآلهة ، وعلى الجملة فقد جعلت العرب آلهة في الشمس والقمر والشعري والثلثيا والجوزاء والجدى والحمل والدرار وسهيل والمشتري والعبور وعطارد ... ومن أصنامهم ود وسواح ويعوث ويعوق ونسر واللات والعزى ومناة والهبل الأكبر وأساف ونائلة وغيرها مما ورد ذكره في كتاب الأصنام . وكان في الكعبة تمثالان

لأبراهيم الخليل وولده إسماعيل وكل منهما قابض على نبال الكهانة
ومعرفة المستقبل

ومن شعائرهم الدينية القرايين يذبحونها على النصب ويتزلفون بها إلى
أصنامهم وآلهتهم ، وكانوا يحجون ويعتصرون ويحرمون ويطوفون
ويسعون بين الصفا والمروة ملبين إلا أن كثيرا منهم كان يشرك في تلييته
ولأنوا يقفون مواقف الحج كلها ويهدون الهدايا ويرمون الجمار ويعظمون
الأشهر الحرم فلا يكون فيها عدوان ولا قتال إلا قبائل طيء وخثعم
وبعض بني الحارث بن كعب فأنهم ما كانوا يحرمون ولا يعتصرون ولا
يحرمون الأشهر الحرم ولا البلد الحرام

ويقال إن عمرو بن لحي أول من أدخل عبادة الأصنام إلى بلاد العرب
وإنه أتى بها من البلقاء حين خروجه إلى الشام في بعض شأنه

أما اليهودية فشعائرها وتعاليمها تستمد من التوراة وأشعار العهد القديم
والتلمود وبقية الأسرانيات ، وقد دخلت تلك الديانة بلاد العرب لقربها
من فلسطين مهد هذا الدين وأيضا لأن اليهود طالما نزحوا إلى بلاد
العرب مما يلي بلادهم إما فرارا من القتل وإما التماسا للرزق وقد سكن كثير
منهم بلاد العرب فانتشر دينهم حتى بلغ بلاد اليمن في أيام ذي نواس
الحميري وفي السيرة لابن هشام أن اليهودية دخلت بلاد اليمن على عهد تبع
وأن بعض القبائل العربية في غير هذا الأقليم قد عرفت هذا الدين قبل عهد تبع
والنصرانية مرجعها الأناجيل ورسائل الحواريين والمهد الأول لهذا

الدين بلاد فلسطين المتاخمة للجزيرة العربية ولذلك نرى أن المسيحية تدخل بلاد العرب ، وفوق ماتقدم - على ما يقولون - فإن القديس توما دان أول من بشر بها في بلاد اليمن كما بشر بها بولس الرسول في أطراف الشام وما تاخامها فاعتنقها كثيرون من عرب الحيرة وغسان وكندة وغيرهم وفي سيرة ابن هشام أن أول من بشر بهذا الدين في نجران من بلاد العرب فيميون وحواريه عبد الله بن الثامر ولما اضطهد النصارى في القرنين الثالث والرابع في مختلف الأقطار التي ناوأَت المسيحية هاجر فريق منهم إلى بلاد العرب وأقاموا فيها

وقد قال أستاذي الدكتور « العناني » في محاضراته عن تاريخ الفلسفة العربية إنه ليس في شعائر الأسرائيليين والمسيحيين ولا في كتبهم شيء من مجهود العقل العربي بخلاف الوثنية العربية فأن أساطيرها وليدة الفكر العربي وإن كان في أصل نشأة الكثير منها عامل النقل والتقليد

والعقائد الوثنية العربية غير محكمة التأسيس وغير قائمة على نظريات عقلية واضحة أو معتقدات عامة شاملة ، فقد اختلفت وجهة نظرها في المبدأ الأول أو الخالق فتارة تركز على أساس من التوحيد وتقول بآله واحد هو الاله كبر وأن الاله الآخر بن ليسو سوى وسيلة يتوسل بها إليه وأن عبادتها لا يقصد بها سوى التقرب من ذلك الواحد الاحد والزلفى إليه ، وطورا وهو الشائع تخص كل إله بنفوذ الخاص وتطلب عبادته لذاته وهي مع ذلك في حالة اضطراب في أمر المعاد فتراها أحيانا دهرية لايهاكم

إلا الدهر وليس النشر عندها بعد الموت سوى حديث خرافة ، كما نراها في مواطن متعددة تؤمن بالبعث والنشور والثواب والعقاب وكما أن الوثنية كانت غير قائمة على نظريات عقلية واضحة كانت أيضا غير مهذبة النواحي والتكوين العام لهذا لم تصل إلى تكوين ديانة راقية نوعا ما تهذب النفوس وتؤثر في تحديد نظم الاجتماع شأن الوثنيات الأخرى لدى قدماء المصريين والجرمان واليونان والرومان و كان من جراء ذلك أن بقيت القبائل العربية بدوية في حياتها الاجتماعية محافظة على أخلاقها وعاداتها المكتسبة من طبيعة البلاد معتزة بمجد القدماء وشرف القبيلة جانحة للغزو والسلب وسفك الدماء لاوهى الأسباب

وقد كانت مقاليد الوثنية العربية وأزمة أساطيرها بيد الكهنة والعرافين فكان العرب يعتقدون في الحكا عن أنه قديسهم الدينى وقدوتهم الصالحة وعالمهم الحكيم الذى يرجع إليه فى أمر الخصومات وتحديد المعاملات وهو طبيبهم القادر على شفائهم فكانوا يتلقون عنه أصول الشريعة وقواعد الدين ويستفتونه فى كل ما يشكل عليهم ويستنبئون عنه مستقبلهم وهم فى ذلك يؤمنون إيمانا صادقا بكل ما يقول لأن قوله عندهم غيب ووحى حق يصل إليه عن الأرواح المشرفة على أسرار الطبيعة والتي تظهر أحيانا فى الأصنام . وكانت للحكمة عند العرب لغة خاصة تمتاز بنوع من السجع الغريب المؤثر وتعرف بالغموض والتعقيد لتكون صالحة لكل ما سيحدث وقادرة على صدق الدعوى بأن ما حدث إنما هو ما تنبأت به وأشارت إليه

وقد اشتهر في العرب عدد كبير من الكهان كشق وسطيع وخنافر
الخيري وسواد بن قارب الدوسي . ومن الكهان من كان ينسب إلى قبيلته
أو بلده ككاهن قريش وكاهن حضرموت وشاع ذلك على الخصوص في
العرافين كالأباق السعدي عراف نجد ورباح بن عجلة عراف اليمامة فقد
ذرها عروة بن حزام بدون اسم في قصيدته التي مطلعها
خليلي من عليا هلال بن عامر بصنعاء عوجا اليوم واططراي
حيث يقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إنهما شفياني
وأیضا نبغ في الكهانة والعرافة عند العرب عدد كثير من النساء
ككاهنة اليمامة التي أنذرت بخراب سد مأرب وبجيء سيل العرم وزبراء
وسليمة الخيرية وفاطمة الخثعمية وزرقاء اليمامة وغيرهن من ذوات التجارة
والاحترام

وعلى حاشية هذه الأديان الثلاثة ساق القدر إلى الجزيرة العربية دينا
طفيليا لم يلق من العرب رواجاً ولم يجد منهم نفوساً تصلح لنمائه وانتشاره
ذلك الدين هو دين الزندقة ومهده الأول بلاد الفرس ويعرف بدين
المزدكية نسبة إلى الزنديق مزدك ذلك الرجل الفارسي الذي وجد على عهد
قباد وانتحل هذا الدين وذهب فيه إلى إباحة الأموال والنساء والمتاع
وجعل الناس شركة فيها فهو دين إباحي أشترأكي . وقد قدمنا عند كلامنا
على (أسرة امرئ القيس) أن كسرى قباد تعصب لمزدك ودعا الناس إلى

اعتناق مذهبه وحمل رجاله على التشيع له راجيا أن يستولى بذلك على مافى
أيدي رعيته من الأموال والمتاع وكان ممن شايعه من العرب الحارث
الكندى جد امرئ القيس وملك لئدة فحمل هذا الدين إلى البلاد العربية
لافتتعا به ولا راضيا عنه ولكن لأموور سياسية وشهوات خاصة بسبب
ماكان بينه وبين المنذر ملك الحيرة الذى حاق به مكر قباذ وشرده فى البلاد
حين ازور عن دين مزدك ونأى بجانبه ولم يتشيع لمبادئه

على أن هذا الدين لم يكد يتجاوز عتبة الجزيرة العربية ويخطو فيها
خطوة يسيرة حتى نكص على عقبيه وأرتد خائبا مدحورا فقد فعلت فيه
السياسة أفاعيلها فقضت عليه وهو فى مهده فأن قباذ أكبر أشياع المزكية
أدرسته منيته وسجاس بعده على عرش الكسروية ابنه أنوشروان وكان
ساخطا على هذا الدين وصاحبه وأشياعه ، فكان نصيب قباذ القتل مع طائفة
كبيرة من المزدليين وكان نصيب الحارث الكندى التشرذ فى البلاد

ونحن

ولفسرخ إلى القول فى عقيدة امرئ القيس الدينية بعد أن أخذنا
بيدك وتخطينا بك القرون ثم طوفنا بك فى أنحاء الجزيرة العربية وأوقفناك
على ماكان فيها من نحل ومذاهب ، وأهواء وعقائد . فما هو دين امرئ القيس
بين ذلك ياترى ؟ أكان على النصرانية أم دان بالمزكية أم اعتنق الوثنية
أم اتلمى إلى اليهودية ؟

أما تهود ذلك الشاعر العظيم فلم يقل به أحد ولم يقم عليه أى دليل

فلم يبق إلا أن يكون نصرانيا أو مزدكيا أو وثنيا ، آراء ثلاثة قال بها الباحثون ولكل حجة يدلى بها ودليل يستند إليه ويعتمد عليه

فأما أصحاب وثنيته فأنهم تستندون إلى تسميته وإلى حادثة من حداثته قالوا إن اسمه امرؤ القيس وقيس صنم من أصنام الجاهلية فيكون المعنى إنسان القيس أو عبد القيس كما يقال عبد اللات وعبد العزى وفي هذا - على زعمهم - دلالة على وثنية هذا الشاعر . ومن أدلتهم أيضا ملرواه الأغاني وغيره من أن امرأ القيس حين خروجه لغزو بني أسد مر بتبالقوفها صنم تعظمه العرب يقال له ذو الخلاصة فاستقسم عنه بقداحه الثلاثة لا تمر والنأهى والمتربص قالوا ولو لم يكن امرؤ القيس وثنيا لما استقسم بهذه القداح عند ذلك الصنم

وذاذك برهانيان مردودان فأن ، قيس ، وإن كان من أسماء أصنام عرب الجاهلية إلا أنه جاء في القاموس واللسان والتاج وغيرها من معاجم اللغة أن (القيس الشدة ومنه امرؤ القيس أى رجل الشدة) وورد في أشعار العرب أيضا لفظة قيس بمعنى الشدة قال الشاعر :

وأنت على الأعداء قيس ونجدة وللطارق العافى هشام ونوفل
وعلى ذلك يكون معنى امرؤ القيس أو عبد القيس عبد الشدة كما يقال عبد الجبار وعبد القوى وعبد الحق وعبد الميزن وغير ذلك من أسماء المعاني التى نصدق على الله سبحانه وتعالى ويضاف إليها كلمة عبد ولهذا يجوز الأصمعى أن يقول فى روايته للمعاقبة (يا امرأ الله فانزل) بدل (يا امر

القيس فانزل) لأن المعنى في نظره واحد ولو لا ذلك لما اختار الأصمعي تلك الرواية التي تمنع اللبس وتفرق بين قيس الصنم وقيس بمعنى الشدة على أننا لو سلمنا أن المراد من قيس الصنم فأن ذلك لا ينهض حجة على وثنية هذا الشاعر لأن استنباط الديانات من الأسماء قد لا يكون له قيمة ولا يوصل إلى نتيجة فأننا نرى بين المسلمين الآن من يتسمى بعبد الرسول فهل معنى ذلك أنه يعبد الرسول ولا يعبد الله ، وقد نجد أسماء مشتركة بين المسلمين والنصارى واليهود كأبراهيم وهوى فلم لا يكون الأمر كذلك في الجاهلية ؟ ولقد تسمى جد النبي عليه الصلاة والسلام في الجاهلية بعبد المطلب ومع ذلك فهو لم يكن يعبد عمه المطلب بن عبد مناف القرشي ولا سولت له نفسه ذلك ولا جال بخاطره شيء من هذا ، فضلا عن كل هذا فأن لا مرىء القيس عم اسمه عبد الله وفي ذلك كله ما يقرع توهمهم ويسقط دليلهم

أما عن دليلهم الثانى فيكفى لإبطال زعمهم أن امرأ القيس لما أجال القداح ثلاث مرات وخرج له الناهى في كل مرة جمعها وحطمها ثم قذف بها في وجه الصنم وقال له « مصصت بظر أمك لو أبوك قتل ماعقتنى » فلو كان امرؤ القيس ممن يعبد الأصنام ويعظمها لما ألقى بالقداح في وجه الصنم ولا سبه ذلك السباب المقذع

أما استقسامه بالقداح فثأنة فعل ذلك أخذا بعادات الجاهلية ومثل تلك العادة شائعة الآن بين كثير من الأمم الراقية ذات الأديان السماوية

أما عن الرأي الثاني وهو مزدكية امرئ القيس فزعيمه « الأب أنستاس الكرملي » الذي ذهب في مجلة المشرق إلى أن امرأ القيس كان على دين مزدك واستند في ذلك إلى ما وقع لهذا الشاعر مع النساء من تطبيق وز واج وما أرتكبه من الفواحش وإلى أن المزدكية كانت تستحل كل منكر سوى القتل وبعض أمور لا يؤبه لها وأورد قول ابن النديم في الفهرس بأن مزدك زعيمهم أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشراب والمؤانسة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه . وقال بعد ذلك أنستاس إن المزدكيين مرءون في دينهم فهم وفاقون كل من يصادفهم بدون أن يبينوا له ماهية دينهم ولكونهم كانوا مبغضين من الجميع لم يدع امرؤ القيس في أشعاره ما يشتم منه رائحة مذهبه وجعل أنستاس أكبر دليل له على مزدكية امرئ القيس . أن جده الحارث اعتنقها أيام كسرى قباد ولم يذكر عن امرئ القيس ولا عن أبيه ما يشعر بأن واحدا منها ترك دين الحارث ، وتمسك بأهداب دين آخر

كلام وجيه ولكنه غير خالص في الحق والرد عليه أوجه ومناقضته ألد وأعذب فأن استناد أنستاس إلى سيرة امرئ القيس وأعماله تلك السيرة التي لا يستحلها دين مستقيم ليس نافعا للدلالة على مزدكية ذلك الشاعر وإلا صح أن يقول إن أبا نراس ومن على شاكلته من شعراء المجوس في الجاهلية والأسلام كانوا على دين مزدك ثم إن مزدك على ما رواده الطبري

والشهرستاني وابن الاثير وغيرهم كان ينهى عن قتل الحيوان زعما منه أن ذلك من الكبائر وأن الاقتيات لا يجوز إلا من النبات ولكن امرأ القيس كان على غير ذلك فلقد كان صائدا ماهرا نصف ديوانه في وصف خروجه لصيد الأوابد وقنص الوحوش وتعاطى لحومها. أما عن إفراط امرئ القيس في الزواج فأنه فعل ذلك جريسا على عادة العرب في الزواج بأكثر من زوجة وكذلك تابع العرب في استباحة الطلاق وليس في ذلك حجة على من يقول بنصرانية امرئ القيس فأن بعض فرق النصارى تبيح الطلاق والزواج مرارا

أما عن مزدكية جده الحارث فأننا نعلم أنه اعتنقها على عهد قباد وبعد أن شب ونشأ على دينه القديم اعتنقها لأغراض سياسية حتى يستولى على الحيرة وينزل عن سريرها منافسه المنذر وكان سبيله إلى ذلك أن يشايع قباد على ما يبتغيه والغاية تبرر الوسطة ، على أن بعض المؤرخين ذكر أن قباد نفسه لم يعتنق هذا المذهب إلا لأغراض سياسية وأطماع قامت بنفسه وهي أن يصل إلى ما في أيدي رعيته وأتباعه من الأموال والمتاع فقد كان أعيان الفرس وأشرافهم يحرزون أموالا كثيرة وعقارات كبيرة القيمة فأراد قباد أن يستعين بهذا المذهب على مشاركتهم فانتحله وتعصب لصاحبه ، فقباد اعتنق هذا المذهب لأغراضه وشهواته وتابعه عليه الحارث الكندي لأغراضه وشهواته أيضا فآذا زال السبب زال المسبب فأن قباد قد توفي وتولى بعده ابنه أنوشروان وعاد المنذر إلى عرشه على الحيرة

وشرد الحارث في البلاد فلم بعد في حاجة أن يطهر بمظهر ديني يخالف عقيدته الأولى التي نشأ عليها آباؤه منذ الطفولة فلا بد أنه قد ارعوى عن ضلاله ورجع عن غوايته أما غضب أنو شروان عليه فما كان إلا اتصارا وتعصبا للمنذر الذي أحبه أنو شروان حبا جما وأيضا لما كان قد أضمره من بغض شديد للحارث منذ كان على عهد والده الذي كان أنو شروان ساخطا على مسالكه وممالك من كان من أعوانه وشيعته ، وما نسي أنو شروان حادثة قباز مع أمه ويوم قبل الأرض بين يدي ذلك الزنديق الفاحش

ومهما يكن من شيء فأن الحارث كان وقت اعتناقه للمزدكية ملكا على كندة والحيرة وابنه حجر كان بمنأة عنه فقد كان ملكا على بني أسد وملحقاتها وإنه ما كان لحجر ولا لامرئ القيس غرض يبتغيانه من وراء اعتناق هذا المذهب الذي شهد عليه أنستاس نفسه بأنه كان مبغضا من الجميع ولذلك فنفسهما لا تحدهما يوما من الأيام باعتناق مبادئه ولقد كان الحارث نفسه مرائيا في عقيدته التي ظهر بها أمام قباز لائنه حاكم مسلط والناس على دين ملوكهم والسياسي الحازم من لبس لكل حالة لبوسها

ثم إننا نعلم تلك الحروب الطاحنة التي أثارها امرؤ القيس مطالبا بثأر أبيه ونعلم أيضا تلك المواقع الحربية التي كانت بين عميه سلمة وشرحيل والتي قتل فيها كثير من الأئفس وأنجلت عن قتل سلمة وشرحيل مع أن المزدكية تحرم القتل والحرب فقد قال الشهرستاني في الملل والنحل « كان

مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال فأحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها ، ذلك مذهب مزدك الاجتماعى الذى يحرم القتل وسفك الدماء فأين أثر ذلك الدين فى نفس امرئ القيس وفى نفس عمومته وهم أصحاب تلك الحروب المبيرة ، وما يدل أيضا على أن المزدكية لم تتغلغل فى قلب الحارث نفسه ولم يعتنقها اعتناق المؤمن الموقن وإنما كان مرآيا فى تظاهره بها وتشيعه لها تلك الحروب التى قام بها الحارث نفسه فى بلاد العرب يبغي بها إذلال منافسيه والقضاء عليهم . على أن هذا المذهب المزدكى لم يلق بين العرب رواجا ولا يكاد يعرفه منهم أحد لأن العربى لا يرضى لنفسه أن يباح عرضه وماله وهو صاحب الشمم والآباء والعزة والأنفقة المضروب بها المثل

فلا يمكن بعد هذا أن يكون امرؤ القيس مزدكيا ولا بد أنه كان نصرانيا . ولقد عده الأئمة لويس شيخو فى شعراء النصرانية . وليس أدل على نصرانية هذا الشاعر من أننا نجد فى شعره كثير من إقراره بالله وقدرته وحسابه وغير ذلك من عقائد النصارى والأديان السماوية التى لا يعرفها ولا يقرها الوثنى ولا المزدكى وإنما يقول بها من كان متألها فامرؤ القيس هو القائل :

أرى إلى والحمد لله أصبحت ثقالا إذا ما استقبلتها صعودها
وقال أيضا :

اليوم أسقى غير مستحقب إنما من الله ولا واغل
وقال :

والله أنجح ماطلبت به والبر خير حقيقة الرحل
وقد قال النعالي في كتابه الأعجاز والأيجاز هذا يدت من جوامع الكلم
فأن فيه الاستتجاح بالله ومدح البر والحث عليه
وقال امرؤ القيس أيضا

تلك الموازين والرحمن أنزلها رب البرية بين الناس مقياسا
حين سأله عبيد بن الأبرص
ما الحاكون بلا سمع ولا بصر ولا لسان فصيح يعجب الناسا
وقال أيضا

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها روى بها في محول الأرض أياسا
عند ما سأله عبيد

ما السود والبيض والأسماء واحدة لا يستطيع لمن الناس تمسسا
وفي شعر امرئ القيس كثير من الإشارات النصرانية فمن ذلك قوله في
مصاييح الرهبان

نظرت إليها والنحوم كأنها مصاييح رهبان تشب لقفال
وقوله

تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل
وقوله

يضيء سناه أو مصاييح راهب أمال السليط بالذبال المقتل
ومن ذلك أيضا قوله في مصاحف الرهبان
أتيت ججيج بعدى عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان
وقال يصف كلاب صيد قد أدركت قنيصة ذا كرا أن حاج بيت المقدس
يتبرك بثوبه ولدان النصارى ومثل تلك العادة لا يعرفها إلا من نشأ في
بيئة نصرانية

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس
وقال ذا كرا الأران وهو تابوت النصارى
وعنيس كالأواح الأران نسأتها على لاحب كالبرد ذى الحبرات
حتى في ساعة فجوره وفخشه ما كان ينسى دينه وربيه . أنظر إليه حين
يقص موقفا باغ فيه غاية الفحش والعبر وهو مع ذلك يظهر تأله في قوله
سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال
فقباليت سياك الله إنك فاضحي ألسيت ترى السمار والناس أحوالى
فقلبت يمين الله أبرح قاعدا وأوقفه وأرأسى لديك وأوصالى
حلقت لها بالله حلقة فاجر لنا موا قما إن من حديث ولاصال
ولا جل أن يفهم القارىء مقدار فحش هذا الموقف تذكر له أن بعض
شراح ديوان امرىء القيس فسروا البيت الأول بما يلتئم مع تغيير كلمة
(إليها) بكلمة (عليها)

هذا استدلال على نصرانية امرىء القيس أخذنا من قوله وأشعاره . أما

من جهة التاريخ فأن المؤرخين ذكروا أن النصرانية كانت منتشرة في كندة
ومن الدلالات التاريخية التي لا يمكن أن يتطروا الشك إليها ما ذكره ياقوت
في معجم البلدان عن عمه امرئ القيس هند بنت الحارث المعروفة بهند
الكبرى زوجة المنذر بن ماء السماء^١ وأم عمرو بن هند ذكر ياقوت عنها
أنها ابنت ديرا يعرف بدير هند الكبرى وكتبت في صدره « بنت هذه
البيعة هند بنت الحارث بن عمرو وأمة المسيح وأم عبده وبنت عبيدة، وأنت
تجد في شهادة ياقوت نصرانية هند ونصرانية ولدها عمرو ونصرانية أبيها
الحارث بن عمرو الكندي طريد أنو شروان والمنذر بن ماء السماء والذي
شاع المزدكية مرأيا حينما من الدهر وتلمح فيها ضمنا نصرانية امرئ القيس
ونصرانية أجداده الذين لا بد أن يكون امرؤ القيس نشأ على دينهم . ثم إن
فاطمة بنت ربيعة أم امرئ القيس من تغلب وتغلب كلها على دين النصرانية
ومن كل هذا نقف على حقيقة دين ذلك الشاعر وهو النصرانية . ولئن
قلنا بنصرانية امرئ القيس فلا يمكننا أن نقول إنه كان متمسكا بدينه
تمسك البررة الأطهار والقسس والرهبان ، بل إنها كانت نصرانية شخص
مستتر لا يبالي كثيرا بالدين وفرائضه والله أعلم

١ قدما في غير هذا الموضع ان المنذر هذا زوج هند بنت الحارث الكندي هو عمه عدو الحارث ايضا ومناحه

امرو القيس بعد مقتل أبيه

قدمنا فيما سبق أن حجرا أباه كان ملكا على أسد و غطفان وأنه قد عتا
عتوا كبيرا في بني أسد وبغى عليهم وأذاقهم العذاب وسامهم الخسف
وأنواعا من الذل والهوان حتى قعدوا يتناذبون به ويبغون عليه غائلة الدهر
ويبيتون له الشر حتى اغتاله أحدهم على حين غفلة . ولما احتضر أوصى
بمناحه وسلاحه لمن لا يجرع عليه من بنيهم فكلهم جزع وبكى إلا امر القيس
فقد جاءه النذير بدمون وهى تلك القرية التى ألقى فيها عصاه بعد أن شرده
أبوه وثفاه ، أتاه الناعى وهو على شراب مع نديم له يلاعبه النرد ، فقال
له قتل حجر فلم يلتفت إليه وأمسك نديمه عن اللعب فقال له امرؤ القيس
اضرب ، فضرب حتى إذا فرغ قال له ما كنت لأفسد عايك دستك ثم
سأل الرسول عن أمر أبيه فقص عليه القصص ودفع إليه بالوصية . عندئذ
قال امرؤ القيس ضيعنى صغيرا وحماني دمه كبيرا ، لاصحو اليوم ولا سكر
غد ، اليوم خمر وغدا أمر

خليلي ما فى اليوم مصحى لشارب ولا فى غد إذ ذاك بالكأس نشرب
ثم شرب سبعا حتى لعبت بلبه الخمر ولما أفاق من غشيته آلى على نفسه
الآء يأكل لحما ولا يشرب خمر ولا يدهن بطيب ولا يلهو بلمو ولا يصيب
امراة ولا يغسل رأسه من الجنابة حتى يدرك ثأر أبيه . ولما جن عليه الليل
رأى برقا تلمع ضياؤه ويخطف الالبصار سناؤه ، وبات ليلته أرقا متملما
كأنما يحمل بين جنبيه أتونا يتقد ويتقلب على نار تستعر ومما جاشت به

شاعريته في تلك الليلة قوله :

أرقت لبرق بليل أهل يضيء سناه بأعلى الجبل
أتانى حديث فكذبه بأمر تززع منه القل
بقتل بنى أسد ربهم ألا كل شيء سواء جلال ١
فأين ربة عن ربها وأين تميم وأين الخول ٢
ألا يحضرون لدى بابه كما يحضرون إذا ما استهل ٣
وقال أيضا

تطاول الليل علينا دمون
دمون ! إنا معشر يمانون
وإنا لأهلها محبون

وقال أيضا

أتانى وأصحابى على رأس صيلم حديث أطار النوم عى فأزما ٤
فقات لعجلى بعيد ماآبه ابن لى وبين لى الحديث المجمع ٥
فقال أبيت اللعن عمرو وكاعل أباحا حى حجر فأصبح مسلما ٦
مضى طور الخلاعة واللهم على فتى كندة وعاجلته الحوادث بهمومها
ولما يزل غض الشباب ناضر العود فألقت عليه عبئا ثقيلا أعلد زنده وحلا
فادحا ينوء به فشمم عن ساعده مطايا بئار أبيه واسترداد ملكه وأخذ بجمع

١ جلال حقير ٢ الخول الاتباع ٣ استهل أى بانعطايا والضح ٤ أعم أى أبعد ٥ المجمع الذى لا تنكاد

تنبه ٦ مسلم أى صاح

الجموع ويعد العدة فلما بلغ بنى أسد ذلك أوفدوا عليه وفدا من رجالاتهم كهول وشبان فيهم عبيد بن الأبرص والمهاجر بن خدّاش وقبيصة بن نعيم وثارت قبيصة مشهورا بالبصر في الأمور والنظر في العواقب ، فلما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بأئزاهم وتقدم في إكرامهم والأفضال عليهم واحتجّب عنهم ثلاثا ، فقالوا لمن يباه من رجال كندة ما بال الرجل لا يخرج إلينا فقال هو في شغل بأخراج ما في خزائن حجر من العدة والسلاح فقالوا اللهم غفرا ! إنما قدمنا في أمر نتأسى به ذكر مافات ونستدرك ما فرط فليبلغ ذلك عنا فخرج عليهم في قباء وخف وعمامة سوداء وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا في الترات فلما رأوه نهضوا له وبدر قبيصة فقال

إنك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدّثه أيامه وتنتقل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ولا تذكرة بجرب ولك من سوّد من نصبك وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب محدّد يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة والرجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي وكرم الصفح ما يطول رغباتها ويسعروا طلبانها ، وقد كان الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزارا والجبين ولم تخصص به كندة دوننا للشرف البارع الذي كان لحجر

كان لحجر التاج والعمّة فوق الجبين الكريم وإخاء الحمد وطيب الشيم ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخات كرائمنا على مثله يبذل

ذلك ولقد يناله منه ، ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه ولا يلحق أقصاه أدناه . فأحمد الحالات أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث

إما أن تختار من بنى أسد أشرفها بيتا وأعلاها في بناء المكرمات صونا لقوده إليك بنسبة فذهب مع شفرات حساك فيقال رحل امتحن هلك عزيز عليه فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام أو فداء بما يروح على بنى أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسبة وكان ذلك فداء ترجع به القضب إلى أجفائها لم يردده تسليط اللاحن على البراء

وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل ويسدل الأزر ونعقد الخمر فوق الرايات

فبكى امرؤ القيس ساعة ثم رفع طرفه إليهم فقال قد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم . وإنى لن أعتاض به ناقة أو جملا فأكتسب بذلك نسبة الأند وفت العصيد . وأما النظرة فقد أوجحتها الأجنة في بطون أمهاتها ولن أكون لعطيها سببا وستعرفون طلائع لندة من بعد تحمل في القلوب حنقا وفوق الأُسنة علقا

إذا جالت الخيل في مائزق تدافع فيه المنايا النفوسا أتقيمون أم تصرفون ؟ قالوا بل نصرف بأسوأ الاختيار وأبلى الاجترار لما كروه وأذية وحرب وبلية ثم نهضوا وقبضة يقول متمثلا .

إبلتك أن تستوخم الموت إن غدت كتائبنا في مائزق الموت تمطر
فقال امرؤ القيس لا والله لا أستوخمه فرويدا ينكشف لك دجاها عن
فرسان كندة وكتاب حمير . ولقد كان ذئب غير هذا أولى بي إذ كنت نازلا
بربعي ومتحرما بزمامي ولا يمكنك قلت فأجبت
فقال قبيصة إن ما تتوقع فوق قدر المعاتبة والاعتاب . قال امرؤ القيس
فهو ذاك وارتحلوا عنه

أما امرؤ القيس فقد رحل بعد هذا إلى بكر وتغلب وسألهم النصر على
بنى أسد فسيروا معه جيشا فزحف به على بنى أسد وأرسل وراءهم العيون كي
يعلم أمرهم ومكان نزولهم وكانوا نازلين بكنانة فقال واحد منهم وهو علباء
ابن الحارث يا بنى أسد إن عيون امرئ القيس بيننا ولا بد أن يخبروه بنا
فأرحلوا بليل ولا تعلبوا بنى كنانة بذلك . ففعلوا ما أشار به عليهم علباء
ثم أقبل امرؤ القيس بمن معه على كنانة وهو يحسبهم بنى أسد فأوقع بهم
فوضع فيهم السلاح وقال يا ثارات الملك يا ثارات الهمام ، فرزت عليه
عجوز من بنى كنانة وقالت له أبيت اللعن لسنا لك بثائر نحن من كنانة
فدونك ثأرك فاطلبهم فأن القوم قد ساروا بالأمس . فتبع امرؤ القيس
بنى أسد ابتغاء للحاق بهم فقاتوه في تلك الليلة ولم يستطع إدراكهم فحزن
لذلك وقال :

ألا يالهف هـند إثر قـرم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقام حـدم بينى أبيهم وبالأشقيـن ما كان العقاب

وأفلتهم. علياء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب ١
وقال أيضا

يا لهف هند إذ خطئن كاهلا
القاتلين الملك الحلا حلا ٢
تالله لا يذهب شيخى باطلا ٣
حتى أيد مالكا وكاهلا
خير معد حسبا ونائلا ٤
وخيرهم قد علموا شمائلا
نحن جلبنا القرع القوافلا ٥
يحملننا والاسل النواهلا
وحى صعب والوشيج الذابلا ٦
مستفرمات بالحصى جوافلا ٦
يستشرف الا و آخر الا وائلا

ثم أدركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وبلغ به الظمأ وبمن معه كل مبلغ
وبنو أسد حامون على ماء وراحة فقاتلهم قتالا شديدا حتى كثر القتلى

١ الجريض الغاص بريقه ٢ الملاحل السيد الشريف ٣ يعنى بشيخه أباه ٤ يقصد أن بنى أسد الذين
هم خير معد حسبا ونسبا ونائلام كقما دم آيه حجر ٥ القرع الخيل والقوافل الضامرة ٦ حى صعب من
أحياء بنى أسد ولكنهم كانوا فى جانب امرئ القيس والوشيج الرماح ٧ مستفرمات بالحصى يريد أن الخيل
تصرب الحصى بها تكها وظاير من حلقها حتى تبلغ ٨ وحى وهو مكان الاستفرام والجوامل
المراعى .

والجرحى وأصيب من الفريقين عدد كبير ثم حجز الليل بينهم فكفوا عن
المقاتلة وفر بنو أسد من وجه امرئ القيس فلما أسفر الصبح أراد أن
يتبعهم فأبى عليه ذلك بكر وتغلب وقالوا له قد أصبت ثأرك فقال والله
ما فعلت ولا أصبت من بنى كاهل ولا من غيرهم من بنى أسد أحدا قالوا
بلى قد أصبت وإيكنك رجل مشثوم وأسفوا أشد الأسف على ما كان
منهم من مقاتلة كنانة وهم لا ذنب لهم ولا جريرة ثم أنفضوا من حول امرئ القيس
فسار من فوره إلى اليمن فأستنصر بني أزد شنوءة فأبوا أن ينصروه
وقالوا: بنو أسد إخواننا وجيراننا فنزل بقليل يدعى مرثد الخير بن ذى جدن
الخميري وكانت بينهما قرابة فأستنصر به واستعداه على بنى أسد فجهز له
خمسمائة من حمير ومات مرثد الخير قبل رحيل امرئ القيس بهم وقام
بالمملكة بعده رجل خميري يقال له قرمل بن الحميم وكانت أمه أمة سوداء
فماطل امرأ القيس وطول عليه حتى هم بالانصراف وقال :

وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربنا وإذ نحن لاندعى عبيدا لقرمل
وأخيراً أنفذ له قرمل ذلك الجيش الذى كان على أن يمد به مرثد
الخير قبل موته وتبعه أيضاً شذاذ من العرب واستأجر من بعض القبائل
رجالا ثم سار بهم جميعا إلى بنى أسد وور في مسيره ببلدة تباله وفيها صنم تعظمه
العرب يقال له ذو الخلصة فاستقسم عنده بقداحه وهى ثلاثة الآمر والناهى
والمتربص فأجالها فخرج له الناهى ثم أجالها فخرج الناهى ثم أجالها مرة
ثالثة فخرج الناهى أبضا فجمع امرؤ القيس القداح ولسرها وضرب بها وجه

الصنم وقال « مصصت بظر أمك لو أبوك قتل ماعقتني » ثم مضى على سبيله
حتى ظفر بيني أسد فقال

يادار ماوية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل
صم صداها وعفارسمها واستعجمت عن منطق السائل
قولا لدودان عبيد العصا ماغر كم بالأسد الباسل
قد قرت العينان من مالك ومن بنى عمرو ومن كاهل
ومن بنى غنم بن دودان إذ نقذف أعلام على السافل
نطعنهم سلكى ومخلوجة كرا لا أمين على نابل ١
إذهبن أفساط كرجل الدبا أو ثقطا لداظمة الناهل ٢
حتى تر كئناهم لدى معرك أرجلهم كالخشب الشائل ٣
حلت لى الخمر و كنت امرأ عن شرها فى شغل شاغل
فاليوم أسقى غير مستحقب إنما من الله ولا واغل ٤
فأتكر عليه ذلك عبيد بن الأبرص ورد عليه فى عدة قصائد منها القصيدة
التي يقول فيها

ياذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالا وحيننا
أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا ومينا
هلا على حجر بن أم قطام تبيكى لاعلينا

١ سلكى مسمية ومخلوجة معوجة وكرك لا أمين أى رذك سهمين ٢ أفساط جماعات ورجل الدبا
مرق الخراد والناهل الدارل على الماء ٣ الخشب الشائل الذى قد ألقى مصه على مصص وارتفع الى فوق
٤ مستحقب أى حامل والواغل الذى دخل على الفوم وقت مبرهم لا إدب

إننا إذا عض الثقا فبرأس صعدتنا لوينا
نحى حقيقتنا وبعض القوم يسقط بين بيننا
هلا سالت جموع كندة يوم ولوا بن أينا
أيام نضرب هامهم يواتر حتى انحنينا
وجموع غسان الملو ك أتينهم وقد انطوينا
لحقا أيا طاهن قد عاجن أسفارا وأينا
نحن الاولى فاجمع جموعك ثم وجههم إلينا
واعلم بأن جيانا آلين لا يقضين دينا
ولقد أبجنا ما حميت ولا مبيع لما حمينا
هذا ولو قدرت عليك رماح قومي ما انتهينا
حتى تنوشك نوثة عاداتهن إذا انتوينا
نغلى السباء بكل عا ثقة شمول ما صحونا
ونهن من لذاتنا عظم التلاد إذا انتشيننا
لا يبلغ الباني ولو رفع الدعائم ما بنينا
كم من رئيس قد قتلناه وضمهم قد أبينا
ولرب سيد معشر ضخم الدسيعة قد رمينا
عقبانه بظلال عقبان تتم مانوينا
حتى تركنا شلوه جزر السباع وقد مضينا
وأوانس مثل الدمى حور العيون قد استبيننا

أنا لعمرك ما يضام حليفنا أبدا لدينا
وإذا وازنا بين عبيد بن الأبرص وامرئ القيس في هذا الشعر نجد
أن عبيدا أشد أسرا وأعظم روعة .

ولما أسرف امرؤ القيس في قتال بني أسد فزعوا إلى المنذر كي ينصرهم
عليه ويكفيهم شره ويوقفه عند حده فأهدر المنذر دم امرئ القيس وطلبه
من القبائل وأعانه على ذلك كسرى أنوشروان ملك الفرس

فانقضت حمير وجموع امرئ القيس من حوله فلجأ في عصابة من قومه
إلى الحارث بن شهاب اليربوعي ومعه أذراعه الخمسة الفضفاضة والضافية
والمحصنة والخربق وأم الذبول التي كن لبنى آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك
فما لبثوا غير قليل عند الحارث بن شهاب حتى أرسل إليه المنذر مائة من
أصحابه يتهدده ويتوعده بالحرب إن لم يسلم إليه بني آكل المرار ، والحارث
اليربوعي لا طاقة له ولا قبل بهذا الملك الجبار الواسع الساطان فأسلمهم
إليه صاغرا ولكنه امرأ القيس تمكن من النجاة إذ فر هاربا ومعه ابن
عم له يسمى يزيد بن معاوية بن الحارث، ومعه أيضا ابنته هند وأذراعه
وسلحه وماله ونزل على ابن عمته عمرو بن هند بنت الحارث بن عمرو
الكندى وابن هند هذا هو أيضا ابن المنذر مطارد امرئ القيس وكان
نائباً عن أبيه بيقه فكث امرؤ القيس عنده حيناً من الزمر مستخفياً ولا
يعلم بذلك المنذر حتى أحس عمرو أن أباه قد علم باختباء ابن خاله عنده
فأخبر امرأ القيس بذلك وأنذره بطش والده فتحول عنه إلى هانيء بن مسعود

(وكان هانيء هذا أفوه شاخص الاًسنان) فأبى أن يحيره فسار إلى إياد
ونزل على سعد بن الضباب الاًيادى سيد قبيلته وعظيم قومه وكانت بينه
وبين امرئ القيس صلة ورابطة فأًن أم سعد بن الضباب كانت تحت حجر
والد امرئ القيس فطلقها وهى حامل وهو لا يعرف هذا فتزوجها الضباب
فولدت سعداً على فراشه فلحق نسب به . لتلك الوشيعة التى تحدث بها
الرواة والنسابون والى ىمت بها امرؤ القيس إلى سعد أجاره الاًخير
وأكرم مشواه فقال فى ذلك شعراً يمدح فيه سعداً ويهجو هانيء بن
مسعود .

لعمرك ما سعد بخلة اًثم	ولا نأناً يوم الحفاظ ولا حصراً
لعمري لقوم قد نرى فى ديارهم	مرابط للامهار والعكر الدثر ٢
أجب إلينا من أناس بقنة	يروح على اًثار شائهم النمر ٣
يها كئنا سعد ويغدو لجمعنا	بمثنى الزقاق المترعات وبالجزر ٤
لعمري لسعد بن الضباب إذا غدا	أحب إلينا منك يا فرس حره

١ الخلة الصداقة والمودة والنأناً الضعيف المقصر فى الامور ويوم الحفاظ يوم الجدة والكريمة والحصر ضيق الصدر عن
الاضطلاع بالعظام ٢ العكر المال الكثير ولا يطلق إلا على الابل وقال الخليل العكر ما زاد على خمسمائة من الابل
والدثر الكثير ٣ القنة رأس الجبل . وشائهم غنمهم ٤ يها كئنا بما زحوا ويضاحكنا . ويندو ويكر . مثنى
الزقاق أى يأتينا بزقاق الخمر مثنى مثنى . والمترعات المتلات . والجزر ما يجر من البهائم الاًكل . قال
الوزير أبو بكر من تمام القرى عندهم السمرة وطلاقة الوجه والمحادثة مهم فاستوفى فى هذا البيت جميع
ممرات القرى ه يا فرس حر أى يامتن القم فان الفرس إذا حمر تن فوه والفرس الحر هو الذى
أكل شعيراً كثيراً حتى سنق وأنخم

وتعرف فيه من أبيه شمائله ومن خاله ومن يزيده ومن حجر
سماحة ذا وبرذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر
وقال أيضا يمدح سعدا

منعت الليث من أكل ابن حجر وكاد الليث يودى بأبن حجر
منعت فأنت ذا من ونعمى على ابن الضباب بحيث ندرى
سأشكرك الذى دافعت عنى وما يجزيك منى غير شكرى
فما جار بأوثق منك جارا ونصرك للفريد أعز نصر
ثم تحول امرؤ القيس عن سعد بن الضباب إلى المعلى بن تيم الطائي
وأقام عنده حميد المثنوى عزيزا محترما مكرما فقال يمدحه

كأنى إذ نزلت على المعلى نزلت على البواذخ من شمام ١
فما ملك العراق على المعلى بمقتدر ولا ملك الشام ٢
أصد نشاط ذى القرنين حتى تولى عارض الملك الهمام ٣
أقرحشا امرؤ القيس بن حجر بنو تيم مصاييح الظلام ٤
ثم نزل بعد ذلك ببني نبهان فأغار على أبله قوم من بني جديلة فيهم

١ البواذخ من شمام هي جبال شمام الشواهد ٢ المراد ملك العراق المنصور بن ماء

السما والمراد بملك الشام الحارث بن أبي سمر الغساني ٣ أصد أى رد والنشاط السحاب المرتفع
وذو القرنين قال الوزير أبوبكر هو المنذر الأكبر سمي ذا القرنين لضفيرتين كانتاه ، والعارض السحاب
المعترض في السماء والمراد بقوله تولى عارض الملك الهمام أى انهزم جيش المنذر ٤ أقرسلن وطامن وبنو تيم سموا
مصاييح الظلام وغلب عليهم هذا اللقب الحسن منذ لقبهم به امرؤ القيس في بيتهم هذا

رجل يقال له باعث بن حويص ولما عرف امرؤ القيس نبأ تلك الغارة
 فرع إلى جاره خالد بن سدوس وشكى إليه أمره وكان لا يرى القيس
 رواحل مقيدة أمام البيوت خوفاً من أن يدهمه أمر فيسبق عليهن فقال
 له خالد أعطني رواحلك ألحق بها القوم فأرد إبلك فأعطاه إياها فركبها
 خالد ونفر معه وساروا حتى لحقوا بينى جديلة فقال لهم خالد يا بنى جديلة
 أغرتم على جارى . قالوا ما هو لك بجار قال بلى إنه جارى ووالله ما هذه
 الأبل التى معكم إلا كالرواحل التى تحتنا . قالوا أكذاك ؟ قال نعم . فرجعوا
 إليه وأنزله ومن معه عن تلك الرواحل وذهبوا بها أيضاً فلما علم
 امرؤ القيس بهذا قال :

دع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا حديث الرواحل ١
 كأن دثارا حلقت بلبونه عقاب تنوفى لأعقاب القواعل ٢
 تلعب باعث بجيران خالد وأودى عصام فى الخطوب الأوائل ٣
 وأعجبني مشى الحزقة خالد كمشى أتان حلئت بالمناهل ٤
 أبت أجا أن تسلم العام جارها فمن شاء فلينهض لها من مقاتل ٥

١ النهب الغنيمة . والحجرات النواحي . والرواحل النوق ٢ دثار راعى ابل امرئ القيس . واللون
 النوق . وتنوفى ثنية مشرفة والمراد بقوله عقاب تنوفى أى عقاب ساقطة حلقة من ثنية مشرفة ذاهبة فى الهواء
 القواعل جبال صفار ٢ باعث هو ابن حويص الجدبلى الذى أغار برجاله على ابل امرئ القيس .
 أودى هلك . وعصام راع آخر لابل امرئ القيس قتل عند القارة على إبله ٤ الحزقة القصير
 الضخم البطن الضيق الباع . والأتان الاثنى من الحمر . وحلئت منعت أن تد الماء مرة مدمرة . والمناهل موارد الماء .
 ٥ أجا جبل فى بلاد طبرستان والمراد أهل أجا

تبيت لبونى بالقرية أمنا وأسرحها غبا بأكناف حائل ١
 بنو ثعل جيرانها وحماها وتمنع من رجال سعد ونائل ٢
 تلاعب أولاد الوعول رباعها دوين السماء فى رءوس المجادل ٣
 مكللة حمراء ذات أسرة لها حبك كأنها من حبال ٤
 ففرق عليه بنو نهران فرقا من معزى يحلبها فقال
 إذا لم تجد إبلا فمعزى كأن قرون جلتها العصى ٥
 إذا مقام حالبها أرنت كأن القوم صبحهم نعى ٦
 تروح كأنها بما أصابت معلقة بأحقيها الدلى ٧
 فتملا بيتنا إقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع ورى ٨
 ثم ارتحل إلى عامر بن جوين الطائى واتخذ عنده إبلا وعامر يومئذ أحد
 الخلعاء الفتاك وقد تبرأ قومه من جرأته فمكث امرؤ القيس عنده ز منا حتى
 همَّ عامر أن يغلبه على ماله وأهله وأحس بذلك امرؤ القيس من شعر كان
 عامر ينشده وهو

١ القرية مكان بجبل أجأ وأسرحها أرسلها ترعى نهارا . وغبا أى ترسل يوما وتترك يوما . وحائل جبل
 وأكنافه جوانبه ٢ سعد ونائل من بنى نهران ٣ الوعول الثيوس الجبلية . والرباع الفصلان . والمجادل الجبال
 ٤ مكللة حمراء يعنى أن رموس الجبال كللتها السحب . والأسرة الطرائق والخطوط . والحبك الطرائق أيضا
 والحبال ضرب من البرود ملونة مخططة ٥ الجلة المسن الكبير . أرنت صاحت ٦ تروح تعود الى حظائرها
 فى المساء . بأحقيها أى ما بين نخذيها والدلى جمع دلو والمراد بها الحوالب المستكة بالازن ٨ الاقط ضرب من الجبن
 يتخذ من اللبن المخيض

فكم بالصحيح من هجان مؤبلة تسير صحاحا ذات قيد ومرسله
أردت بها فتكا فلم أرتض له ونهنت نفسي بعد ما كدت أفعله
وكان عامر ينادي الشعر أيضا يعرض بهند ابنة امرئ القيس فلما
أحس شاعرنا بكل هذا وبدا له الغدر من هذا الفاتك الخليع الذي
لا يراعى إلا ولا ذمة رجل على حين غفلة منه إلى رجل من بني ثعل يقال
له حارثة بن مر فأجاره وأكرم وفادته ثم وقعت الحرب بين عامر الطائي
وحارثة الثعلبي بسبب امرئ القيس فلما رأى أن ذلك من أجله تحول إلى
عامر بن جابر الفزاري وطلب منه أن يجيره حتى يرى ذات غيبه فقال له
الفزاري يا بن حجير إني أراك في خلل من قومك ، وإني أنفست بمثلك من
أهل الشرف ، وقد كدت بالأمس توكل في ديار طيء ، وأهل البادية أهل
وبر لا أهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين الين ذؤبان من قيس ، أفلا أدلك
على بلد تلجأ إليه ؟ فقد جئت قيصر وجئت النعمان فلم أر لضييف نازل ولا
لمجند مثله ولا مثل صاحبه . فقال امرؤ القيس من هو وأين منزله ؟
فأجابه إنه السموءل بتهاء ، وسوف أضرب لك مثله ، هو يمنع ضعفك حتى
تري ذات غيبك ، وهو في حصن حصين وحسب كبير . فقال له امرؤ القيس
وكيف لي به ؟ قال عامر أوصلك إلى من يوصلك إليه ثم صحبه إلى رجل
من بني فزارة أيضا يقال له الربيع بن ضبع الفزاري ممن يأتى السموءل
فيحمله ويعطيه . فلما صار امرؤ القيس عند الربيع قال له الأخير إن
السموءل يعجبه الشعر فتعال تتناشد له أشعارا فقال امرؤ القيس قل حتى

أقول فقال الربيع :

قل للنية أيّ حين نلتقى بفناء بيتك في الحضيض المزلق
وهي طويلة يقول فيها

ولقد أتيت بنى المصاص مفاخرا وإلى السموءل زرتة بالأبلق
فأتيت أفضل دن تحمل حاجة إن جئت في غارم أو مرهق
عرفت له الأقوام كل فضيلة وحوى المكارم سابقا لمن يسبق
فقال امرؤ القيس

طرتك هند بعد طول تجنب وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق
قال صاحب الأغاني « وهي قصيدة طويلة وأظنها منحولة لأنها لا تشاكل
كلام امرئ القيس والتوليد فيها بين ومادونها في ديوانه أحد من الثقة
وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموءل »

ثم وفد الفزارى وركبه بامرئ القيس على السموءل وبينهما هم سائرون
في الطريق إذ ببقرة وحشية صريعة بسهم تعالج الموت فلما رأوها
هموا بها فذبحوها ، وإذا يقوم قناصين من بنى ثعل فقل لهم الفزارى
وأصحابه من أتم ؟ فأتسبوا له فأذاهم من جيران السموءل فأنصرفوا جميعا
إليه وقال امرؤ القيس يصف أولئك الصيادين

رب رام من بنى ثعل متلج كفيه في قـتره ١

١ بنو ثعل قبيلة من طيء كانوا مشهورين بالخندق في المأية وملتج مدحج والقتر جمع فترة وهو بنت
الصائد الذى يكنى فيه لاوحش لئلا تراه فتفر منه فان الوزير أبو بكر ويروى مخرج كفيه من شتره والشر
جمع شيرة يريد الكم ومعناه على هذه الرواية أنه يخرج كفه من كمه لئلا يناول القوس ويرمي بها

عارض زوراء من نشم غير باناة على وتره ١
 قد آتته الوحش واردة فتنحى النزع في يسره ٢
 فرماها في فرائصها بأزاء الحوض أو عقره ٣
 برهيش من كناته كتلظى البحر في شرره ٤
 راشه من ريش ناهضة ثم أمهاه على حجره ٥
 فهو لاتنحى رميته ماله لاعد من نفره ٦
 مطعم للصيد ليس له غيرها كسب على كبره ٧
 وخليل قد أفارقه ثم لا أبكى على أثره ٨
 وابن عم قد تركت له صفو ماء الحوض عن كدره ٩
 وابن عم قد فجعت به مثل ضوء البدر في غره
 وحديث الركب يوم هنا وحديث ما على قصره ١٠

١ الزوراء يريد بها القوس المنحنية والنشم شجر تعمل منه القسي - غير باناة أى غير منحني على وتره قال أبو الخطاب يقال رجل باناة وهو الذى ينحن صلبه إذا رمى فيذهب سهمه على وجه الأرض وذلك عيب
 ٢ فتنحى أى قال وقصد النزع وهو الرمي ويسره قبالة ٣ فرائصها أى جنبها الذى به القلب وارااء الحوض مصب الماء فيه والمقر مكان الشارة ٤ الرهيش سهم ضامر والكنانة جعبة السهام والتلظى التوقد والتوهج
 ٥ راشه أى ركب فى السهم الريش والناهضة الصقرة أو الصقر والتاء للبالغة كما يقول الوزير أبو بكر وأمهاه أى سقاه الماء وذلك عند أبي عبيدة وعند غيره أمهاه أرقه ٦ لاتنحى رميته أى لاتذهب عن مكانها
 يعنى أن رميته صائبة وقوله ماله لاعد من نفره دعا عليه بالموت ولم يرد حقيقته إذا عد أهله لم يعد منهم بل هو على جهة التعجب كما تقول قاتلك الله ٧ المطعم المرزوق فى الصيد الذى لا يكاد يخطئ - إذا رمى ويقال قوس مطعنة إذا كان سهمها لا يخطئ ٨ يعنى وصف نفسه بالجلادة والصبر وقلة الجزع عند ما يجزع الناس عنده من فرقة الخلان وإن كانت أعظم مصائب الزمان ٩ يقصد أنه كريم العشرة حتى لو أن ابن عمه أتى ما يستحق عليه العقوبة قابلة بالصفح والاحسان وجعل له بدل الكدر الذى كان يستوجه منه صفوا من الماء الذى كان لا يستحقه ١٠ يوم هنا فيه أقوال قال الوزير أبو بكر يريد يوم الكلاب الأول وقيل هو يوم معروف وقيل هو يوم لحو واجب وقيل هو اسم موضع وهو منون - وما فى قوله وحديث ما رائدة وتدلى على التعجب والتعظيم

ولما قدم القوم على السموءل أكرم مشواهم وأحسن لقاءهم وعرف لهم مقدارهم ثم إن امرأ القيس طلب منه أن يكتب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر ففعل السموءل ذلك ، ومضى امرؤ القيس إلى الحارث بعد أن أودع عند السموءل أهله وسلاحه ثم سار من الحارث إلى قيصر و كان معه في تلك الرحلة جابر بن حنا وعمرو بن قتيبة وعمرو هذا هو الذي يقول فيه امرؤ القيس .

أرى أم عمرو دمعها قد تحدرت بكاء على عمرو وما كان أصبرا
وفيه يقول أيضا

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
أما جابر فهو الذي يقول فيه امرؤ القيس

فأما تريني في رحالة جابر على حرج ظلقر تخفق أكفاني ١
فيارب مكروب كررت وراهم وعان فكيف كنت الغل عنه ففقداني ٢

ولما وصل امرؤ القيس إلى قيصر أحسن لقاءه وأكرم ضيافته ثم ضم إليه جيشا كثيرا فيه جماعة من أبناء الملوك ، ولكن بني أسد قوم لا تنام لهم

١ الرحالة هنا خشبات صمها له جابر بن حنا يقال له يحيى أيضا والخرج سرير يحمل عليه المرقى والقر مركب من مراكب الدماء واكفاني يريد ثياني ٢ المكروب من احاق به الكرب والمعاني الأسير والنل الوثاق في العق فقداني أي قال لي فذلك نفسي واني وامي وطريقي وتأندي

عين ولا يغفلون عن الدس إلى عدوهم والسكيد له فقد أرسلوا خلفه الطماح
البنى وشى به لدى قيصر فقال له إن امرأ القيس غوى فاجر
ولأنه لما فصل بالجيش من عندك ذكر أنه يرأسل ابتكك وهو قائل في ذلك
أشعارا يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك فأثر ذلك القول في نفس
قيصر حتى فكر في خذلان امرئ القيس والخلاص منه

ويقول بعض المؤرخين والرواة إن قيصر بعث إلى امرئ القيس بحلة
من الذهب مسمومة وكتب يقول له ما ترجمته «إني أرسلت إليك حلتى التى كنت
ألبسها تكرمه لك فإذا وصلت إليك فألبسها باليمن والبركة والكتب إلى بخبرك
من منزل إلى منزل » فلما وصلت الحلة إلى امرئ القيس لبسها واشتد
سروردها بها فأسرع فيه السم وسقط جلده ولذلك سمي ذا القروح وقال
في ذلك :

لقد طمح الطماح من نحو أرضه ليلبسنى من دائه ماتلبسا
فبدلت قرحا داميا من بعد صحة فيالك من نعمى تحولن أبؤسا
فلو أنها نفس تموت جميعه ولكنها نفس تساقط أنفسا
هذا ما قال به بعض المؤرخين في سبب وفاة امرئ القيس ونحن
لا نعرف حلة مسمومة كهذه الحلة لها هذا التأثير العجيب ولذلك فهى فى
نظرى أشبه بالخيال منها بالقول اليقين بل إنها من خرافات التاريخ وليس فى
شعر امرئ القيس ما يدل على أن موته كان بسبب حلة مسمومة وكل ما دل
عليه شعره أنه قد تقرح بدنه وأن الطماح وشى به إلى قيصر لا غير . والرأى

عندى أن امرأ القيس مات بالجدرى - كما ذكر ذلك نونوز المؤرخ الرومانى -
وكانت وفاة ذلك الشاعر فى سنة ٥٦٥ ميلادية بأنقرة . ويروى أنه قال عند
احتضاره

رب خطبة مسحفرة ١

وطعنة مشعجرة ٢

وجفنة متحيرة ٣

حلت بأرض أنقرة

ورأى قبر امرأة من بنات الملوك ماتت هناك فدفنت فى سفح جبل
يقال له عسيب فسأل عنها فأخبر بقصتها فقال

أجارتنا إن المزار قريب وإنى مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان هنا وكل غريب للغريب نسيب

فأن تصلينا فالقراة بيننا وإن تهجرينا فالغريب غريب

ثم مات فدفن إلى جنب المرأة فقبره هناك

وقد جاء فى شعراء النصرانية أن قيصر لما بلغه وفاة امرئ القيس أمر بأن

ينحت له تمثال وينصب على ضريحه ففعلوا وكان تمثال امرئ القيس هناك

إلى أيام المأمون وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد

الروم ليغزو الصائفة

هذا ما انتهت إليه حياة امرئ القيس التاريخية مع شيء مما اقتضته

شئونها من الشعر

١ مسحفرة أى لم يتوقف فيها صاحبها ٢ مشعجرة أى سائل دما ٣ جفنة متحيرة أى مبتلة دما وطعنا

أثر الحوادث

في

شعر امرئ القيس

إن حياة امرئ القيس على ما رأيت كانت طورين ، طور قبل مقتل أبيه و طور بعد مقتله . وهو في الطور الأول شاعر لهُ و وصف لا يعنى بغير ما تمليه عليه الفتوة ويوحى به إليه الشباب من تشيب ونسب و وصف للخيال وللشباب وذكر لمجالس الأئس والشراب وشعره في هذا الطور نسج العذوبة و حوك الفطرة السليمة فيه فصاحة البداوة الممزوجة بنعيم الملك وترف الغنى

و كما ترى بك تسائلنى عما آل إليه أمر قى كندة وخليعها بعد مقتل أبيه أ بقيت شاعريته على ما كانت عليه من نهتك و تصابى و لهُ و غرام ؟ أم استحالت شاعريته بعد أن تنكرت له الأيام والليالي وعصفت به رياحها الهوج فأصبح شريدا طريدا تتناوح برقا به أحياء العرب تنبؤ به الديار ويشط المزار وتلفظه الأرض هنا وهناك و تتناطح فيه أطماع الفتاك وهو بين هذا وذاك غرض الختوف ومرمى الردى من المنذر ذلك الملك القوى الصولة الشديد البطش الذى لا يجير عليه من العرب مجير ولا يقوم لأحد منهم دونه نصير . وكل ذلك مؤثرات جديدة فى شاعرية امرئ القيس وعوامل مستحدثة انتزعته من بين البواعث اللهوية وقذفت به بين دواعي الهموم والأحزان وهذا تحول فجائى يقتضى ركودا فى الملكات وفتورا

في القريحة يحتاج إلى زمن تختمر فيه المعاني الجديدة في صدر ذلك الشاعر
المحزون الذي تداعت أيام لهوه فقد انقلب طفرة من حال الزهو والمرح
إلى مقام البؤس والشجن يشكو حاله ويندب مآله . أرأيت شاعر يوم دارة
جلجل وكم كان طروباً لاهياً فأذابه اليوم كاسف البال عابس الوجه
حايك هم وحزن شئت يقول

ظلت ردائي فوق رأسي قاعداً أعد الحصى مانتقضي عبراتي
أعنى على التهام والذكريات يبتن على ذي الهم معتكرات ١
لبيل التهام أو وصل بمثله مقايضة أيامها ذكريات ٢
نزلت به الحوادث عن الملك وعزته إلى ذل التشريد ومهاته فتنازعه
عاملان ذاك عامل اللهو والطرب وهذا عامل الهم والحزن والأول من
سليقته والآخر عارض له جدته فلا شك أن شاعريته ترتطم بين هذين
المؤثرين فيسقط شعره بتناقضهما . ومهما يكن من أمر ذلك الشاعر فإنه في
هذا الطور الأخير محزون يترقق الحزن بين ثنايا كلماته وإذا عاوده
ذكر اللهو جاء به ممزوجاً بدموع البكاء لأن حياته بعد
مقتل أبيه كانت صارقة لمثله عن اللهو والعبث والمجون . ولقد كان طول
تقلبه في الأحياء وأثرة ما لاقاه من المحن مما زاد في تجاربه وجعله يقف

١ أعنى أي ساعدني . والتهام الهم والذكريات جمع ذكرة من انتدك . ومعتكرات أي نازلات متسان

٢ لبيل التهام أطول ليالي العام . ومقايضة أي أن طول النهار في قدام طول الليل والسكرات الشديداً

ويريد الشاعر أن ليله قد تطاول حتى صار الليل موصولاً بملته وكذلك أيامه سل أيامه في الطول والحزن

على ما في طبائع الناس من وفاء وخدر فشكا تسوة الزمان وتذكر الأخوان
وخرج عن طبعه وفطرته إلى المدح والمجاء والتفجع والبكاء . وأول باعث
نازعه في هذا الطور الجديد هو الرثاء - والمتيان لا يجيدونه - فقد جاءه
نعي أبيه بغتة وهو في مسارح الحمرة ومجالس أنسه لا يحس بما وراء ذلك
اللهو وهذا الأنس فبهتت قريحته وتقل أسانه إلا عن ذلك النزر اليسير الذي
قسر نفسه عليه قسرا فجاء فيه منصرا

ولما قتل أبوه انحارت أخته هند بنت حجير وقطينها إلى عوير بن شجنة
من بني زيد مناة فقال له قومه ظلم قائلهم ما كولون فأبى أن يخبر ذمته
وخرجها ليلا حتى أبلغها نجران ثم قال لها لست أغنى عنك شيئا وراهذ
الوادي وهذه أرض قومك وقد برئت حفارتى ثم رجع فلما بلغ ذلك
امرا القيس قال بمدحه . -

ألا إن قوما كنتم أدس دونهم	هم منعوا أجاراتكم آل غدران ١
عوير ومن مثل العوير وردهطه	وأسعد في ليل البلبال صفوان ٢
ثياب بني عوف طهاري نقيه	وأوجههم عند المشاهد غران ٣
هم أبلغوا حي المضلل أهلهم	وساروا بهم بين العراق ونجران ٤
فقد أصبحوا والله أصفاهم به	أبر بميثاق وأوفى بجيران ٥

وقال بمدحه أيضا

١ آل غدران أي آل الدسر يريد بهم بني أسد الذين قتلوا أباه وخبروا ذمته ٢ عوير وصفوان سيدا بني
عوف والبلبل المموم ٣ المتساعد الحروب وغران طاقة يخداه دمللة ٤ حي المسال يريد أسله ومن هنا
سمى الملك الضليل ٥ أصفاهم به استاره لهم

إن بنى عوف ابتنوا حسبا ضيعة الدخلاون إذ غدروا ١
 أدوا إلى جارهم خذارتهم ولم يضع بالمغيب إذ نصرُوا ٢
 لم يفعلوا فعل آل حنظلة إنهم جبر بئس ما اتمروا ٣
 لا حميرى وفى ولا عدس ولا است غير يحكمها الكفر ٤
 لكن عوير وفي بذمتهم لا عور شانه ولا قصره ٥
 هذا أول عهده بالمديح والمديح ليس من صناعة الملوك فهم لا
 يمدحون ولا يمدحون لذلك جاء امرؤ القيس مقصرا فى مديحه
 كما جاء مقصرا فى رثائه لأن ذلك ليس من سليقته ولا طبعه . على أن
 الحوادث التى نزلت به قلبته فى بعض أقواله شاعرا حكيما يأتى بالحكمة
 البالغة والمثل الرائع إذا شكاه له أشكى غيره وإن كى أمره أنكى سواء معه
 انظر إليه . قد فكر فى عاقبة أمره فأظلم تغيب أمام عينيه وأشككت عليه
 نهايته فمشى دهره وبكى على ما لم يذمسه وتوقع ما غاب آباءه من قبله فقال
 أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب ٦

١ الدخلاون يريد الخاصة من دوى قراته اذ لم يصروه على ادراك تأثره ٢ جارهم يريد نفسه واحتة
 الخفاره الائمة والمهد وقوله لم يضع بالمغيب أى من غاب عن ادله وأبصاره فهؤلاء يصروه ٣ بنو
 حنظلة هم الذين خذلوا مرحيل عم امرئ القيس . وحير بمنى . قفا . حميرى وعدس رجلان
 من بنى حنظلة تولوا المدر بشه حمل . وانتفى الحير فى مرحل السرج وقوله ولا است غير يحكمها التمر
 احتقار واستهزاء واستخفاف بهؤلاء المدره شا . أى شابه ٦ موضعين . بين والابتساح ضرب من السير
 ولا مرغيب أى لا أمل له . ونسحر أى ندهنى

عصافير وذبان ودود وأجراً من مجلحة الذئاب ١
فبعض اللوم عاذلى فائى ستكفينى التجارب وانتسابى ٢
إلى عرق الثرى وشجت عروقى، وهذا الموت يسلبنى شبابى ٣
ونفسى سوف يسلمها وجرمى فليحقنى وشيكا بالتراب ٤
ثم تذكر ما كان له أيام عزه ولهوه فقال
ألم أنض المطى بكل خرق أمق الطول لماع السراب ٥
وأركب فى اللهام المجر حتى أنال ما ظل القهم الرغاب ٦
وكل مكارم الأخلق صارت إليه همتى وبه استسبى ٧
وانتقل بعد ذلك إلى التفجع على آبائه والحكم على الدهر بالقسوة
وإلى أنه عما قريب سيلقى منيته كما لقيها من سبقه فقال :-

١ الذبان الذباب والعصافير ضعاف الطيور وصغارها والمجلحة المصممة من التجليح وهو الاقدام والتصميم
٢ العاذلة الائمة ٣ عرق انثرى مادة التراب فى الأرض وقال القتيبي عرق انثرى آدم عليه السلام . وشجت
أى انصلت وانتبكت ٤ الجرم الجسد وقوله وتيكا أى سريعاً وانظر كيف ابدع فى تقسيمه السلب فابتدأ
أولاً بسلب الشباب ثم سلب النفس ثم سلب الجسد حسبما يكون ٥ انض المطى أى اهزل المطايا من طول
السير والعمل . والخرق الفلاة الواسعة . والامق الطويل . والسراب ما يبدو وقت الظامير والمسافر فى الصحراء
كأنه ماء ٦ اللهام الجيش الكثير العدد . والمجر النقيط المتد فى سيره والقهم جمع قحمة وهى الدفعة
الكثيرة من المال او غيره . والرغاب الواسعة ٧ لما طال عليه تمدد المضائل فى الاميات السابقة اجملها
فى هذا البيت بأن قال كل خلق كريم وفعل جميل احبته همتى واستبنتى اياه وهذا بيت فاضل من احسن
ما قيل فى الشعر العربى

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالآياب
أبعد الحارث الملك بن عمرو وبعد الخير حجر ذي القباب ١
أرجى من صروف الدهر لينا ولم تغفل عن الصم المضاب ٢
وأعلم أننى عما قليل سأنشب في شبا ظفر وناب ٣
كما لاقى أبى حجر وجدى ولا أنسى قتيلا بالكلاب ٤
وعما يستحسن له من شعره في هذا الطور قصيدته التي يمدح فيها سعدا
ابن الضباب قال

لعمرك ما قاي إلى أهله بحر ولامة صر يوما فيأتني بقره
ألا إنما الدهر ليال وأعصر وليس على شيء قوهم بمستمر ٦
ليال بذات الطامح عند محجر أحب إلينا من ليال على أقر ٧
أغادى الصبوح عند هر وفرتنا وليدأ وهل أفنى شبابي غير هر ٨
إذا ذقت فاما قلت طعم مداة معتقة مما تجيء به التجرة ٩
هما نهجتان من نهج تبالة لدى جوذرين أو لبعض دمي هكر ١٠

١ لم تدل القباب، مرونة في المعالجة إلا اللوك ٢ الصم الصلبة المصمتة . والمضاب الصحور الضخمة
الراسية ٣ سأنشب أى سأعاق على أمر لا أفكك منه . وأنشأ الماد . يعنى ستنشب المنية في أظفارها
وأنشأها ٤ قبل الكلاب هو شر حيل عم ارى . العيس ٥ بحر أى أن قلبه لم يصر . ولا مقصر أى ولا
أزاع عما هو عليه من الحب . واقترى قرار من الأتقرار ٦ قومه أى مستقيم ٧ دلت الطلح أرض فيها
شجر الصلح . ومحجر موضع بلاد طي . وأقر و . واسم ٨ الصبوح شرب المداة وقوله أغادى الصبوح
أى أشرب الخمر في الغداة أى أو النهار ٩ المداة الخمر والمعتقة القديمة والتجر جمع التجر والتجر جمع
تاجر ١٠ تبالة مدينة خصه اليمين وهكر مدينة أيضا اليمن . والجوذر ولد البقر . والدمى جمع دمية وهى
الصورة المحسنة

إذا قامت توضع المسك منهما
 كأن التجار أصدوا بسيئة
 فلما استطابوا صب في الصحن نصفه
 بماء سحاب زل عن متن صخرة
 لعمر ك بما إن ضرتني وسط حمير
 وغير الشقاء المستبين فليتني
 أجز لسانى يوم ذلکم مجر ٦

ثم انتقل إلى مدح سعد اقتضاباً فقال : -

لعمر ك ما سعد بخلة آثم
 لعمرى لقوم قد نرى في ديارهم
 أحب إلينا من أناس بقنة
 يفاكنا سعد ويندو لجمعنا
 لعمرى لسعد بن الضباب إذا غدا
 وتعرف فيه من أيه شمائله
 سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا
 ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

١ توضع قاح وانتشر . واللعيمة ضرب من المسك الأزفر والقطر العود ٢ أصدوا ساروا . والسينة
 الخمر التي اشترت غملت . والمخص مدينة بالشام كانت مشهورة بالخمر الجيد . ويسر بلد كان يسكنه امرؤ
 القيس ٣ استطابوا أى أخذوا أطيب الماء واعذبه . والصحن قدح كبير شبه العس العظيم . وشجت مزجت .
 والماء الطرق الذي بالت فيه الامل . الخمر الباردة . الاقوال الملوك الصغار كالأقبال والمخينة الخيلاء والتكبر
 ٤ المستبين الواضح . والجرحشق لسان الفصيل لتلا يرضع والمراد بقوله ليتنى أجز لسانى أى فليتنى كان
 لسانى محبوساً أو مقطوعاً . والمجر هو قاعل الجر

عاد في هذه القصيدة إلى لهوه ولكنه لم يستطع المضى فيه من غير أن
تعاوده ذكريات الهموم التي أصابته إذ يقول
لعمرك ما إن ضرتني وسط حمير وأقوالها إلا المخيلة والسكر
وغير الشقاء المستبين فليتني أجز لساني يوم ذلکم بحر
فهو في هذين البيتين يبين علة فشله في استنجاد حمير وأقوالها ويدعو على
نفسه دعاء المحرور النادم ولقد مال في هذه القصيدة إلى الهجاء ولكن
عاطفة النبل غلبت عليه ولبحت جموحه فترفع عن الأقداع على مقتضى
أخلاق الملوك فلم يتجاوز حد الأشارة والتمريض في قوله
أحب إلينا من أناس بقنة يروح على آثار شائهم النمر
وقوله أحب إلينا منك يا فرس حمر

يريد بذلك هاني بن مسعود

على أننا في بعض الأحيان نجد شديدا الوطأة على خصومه مقذعا في
سبابه فمن ذلك قوله يذم البراجم ويربوعا ودارما وآل مجاشع لخذلانهم
إياه ولخذلان عمه شرحبيل من قبله

ألا قبح الله البراجم ظها وجدع يربوعا وعفر دارما ١
وآثر بالملحاة آل مجاشع رقاب إماء يقتنين المفارما ٢
فما قاتلوا عن ربهم وريدهم ولا آذنوا جارا فيظعن سالما ٣

١ البراجم هم قوم من بني حنظلة ن مالك رهم خمسة اخوة الظالم وكلفة وغالب وعمر ووقيس وهم مرام
واحدة ولهم اخوة لا يهيم . - ددع يربوعا أى قطع انوفهم والمراد اذا الله وكذلك وعفر دارما أى اذله وجعل
وجوهها في العفر والتراب ٢ آثر احتص والملحاة الملامة ٣ ربهم سيدهم شرحبيل والريبب الناشئ في ذنهم
وكان امرؤ القيس مسترضما فيهم آذنوا جارا أى اعلوه بأنهم غير ناصريه . ويظعن يرحل

ولا فعلوا فعل العوير بجاره لدى باب هند إذا تجرد قائما ١
فما أشد قوله

رقاب إماء يقتنين المفارما

فأنه لم يقتصر في سياب آل مجاشع على جعلهم رقاب نساء بل جعلهم
رقاب إماء وذلك أبلغ في الذل والدناءة ثم غلا في هذا السباب إلى أن أقذع
وأفحش فأكد دناءة من شبههم بهن بأن جعلهن يتخذن المفارم وهي خرق
تأخذها النسوة في فروجهن لتضييق ولا يصنع هذا إلا الفواجر العواهر
لكثرة ما يفعل بهن

ومن محاسن شعره أيضا في هذا الطور قصيدته الآتية قال فيها :

رب رام من بنى ثعل متاج كفيه في قتره
عارض زوراء من نشم غير باناة على وتره
قد أته الوحش واردة فنحى النزع في يسره
..... الخ

فقد مدح فيها الرامي ووصف الرماية وصفا لا يجيده إلا من كان مثله
وقد جرى بعض أبياتها مجرى الأمثال لقوله .

فهو لا تمنى رهيته ماله لاعد من نفره
وقوله :-

وخليل قد أفارقه تم لا أبكى على أثره
وقوله :-

وابن عم قد تركت له صفو ماء الحوض عن لدره
ولما سار امرؤ القيس إلى أرض الروم عارذته ذكرى الشباب واللهو

١ العوير هو ابن شجة الذي أجاز قطين امرؤ القيس عند قتل أبيه حجر

فعبث في شعره وقال قصيدته التي يقول فيها

سمالك شوق بعد ما كان أقصرا وحلت سليمان بطن قو فعرعرا ١
 كنانة بانت وفي الصدر ودها مجاورة غسان والحى يعمر ٢
 بعينى ظعن الحى لما تحملوا لدى جانب الأفلاج من جنب قيمرا ٣
 وجعل يصف الظاعنين بقوله
 فشبتهم فى الآل لما تكشوا حدائق دوم أو سفينا مقيرا ٤
 أو المكروعات من نخيل ابن يامن دوين الضفا للآلى يلين المشقرا ٥
 سوامق جبار أثيث فروته وعالين قنوانا من البسر أحمر ٦
 حمته بنو الربداء من آل يامن بأسياقم حتى أقر وأوقرا ٧
 وأرضى بنى الربداء وأعتم زهره وأكاهمه حتى إذا ماتهم صرا ٨
 أطافت به جيلان عند قطاعه فردت عليه الماء حتى تحيرا ٩
 وأخذ بعد ذلك فى وصف حباته بالطيب والنعمة وذكر ما كان له مع

١ سما ارتفع واقصر ترك وقو وعمره موضعان ٢ بانت أى بعدت واقتربت وكنانة أى منسوبة لكنانة
 وهى قبيلة مضرية ويعمر بطن من كنانة وغسان اسم ماء وبه سميت قبيلة غسان ٣ بعينى أى يعمر أى عيني
 ويروى بعينيك والظامن الارتمال والأفلاج الأسماء الصغيرة وقيمير مدينة ٤ الآل السراب وتكشوا اخذوا
 فى سيرهم وحدوا به ٥ المكروعات من النخل التى على الماء وابن يامن صاحب نخيل بهجر والمشقر قصر
 بناحية اليمامة ٦ سوامق مرتفعات والجار الفتى من النخل وهو الذى فات الايدى فلم تله والاثيث الملتف
 بعضه على بعض والقنوان المذوق والبسر ما أحمر من الثمر ٧ بنو الربداء قوم من شق البحرين ولهم بصر
 بالنخيل وأقر استقر وأوقر حل ثمرة ٨ اعتم زهره أى بدأ صلاح بصره وتم وأكاهمه اقاعه وتهصر تنزل
 ٩ جيلان قوم من ابدل كان كسرى يرسلهم عمالا على البحرين والقطاع صرام المحل حتى تحيرا أى تحير فيه
 الماء من كثرة واصل ما يكون النخل اذا رسخ فى الوحل فى رواية اخرى تردد فيه العين والعين هنا هى عين الماء
 المعروفة بعين علم بالبحرين

سليمى فى سالف الدهر وجعل يعتب، على أسماء ويقول لها إن الجزاء من
جنس العمل فقال

كأن دعى سقف على ظهر مرمر كسا مزبد الساجوم وشيامصورا
نغرائر فى كن وصون ونعمة يحلين يا قوتا وشذرا مفقرا
إلى أن يقول :-

أسماء أمسى ودها قد تغيرا سنبدل إن أبدات بالود آخرا
ألا هل أناها والحواث جمه بأن امرأ القيس بن تملك يبقرا
وانتقل بمد ذلك إلى تذكره أهله وما هو عليه من سفر واعتراب فقال :-
تذكرت أهلى الصالحين وقدأت على خملى خوص الركاب وأوجرا
فلما بدا حوران والآل دونه نظرت فلم تنظر بعينيك منظر
تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
يسير يضج العود منه يمنه آخر الجهد لا يلوى على تعذراء
ولم ينسنى ما قد لقيت ظعائنا وخملا لها كالقر يوما مخدرا
كأنل من الأعراض من دون ييشة ودون الغميم عامدات بغضورا
وخرج من هذا إلى وصف ناقته والفخر بنفسه فقال

١ يقر هذه الكلمة معان كثيرة وأولاها بالسياق هنا انه خرج هائما على وجهه لا يدري ما غبه لان ذلك
المدنى يتفق وحال امرئ القيس ٢ خملى وأوجر موضعان والخوص العائرات الميون واحدها اخوص
او خوصا ٣ حوران جبل بالشام والآل السراب ٤ حماة وشيزر مدينتان بالشام ٥ العود المسن من الأمل
ويمنه يضجفه واخر الجهد أى المجهود الشديد لا يلوى على لا ياتعت الى وانعذر تقديم العذر ٦ الظعائن النساء
فى الهودج والخل الطعينة والقر الودج والمخدر المستور ٧ الأمل شجر والأعراض الأودية وييشة موضع كثير
الأسد وقيل ناحية الطائف والغميم واد بديار حنظلة وغضور موضع

فدع ذا وسل الهم عنك بحسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا ١
تقطع غطيانا كأن متونها إذا أظهرت تكسى ملاء منشرا ٢
بعيدة بين المنكبين كأنما ترى عند مجرى الضفر هرا مشجرا ٣
تطائر ظران الحصى بمناسم صلاب العجى ملثومها غير أمعرا ٤
كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته رجلها يحذف أعسرا ٥
كأن صليل المرو حين تشده صليل زيوف ينتقدن بعقرا ٦
عليها قى لم تحمل الأرض مثله أبر بميثاق وأوفى وأصبرا ٧
هو المنزل الآلاف من جوانات بنى أسد حزننا من الأرض أوعرا ٨
ولو شاء ذن الغزو من أرض حير ولكنه عمدا إلى الروم أنقرا ٩
وذكر بعد ذلك جزع صاحبه عمرو بن قميثة وكان في ركابه إلى قيصر
وأردف ذلك بوصف الفرس فقال

١ الجسرة الناقة القوية الطويلة وذمول أى سرية وصام النهار أى قامت الظهيرة وهجر من المجرة عند اشتداد الحر ٢ الفيطان واحدا غائطا وهو المظن من الأرض . أظهرت أى دخلت في وقت الظهيرة والملاء المنشر الثوب المبدوط ٣ المنك رأس المضد والضفر حبل يقتل من شعر وهو من أطاب المودج والهر القعد والمشجر المربوط المعلق ٤ الظران قطع من الحجارة محدودة والمعجى جمع عجاية وهى عصبة فى باطن يد الناقة وملتومها يريد خفها أى تلته الحجارة وغير أمعرا أى لم يذهب شعره ٥ نجلته أى رمته بمناسمها وألحذف الرمى والاعمى الذى يعمل بيديه جميعا ٦ صليل المرو صوت الحجارة وتشده تطيره والزيوف الدراهم الخالية من الفضة وعقير موضع باليمن كانت دراهمه زيوفاوز عموا ان عقرا واد كثير الجن ٧ قوله قى يعنى نفسه والميثاق العهد ٨ ناطط جل باليمن فى أرض همدان والحزن الوعر من الأرض ٩ العمى القصد وقوله انقرا أى انقرا أصحابه يريد اغترهم يقول لو شاء ان يغزوهم من أرض حير افضل ولكنه اراد ان يستعمل من بالروم مبالغة فطلب ثأرا .

بکی صاحبی لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
 فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا
 وإني زعيم إن رجعت ملكا بسير ترى منه الفراق أزورا
 على لاحب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطى جرجرا
 على كل مقصوص الذنابى معاود يريد السرى بالليل من خيل بربرا
 أقب كسرحان الغضى متمطر ترى الماء فى أعطافه قد تحدرا
 إذا زعته من جانبيه كليهما مشى الهيدى فى دفه ثم فرفرا
 إذا قلت روحنا أرن فراق على جلعد واهى الأباجل أبترا
 وبعد ذلك أخذ فى شكاية حاله وذكر مآله وجعل يبكى على أيامه

الخوالى فقال

١ زعيم أى كفيل والفراق الأسد والأزور المائل ٢ الاحب الطريق الواضح والمزار العلامة توضع على الطريق للاهتداء بها وقوله لا يهتدى بمناره أى ليس له منار يهتدى به والعود الجبل المسن وسافه أى شمه والنباطى الضخم وجرجر أى رغا وضج ٣ مقصوص الذنابى أى محذوف الذنب وقد كانت العادة أن تحذف أذنان خيل البريد ليكون ذلك علامة لها ٤ معاود أى معتاد السير ٥ يريد السرى رسول السير ليلا وبه بر قبيلة معروفة بالقيام على خيل البريد ٦ الاقرب الضامر والسرحان الذئب والغضى شجر ومتمطر أى ساق واعطائه فواحيه ويريد بالماء العرق ٧ الزوع الجذب باللجام واليدى ضرب من المشى السريع ودفه جنبه وفرفر نقض رأسه ٨ روحنا ارحنا من تعب السير ٩ ارن فراق أى صاح اسد والجلعد القوى العليظ والاباجل جمع ابجل وهو عرق الاكل وايت أى محذوف الذنب وقوله واهى الأباجل أى مدود عروق الاكل

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولا بن جريج في قرى حمص أنكرنا
نشيم بروق المزن أين مصابه ولا شىء يشفى منك يا ابنة عفزرا ٢
من القاصرات الطرف لودب محول من الذرف فوق الأتوب منها لا ثرا ٣
له الويل إن أمسى ولا أم هاشم قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا
أرى أم عمرو دمعها قد تحذرا بكاء على عمرو وما كان أصبرا
إذا نحن سرنا خمس عشرة ليلة وراء الحساء من مدافع قيصر ٤
إذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقرت به العينان بدلت آخرنا
كذلك جدى ما أصاحب صاحبا من الناس إلا خاتنى وتغيرا ٥
وكننا أناسا قبل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا
وما جبنت خيلى ولكن تذكرت مرابطها من بربعيص وميسرا ٦
ألا رب يوم صالح قد شهدته بناذف ذات التل من فوق طرطرا ٧
ولا مثل يوم فى قذاران ظالته كائن وأصحابى على قرن أعفرا ٨
ونشرب حتى نحسب الخيل حولنا نقادا وحتى نحسب الجون أشقرا ٩

١ بعلبك مدينة بالشام وقوله لقد أنكرتني أى لم يعرف فيها قدرى ٢ شيم نظر وبروق المزن لمعان الدخاب
وإين مصابه أى أين يقع مطر ٣ من القاصرات أى من النساء اللاتى حبين اعينهن على ازواجهن والمحول الذى
أتى عليه حول الحساء مواضع سهلة يستمتع فيها الماء ومنزدها حتى والمدافع المواضع التى يحجروا ويدفع
عنها ومعنى البيت إذا توغلنا فى بلاد قيصر ٤ جدى أى حظى ٦ بربعيص وميسر موضعان ٧ بناذف وطرطرا
موضعان بالشام أوقع فيهما بمدود وقد وصف اليوم بالصلاح لأنه نال فيه ما نئى ٨ قذاران موضع كان ظهره
فيه أكثر من ظهره بناذف وظالته أى ظلالته وقرن أعفرا أى قرن ظلى يبر إلى الحدر والاحتد الحرة وإلى
وأصحابه كانوا فى هذا الموضع على غير استقرار وظالته ٩ نسرب نسكر والنقاد صفار لثأل والجون الأبيض
خباطة سداد الأسماء ما حه ماضى مع أنهم كانوا يشربون حتى ذهب تمرهم من الإشام المتأمة

وقد جمعت هذه القصيدة صفات شعره في الطور الأول فإنه شبيب فيها
وذكر المعاهد والأماكن التي مر عليها في طريقه
وأنت تجد أن هذا الشعر صادر عن نفس نبيلة لا تلهيها قسوة الزمن
عن الحديث عن الشرف والمجد والنبالة ألا ترى إلى قوله وهو يعالج هما
ويتقلب على أشواك غربة ومحنة

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
ومن شعره في هذا الطور أيضا قصيدته التي مطلعها
أما على الربع القديم بعسعا كائن أنادي أو أظلم أخرسا ١
وفيها يقول

قلو أن أهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقيلا عندهم ومعرسا ٢
فلا تنكروني إني أنا ذا كم ليالي حل الحى غولا فألعسا ٣
تأوبني دائي القديم فعلسا أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا ٤
فأما تُربنى لا أغمض ساعة من الليل إلا أن أدب فأنعسا ٥

١ أما على أنولا وعسعا موضع مقيلا المراد أنولا في إدار الليل وآخره ٢ كعهدنا أي كما عهدناهم نزولا
فيها وأنقيل موضع النزول في نصف النهار والمعرس موضع النزول في آخر الليل ٣ غول وألس موضعان
٤ تأوب أي جاء مع الليل وقوله فليس أي في الغلس وانكس أي يعاودني دائي القديم وفي هذا البيت
يشير امرؤ القيس إلى أن انتقرح الذي أصابه عند اقتراب منيته كان قد أصابه قبل ثم عاد إليه وهذا يرجع
ما ذهبنا إليه من أن وفاته كانت بالجدرى وإن الحلة المسمومة من مزاعم التاريخ ٥ اكس

أي انتهى

فيارب مكروب كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفيسا ١
 ويارب يوم قد أروح مرجلا حبيبا إلى البيض الكواعب أملسا ٢
 برعن إلى صوتي إذا ما سمعته كما ترعوى عيط إلى صوت أعيسا ٣
 أراهن لا يحبن من قل ماله ولا من رآين الشيب فيه وقوسا ٤
 وما خلت تبريح الحياة لما أرى تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا ٥
 فلو أنها نفس تموت جميعا ولكنها نفس تساقط أنفسا ٦
 وبدلت قرحا داميا بعد صحة فيالك من نعمى تحولن أبوسا ٧
 لقد طمع الطماح من نحو أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا ٨
 ألا إن بعد العدم للدم قنوة وبعد المشيب طول عمر وما بسا ٩
 ويدل قول امرئ القيس

وبدلت قرحا داميا بعد صحة فيالك من نعمى تحولن أبوسا
 لقد طمع الطماح من نحو أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا
 على أنه قال تلك القصيدة بعد ارتحاله عن ديار قيصر وحين أصابه ما أصابه
 من تقرح بدنه عند اقتراب منيته

١ المكروب الواقع في كربة وقوله حتى تنفس أى حتى دعت عنه أعداءه وانزعج الموقف أمامه ٢ المرحل
 المسرح الشعر والكواعب جمع كاعب وهي الجارية التي تكعب ثدياها وأملس أى لم تثبت عارضته ٣ برعن
 أى يرجعن وبلغتن والعيط جمع عيطاء وهي البانة الفتية التي لم تحمل والاعميس "محل انتهى يضرب ياضه
 إلى الحرة ٤ قوس أى انحنى ظهره لكبر سنه ٥ التبريح شدة البلاء ٦ ثرته تموت بجمرة أى انى لموت
 بدفعة مرة واحدة وادكن نفسى لما بها من المرض تقلع قليلا قليلا وتخرج شيئا تشبه رعدا من طول المرض
 وشدة ٧ أبوس جمع بوس ودو البلاء والشدة ٨ طمع نظر عن بعد ٩ العدم الفقر والبدة . والقنوة
 النوى والرخاء

ومن بحسن شعره في هذا الطور أيضا قصيدته العينية التي بدأها
توذيده الصبا ومحنه إلى أيامه وذكر ما كان له في تلك الأيام من لحو
ومرسم . قال

أصبحت ودعت الصبا غير أتى أراقب خللات من العيش أربعا
مفغن قولي للندى ترفقوا يداجون نشاجا من الخمر مترعا ١
بومهن ركض الخيل ترجم بالقنا يبادرن سربا آمنا أن يفزعا
وهن نص العيس والليل شامل يمين مجولا من الأرض بلقعا ٢
منحوا رجع من برية نحو قرية يحددن وصلا أو يرجين مطمعا
وومهن سوف الخود قد بالندى تراقب منظوم التمام مرضعا ٣
يعز عاها ريتي ويسوءها بكاه فتثنى الجيد أن يتضوعا
إلى أن يقول

إذا أخذتها هزة الروع أمسكت بمنكب مقدم على الهول أروعا
وكان بين امرئ القيس وبين - بيع بن عوف بن مالك بن حنظلة قرابة
فتزل سبيع على امرئ القيس وسأله فلم يعطه شيئا فتعال سبيع أبياتا يعرض
فيها بامرئ القيس فرد عليه أمير الشعر بقصيدة جرى فيها على عادة القدامى
مبدأها بذكر الديار والأطلال فقال

لمن الديار غشيتها بسحام فهمايتين فهضب ذى أقدام ٤

١ التشاج ذق الخمر ٢ نص العيس أى سوق الأبل ويومهم يقصدون ولتفع أى حال ٣ الخود العادة الحساء
- وقوله سوف الخود أى شهما ٤ سحام وما بعدها أسماء مواضع . والحضب جمع هضة وهى القطعة من الجبل

فصفا الاطيط فصاحتين فغاضر تمشى النعاج بها مع الآرام ١
 دار لهند والرباب وفرتنا ولميس قبل حوادث الآيام
 عوجا على الطلل المحيل لآتنا نكي الديار كما بكى ابن حزام ٢
 وتدرج من ذلك إلى التشبيب بصواحبه في غزل رقيق فقال :-
 أو ماترى أظمانن بواكرا كأن نخل من شوكان حين صرام ٣
 حور تعلل بالعبير جلودها بيض الوجوه نواعم الأجسام ٤
 ثم وصل ذلك بذكر معتق الخمر وما تفعله في جسم شاربها فقال :
 فظلمت في دمن الديار كأتني نشوان باكره صبوح مدام ٥
 أنف كلون دم الغزال معتق من خمر عانة أو كروم شبام ٦
 وكان شاربها أصاب لسانه موم يخالط جسمه بسقام ٧
 وانتقل من هذا إلى وصف ناقته وسرعة سيرها فقال
 ومجدة نسأتها فتكششت رةك النعامة في طريق حام ٨

١ صفا الاطيط وصاحتان فغاضر أسماء مواضع والنعاج دقر الوحش والآرام من الغزلان ٢ عوجا عرجا
 واعطفنا والطلل المحيل الذي أنت عليه الأحوال فغيرته وابن حرام رجل بكى الديار قبل امرئ القيس
 ٣ بواكر مبكرات وشوكان موضع وصرام النخل قطافه ٤ حور جمع حورا. والحور من علامات الجنال وهو
 شدة يابض العين وشدة سوادها وقوله تعلل بالعبير جلودها أى تطيب جلودها بالطيب والزعفران مرة بعد مرة
 ٥ الدمن آثار السكبان والنشوان السكران وبأكراه عجل اليه والصبوح الشرب صباحا ٦ يقال كاس أنف
 أى لم يشرب من دمن أحد قبله ودم الغزال أشد الدماء حرة ولذلك شهواه وعانة وشبام موضعان تطيب فبهما
 الخمر ٧ الموم مرض يهذى فيه ٨ ومجدة أى رب ناقته ونسأتها أى دعتها بالمسأة وهى العصي وتكششت أسرع
 وقوله رةك النعامة أى تهتز في سيرها اهتزاز النعامة وحام حار متوهج والنعامة إذا مشيت في الرمضاء حرت جرياشديدا

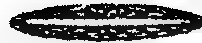
تخدى على العلات سام رأسها روعاء منسما رثيم دام ١ -
فجزيت خير جزاء ناقة واحد ورجعت سالمة القرى بسلام ٢
وخرج من ذلك كله إلى تهكمه بسيع تهكما دونه حد المواسى فقال
أبلغ سديعا إن عرضت رسالة أنى لظنك إن عشوت أحامى ٣
فأقصر إليك من الوعيد فأتى بما ألقى لا أشد حزامى ٤
وأستطرد بعد هذا إلى نخره على سبيع وذكر شجاعته وبطشه وكرم
محمده وعنصره فقال

وأنا المنبه بعد ماقد نوّموا وأنا المعان صفحة الزوام ٥
وأنا الذى عرفت معد فضله ونشدت عن حجر بن أم قطام ٦
إلى أن يقول
وأنازل البطل المكره نزاله وإذا أناضل لا تطيش سهامى ٧
وقد كان امرؤ القيس يسخر بشيء من عادات الجاهلية ويظهر أثر هذه
السخرية في نصيحته لهند إذ يقول لها
أيا هند لا تنكحى بوهة عليه عقيقته أحسبا ٨

١ تخدى تسرع والعلات جمع علة وسام مرتفع ودوعاء قوية القلب ومنسما طرف خفها والرثيم الملتصق بالثمن
٢ القرا الظهر ٣ عشوت أى نظرت نظرا ضيقا وأحامى ادافع ٤ أقصر إليك من الوعيد أى امسك عليك
برعيدك وقوله لا أشد حزامى أى لست فى حاجة إلى أن استعد لذلك ٥ قوله وأنا المنبه بعد ماقد نوّموا أى اغير
على أعدائى فأنهبهم وواجههم وهم مستيقظون بالقتال وذلك لاقتدارى عليهم والمعالى الذى يقابل القوم وسما
لوجه ٦ نشدت أى رفعت ذكره فى الناس ٧ أنازل أقاتل وأماصل أى أرمى بالسهم وقوله لا تطيش سهامى
أى لا تتجاوز الغرض ولا تخطئ المرمى ٨ البوهة البومة العظيمة وقال الحليل الرجل الضعيف والعقيقة الشعر
الذى يولد به العفل والاحسب الذى أبيضت جلده وفسدت شعرته

مرسفة بين أرساغه به عسم يبتغى أربا ١
ليجعل في كفه كعبها حذار المنية أن يمطبا ٢
ولست بخزافة في القعود ولست بطياخة أخدبا ٣
ولست بذى رثية لأمر إذا قيد مستكرها أصحبا ٤

١ المرسفة الرجل الذى فسدت عينه وتغيرت والأرساغ جمع رساغ وهو سير يضفرو يشد فى الساق الى
وتد فيمنعه من المشى والسم يابس فى المرقع يموج منه الكعب ٢ أى انه جاهل يظن ان كعب الأرب اذا
علقه على كفه دفع عنه الموت وهذه اشياء كانت العرب تعتقدها ومنها ان الرجل كان اذا قدم على بلد فيه
وباء فصاح صيحة الخير عشرا وقي ونحما وشرها ومنها اذا اصاب الصبي عين فعلق عليه عقد من بلع ورق له
فى الماء وصب عليه زال ذلك ٣ الخزافة الكثير الكلام الخفيف والطياخة الذى لا يزال يقع فى بلية وسوء
والأحذب الذى يركب رأسه ولا يتمالك عن الحق والجهل ٤ الرثية مرضن المفاصل وهو الروماتيزم والأمر
الضعيف من الرجال الطواعية وقوله اذا قيد مستكرها أصحبا أى اذا دعى لأمر يكرهه انقاد الى من دعاه
وصحب من قاده



حول ما أخذ العلماء

على

امرى القيس في أشعاره

عاب الباقلاني ومن على شاكلة من أهل النظر الغابر على امرى القيس
قوله في معلقته

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وخومل
فتوضح فالمقراة لم يعنف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال
فقالوا إنه استوقف من يبكى لذكرى الحبيب وذكره لا تقتضى بكاء
الخلى وإنما يصح طلب الأسعاد في مثل هذا على أن يبكى لبكائه ويرق لصديقه
في شدة برحائه فأما أن يبكى حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر محال فإن كان
المطلوب وقوفه وبكاؤه أيضاً عاشقا صح الكلام وفسد المعنى من وجه
آخر لأنه من السخف ألا يغار على حبيبه وأن يدعو غيره إلى التنازل عليه
والتواجد معه فيه . ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية
هذه الأماكن من الدخول وخومل وتوضح والمقراة وسقط اللوى وقد كان
يكفيه في التعريف بعض هذا . وهذا التظويل إن لم يفد كان ضربا
من العي »

وذلك منهم تحامل ما كان ينبغي أن الشاعر وقف واستوقف وبكى
واستبكى وذكر العمد والمنزل والحبيب وتوجع واستوجع . كل ذلك في بيت
واحد مما جعل الأدباء يعدونه بحق من أجود مطالع الشعر العربي وضرروا

بحسنه المثل فتمالوا (أحسن من قفانبك) ولكي نخلص هذا الشعر من الشبه التي قامت برءوس النقاد وحامت حوله نقول إن الشاعر أراد بالحبيب والمنزل الجنس فكأنه قال ليقف كل منا يبكي صفاء عيشه وتمتعه بحبيبه في تلك المنازل الشاغلة لتلك النواحي التي سماها حيث الدخول وخومل فتوضح فالمقراة

وقالوا أيضا (كان ينبغي أن يقول لما نسجها ولكنه تعسف فجعل (ما) في تأويل التأنيث لأنها في معنى الريح والاولى التذكير دون التأنيث وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف)

ولكن التعسف منهم لا منه فإن اللغة تجيز له قوله فقد قال التبريزي " قوله لما نسجتها (ما) في معنى تأنيث والتقدير للريح التي نسجت المواضع والهاء تعود على الدخول وخومل وتوضح والمقراة ونسجت صلة ما ومافيه من الضمير يعود على ما "

وقال بعض أئمة اللغة يجوز أن يكون ما في معنى المصدر يذهب إلى أن التقدير لنسجها الريح أي للتي نسجتها الريح ثم أتى بمن مفسرة فقال من جنوب وشمال ففي نسجت ذكر الريح لأنه لما ذكر المواضع والنسج والرسم دلت على الريح فكفى عنها لدلالة المعنى عليها .

وفوق هذا كله فأن في البيت رواية أخرى تدفع توهمهم وهي

فتوضح فالمقراة لم يعنف رسمها لما نسجته من جنوب وشمال

والهاء تعود على الرسم

وقالوا أيضا « كان ينبغي أن يقول لم يعف رسمه لأن الضمير يعود على المنزل وهو مذكر ، وإعادة على الأمان والبقاء المسافة التي المنزل واقع بينها قدلك خلل لأنه إنما يريد صفة المنزل الذي رحل عنه حبيه ولم يبق سوى أن أعاده على المنزل مؤولا له بالدار ، وهم ينكرون ذلك التأويل تأويل المنزل بالدار ويزعمونه خللا ولا مكتنا نقول لهم إن أبا عمرو قال سمعت أعرابيا يقول (فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها) قال أبو عمرو . فقلت أتقول جاءته كتابي ؟ فقال أليس بالصحيفة ؟ . وقال بعض العلماء (الأظهر أن رسوم المنازل حيث كانت بهذه الأمان صحت إضافتها إليها)

وعاب عليه الباقلاني قوله :

وقفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتحمل
وإن شفاي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول
فقال « ليس في البيتين معنى بديع ولا لفظ حسن » ونحن نقول له إن
الفاظ هذين البيتين حوك العذوبة ونسج الرقة وإنها لتسابق في الوصول
إلى السمع والتغافل في القلب فأى لفظة فيها حوشية مستكرهة أو ساقطة
متسفة فما أجمل الصحب والوقوف بهم على المطى وما أشهى التحمل وعدم التهلكة
من الأسي وما أندى على الفؤاد تلك العبرة المهرقة وما أجدى إلى النفس
معول عند رسم دارس . أما عن بداعة المعنى الذي ينكره الباقلاني فأنا
لأنوافق على ذلك ونرى أن امرأ القيس أفاد وأجاد فقد أوقف أصحابه عليه بمطيهم

يواسونه في آلامه وبرحائه ويعينونه على الصبر والجلد يقولون له عنك
والأسي لاتهلك ولكن أمرأ القيس يرى أن وجدده لاتنفع حياله كلمات
السلوان وأن شفاه من آلامه عبرة مهراقة لو استطاع إليها سبيلا فأندمعه
عصى ولا يحدى البكاء عند الرسم الدارس

وعلى ذلك فانتقاد الباقلاني لمعنى البيتين ولفظهما ضرب من التحامل
وتوهم عرى من الفائدة وليس أدل على ماذهبنا إليه من حسن هذين البيتين
من أن طريقة بن العبد أخذ بيت امرئ القيس الأول بجملته وأدخله في
معلقته بلفظه ونظمه وترتيبه

وقال الباقلاني في نقد هذين البيتين أيضا « قوله بها متأخر في المعنى
وإن تقدم في اللفظ ففي ذلك تكلف وخروج من اعتدال الكلام ، والحق
عندي أنه لا تكلف ولا خروج من اعتدال الكلام وإن كان قوله (بها)
متأخرا في المعنى متقدما في اللفظ فليس ذلك بضائر أمير الشعر ولا منزل
من قدره مادام كلامه جاريا على قوانين النحو وأساليب العرب وليس فيه
تعسف ولا تعقيد

وقال الباقلاني أيضا « البيت الثاني مختل من جهة أنه قد جعل الدمع في
اعتقاده شافيا كافيا فما حاجته بعد ذلك إلى طلب حيلة أخرى وتحمل ومعول
عند الرسم الدارس ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب أن يدخل على أن
الدمع لا يشفيه لشدة مابه من الحزن ثم يسأل هل عند الربع من حيلة
أخرى،

وكانني بالباقلاني آجره الله لا يعلم أن المعهود عند الناس جميعا أن في
البكاء راحة وترفيها عن المحزون فما يريد الشئخ خلاف ما عليه العرب وضد
ما يعرف من معانيها لأن من شأن الدمع أن يطفىء ويبرد حرارة الحزن
ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة وهو في أشعارهم كثير موجود ينحى به
هذا النحو من المعنى فمن ذلك قول امرئ القيس الذي ينكر عليه الباقلاني

• وإن شفتني عبيرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول
وقول ذي الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى نجي البلايل
وقول الحسن بن وهب :

أبك فما أكثر نفع البكا والحب إشفاق وتعليل
وهو إذا أنت تأملته حزن على الخدين محلول

وقول المرزوق

• فقلت لها إن البكاء لراحة به يشفى من ظن أن لا تلاقيا
وقول أبي تمام

واقعا بالحدود والبرد منه واقع بالقلوب والاكباد
وقوله أيضا •

فلعل عينك أن تجود بمائها والدمع منه خادل وهواسي
وقوله أيضا :

فلعل عبيرة ساعة أذريتها تشميك من إرباب وحد محول

وقوله أيضا :

نثرت فريد مدامع لم تنتظم والدمع يحمل بعض ثقل المأثرم
وهذا كثير في أشعار العرب ولو أن واحدا من الشعراء خرج عن ذلك
المألوف - الذى ظنه الباقلانى عيبا وما هو بالعيب - 'لكن كان مفعيبا وكذلك نرى
الآمدى يعيب على أبى تمام قوله :

ظعنوا فكان بكأى حو لا بعدهم ثم ارعويت وذاك حزنكم لييد
أجدر بجمرة لوعة إطفائها بالدمع أن تزداد طول وقود
فقال لو كان أبر تمام اقتصر على المعنى الذى جرت به العادة في وصف
الدمع لكان المذهب المستقيم ولكنه أحب الأغراب فخرج إلى ما لا يعرف
من كلام العرب ولا مذاهب سائر الأمم وقد تبعه على الخطأ البحتى فقال
فعلام فيض مدامع تدق الجوى وعذاب قلب في اجتتاب معذب
وعلى ذلك فما يريد الباقلانى خروج إلى ما لا يعرف من كلام العرب
ولا مذاهب سائر الأمم ومن هذا نرى أنه لو جاء بيت امرئ القيس كما
يريد الباقلانى لكان مفعيبا مخالفا للمألوف ومشتملا على غلو ومبالغه مردولة
غير مقبولة على أن في البيت رواية أخرى وهى
وإن شفانى عبرة إن سفحتها

وفى هذه الرواية نرى امرأ القيس جعل في العبرة شفاءه ولكن هذه
العبرة متوقعة في الوجود على الشرط الذى بعدها وهو قوله (إن سفحتها)
ولفظه (إن) فى هذا البيت محتملة معنى الشك وينبنى على هذا الشك أن

سفع العبرة غير حاصل وعلى ذلك فالشفاء غير متوقع فكانه يقول إن شفائي
عبرة إن سفعتها وأنى لي ذلك وقد غاض المعين وأجذب المارعى

وعيب على امرئ القيس قوله :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها

قالوا إنه أكذب نفسه بعد ذلك فقال :

وهل عند رسم دارس من معول

وذلك العيب مردود أيضا فليس قوله (وهل عند رسم دارس من
معول) مناقضا لقوله (لم يعف رسمها) لأن معناه لم يعف رسم حبها من قلبي
وإن نسجتها ريح الجنوب وريح الشمال وكانت في نفسها وحقيقتها دراسة
وقيل إن معنى (لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال) أنها لم يعف
رسمها للريح وحدما وإثما عفا للطر والريح ومر السنين وغير ذلك من أحداث
الزمن . وقال الأصمعي أيضا معنى (وهل عند رسم دارس من معول)
أنه قد درس بعضه ولم يدرس كله كما تقول درس كتابك أى ذهب بعضه
وبقى بعضه . ومن كل هذا نرى أن الشاعر ما أكذب نفسه ولا ناقضها

وعاب عليه الباقلاني وأضرا به قوله

إذا قامتا توضع المسك منهما نسيم الصبا جاءت برىا القرنفل

فقالوا في نقده : ولو أراد أن يحود هذا البيت لأفاد أن بها طيبا على كل

حال فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير . وقالوا أيضا إنه بعد أن شبه عرفها بالمسك شبهه برىا القرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص لانه بدل أن يترقى من الأدنى إلى الأعلى انحدر من الأعلى إلى الأدنى وهذا معيب ،

ويرد عن العيب الأول بأنه جرى على المعروف من أن الرائحة الطيبة تفوح بقوة زائدة متى وقع الجسم الذى تقوم به فى حركة لتموج الهواء الذى تنتشر به الرائحة

وردنا عن العيب الثانى أن غرض امرئ القيس تشبيه انتشار رائحتها الطيبة عند قيامها بانتشار الرائحة الذكية التى يهب عليها النسيم أيّا كان مبعثها وليس مراده تشبيه نفس الرائحة بالقرنفل بعد أن شبهها بالمسك . وعلى ذلك فليس هناك انحدار فى المعنى من الأعلى إلى الأدنى لأن المعنى مبنى على مطلق تشبيه رائحتها برائحة ذكية

وجاء فى خزانة الأدب الكبيرى أن هذا البيت (إذا قامت... الخ) اتسع النقد فى تأويله ، فمن قائل تضوع المسك منهما بنسيم الصبا ومن قائل تضوع نسيم الصبا منهما ومن قائل تضوع المسك منهما تضوع نسيم الصبا - وهذا هو الوجه - ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم - يعنى الجلد - بنسيم الصبا ، وقال ابن المستوفى فى شرح أبيات المفصل : حدثنى الامام أبو حامد سليمان قال : كنا فى خوارزم وقد جرى النظر فى بيت امرئ القيس إذا قامت تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت رىا القرنفل

فقالوا كيف شبه تَضَوُّع المسك بنسيم العبا والمشييه ينبغي أن يكون يمثل المشبه به والمسك أطيب رائحة ؟ وطال القول في ذلك فلم يحققوه . وكان سألني عنه فأجبت لوقتي إنه شبه حركة المسك منهما عند القيام بحركة نسيم الصبا لأنه يقال تَضَوُّع الفرخ أى تحرك ومنه تَضَوُّع المسك تحرك وانتشرت رائحته ، وذلك أن المرأة توصف بالبطء عند القيام فحركة المسك تكون إذا ضعيفة مثل حركة النسيم وانتشاره كإنتشاره فالنشيه صحيح ، والنسيم الريح الطيبة ، ونسيم الريح أولها حين تقبل بلين ، ولقائل أن يقول : إن نسيم الصبا هو الريح الطيبة إذا جاء بريا القرنفل وهى أيضا ريح طيبة قاربت وريح المسك ... وبعد أن حرى ذلك بمدة طويلة وقع إلى كتاب أبى بكر محمد ابن القاسم الانبارى فى شرح القصائد السبعيات فوجدته ذكر عند هذا البيت قولاً حسناً وهو قوله : ومعنى تَضَوُّع المسك أخذ كذا وكذا (وهو تفعل من ضاع يضوع) يقال للفرخ إذا سمع صوت أمه فتحرك قد ضاعته أمه تغبوره ضوعاً . فلا حاجة مع قوله أخذ كذا وكذا إلى تمحل لذلك ويكون التقدير تَضَوُّع المسك منهما تَضَوُّع نسيم الصبا أى أخذ كذا وكذا كما أخذ النسيم كذا وكذا - اهـ

والزوزنى يقول إذ لقامتا (أم الحويرث وأم الرباب) فاحت ريح المسك منهما كنسيم الصبا إذا جاءت بعرف القرنفل ونشره شبه طيب رياهما بطيب نسيم هـ على قرنفل وأنى برياه - اهـ

وبعد هذه كله فأن فى البيت رواية أخرى تدفع كل عيب متوهم ذكرها

ابن أيوب وهي

إذا التفت نحوى تضوع ريحها نسيم الصبا جاءت برياً القرءل

٤٤٤

وعابوا عليه أيضاً قوله : -

فماضت دموع العين منى صباة على النحر حتى بل دمعى محملى
فقد قالوا واستعانت به بقوله (منى) استعانة ضميقة عند المتأخرين في
الصنعة وهو حشو غير ملبح ولا بديع وقوله (وعلى النحر) حشو آخر
لأن قوله (بل دمعى محملى) يعنى عنه ويدل عليه وليس بحشو حسن .
ثم قوله (حتى بل دمعى محملى) إعادة ذكره الدمع حشو آخر وكان يكفيه
أن يقول حتى بلت محملى فاحتاج لإقامة الوزن إلى هذا كله ، وقالوا أيضاً
« لو كان أبدع لكان يقول حتى بل دمعى معانيهم وعرضاتهم »

ونقض العيب الأول أن قول الشاعر (منى) قامت مقام إضافة العين
إلى ضمير المتكلم . ولو قال الشاعر (دموع عيني) لكان حقيقته لفظ
(منى) حشوا مردولاً ولا يمكنه لم يقل (عيني) وإنما قال (العين) وعلى
ذلك فلايس في قوله (منى) حشو كما زعموا . ونحن لا ننكر أن الإضافة
لو ساعد عليها الوزن تكون أطف وأخف على الذوق من
زيادة (مى) .

أما عن العيب الثانى فنحن نقول لهؤلاء العائبين المتوهمين . إنما العيب
هو إيراد الكلام الذى يعنى فيه الأول عن الآخر أما عكس ذلك من

إغناء الآخر عن الأول وهو الذى نهج عليه امرؤ القيس فقبول لا عيب فيه لأن اللفظ الأول قرر معنى فى نفس السامع ثم جاء المعنى الثانى ودل على معنى جديد وفى ضمنه الدلالة على المعنى الذى دل عليه الأول أما عن عيهم الثالث فأن قصارى ما فيه الاظهار فى مقام الاضمار وهو هنا غير معيب إذ لا ينبو عنه الذوق وقد أ كسب التركيب مكانة لأن المقام مقام تمجع وحزن

وفيه قوة الأيماء إلى أن الدمع الذى هو معروف بالقلة ومعهود بعدم الانحدار إلى ما وراء الحدود قد استرسل وانتشر إلى أن سال على النحر وبل المحمل، ولم يعال امرؤ القيس فيدعى أن دمه بل مغانيهم ورسومهم لأن البعد عن الحقيقة إلى هذا الحد والتطوح فى المبالغة إلى هذا المقدار إنما يميل إليه المولدون .

وبعد ما سبق فهناك اعتراض على البيت ذكره التبريزى وتولى بنفسه الرد عليه فقال (وما يسأل عنه فى هذا البيت أن يقال كيف يبيل الدمع محمله وإنما المحمل على عاتقه فيقال قد يسكون منه على صدره فأذا بكى وجرى الدمع عليه ابتل)

وما عابه عليه الباقلاني، أيضا قوله : -

فظل العذارى برتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل
فقال « إنهم يعدون هذا البيت حسنا ويعدون الشبيه ما يحاواقعا ، وفيه

شيء وذلك أنه عرف اللحم ونكر الشحم فلا يعلم أنه وصف شحمها . وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع وعجز عن يشبيه القسمة الأولى فمرت رسالة وهذا نقص في الصنعة وعجز عن إعطاء الكلام حقه »

وردنا على هذا القول أنه لا عيب في التعريف والتنكير في قوله (بلحمها وشحم) لأن المعنى المقصود بلحمها وشحمها . وإنما يعتبر التعريف والتنكير عيباً فيما لو قال امرؤ القيس (باللحم منها وشحم) لافي الوزن فحسب بل في الفن البياني . وكذلك لو قال أيضاً (بلحمها وشحمها كهداب الدمقس المقتل) لكان ذلك عيباً لرجحان أحد القسمين على الآخر بالتشبيه . وكذلك لو قال (بلحمها والشحم كهداب الدمقس المقتل) لكان ذلك عندنا معيباً أيضاً لأنه خارج على الذوق الفني وهذا الذوق يدرك ولا يحس . ثم إن التشبيه الذي خص به امرؤ القيس الشحم أئسب قوله (وشحم) قوة التعريف ومن ذلك نفع على السر الفني وحسن الذوق البياني في أن امرؤ القيس شبه الشحم وترك القسمة الأولى وهي اللحم رسالة دون تشبيه لتكون القسمتان متعادلتين في القوة وليحصل التوازن بينهما فلا ترجح إحداهما على الأخرى

وعلى هذا فامرؤ القيس ما قصر في الصنعة ولا نقص فيها ولا عجز عن إعطاء الكلام حقه كما وهم الباقلاني بل إنه كان بارعاً في فنه البياني وفلسفته الكلامية وقال الباقلاني أيضاً في نقد البيت السابق « وفيه شيء آخر من جهة المعنى وهو أنه وصف طعامه الذي أطعم من أضاف بالجودة وهذا قد يعاب وقد

يقال إن العرب تفتخر بذلك ولا يروونه عيبا وإنما الفرس هم الذين يرون هذا عيبا شنيعا ، وحسبنا أن يتولى الباقلاني الرد بنفسه على ما أخذه على امرئ القيس بقوله (وقد يقال إن العرب تفتخر بذلك ولا يروونه عيبا ... الخ) وفوق ذلك فأن العرب لا تتعاشى أن تذكر مثل ذلك في مقام الفخر بالكرم ولا يروونه عيبا وأمامنا أشعارهم ومنشورهم وأخبارهم كلها مليئة بالفخر بأطعام الضيفان ووصف ذلك الطعام بالجودة واثن قال « منهم (إن اغتفر للرجل أن تبجح بأطعام الضيوف فأن التبجح بأطعام الأضياف مذموم على أى حال) فأننا نعتذر عن امرئ القيس بأنه قصد إلى وصفت حالتهم في اللعب والتراعى بلحم الةقة التى نذها في سبيل مرضاتهم

وقال الباقلاني أيضا « أما تشبيه السحيم ، الدمقس فشئ يقع للعامة وبحرى على ألسنتهم فليس شئ قد سبق إليه »

ونحن لا ندرى ماذا يقصد « الباقلاني بقوله إن هذا التشبيه يقع للعامة أ كان ذلك في عصر امرئ القيس أم في عصر الباقلاني ؟ ولا كن الذى يلوح لنا أن الباقلاني يريد بالعامة أهل زمانه هو ، وإذا كان الأمر كذلك فليس هذا بضائر امرئ القيس لأن العبرة بعصر الشاعر وزمانه هو لا بالأجيال الآتية بعده على أن استعمال العامة لهذا التشبيه واشتهاره في عصر الباقلاني إلى تلك الدرجة مما يدل على براعة امرئ القيس في تشبيهه حتى أخذ كل إنسان يحريه على لسانه لحودته وحسن تسيقه وعظمة قائله

ونحن لا نستبعد أن يكون الباقلاني قصد بالعامة أهل عصر

امرى. القيس فأن تعبيره بالمضارع فى قوله يقوم ويجرى يرجح أن المراد أهل زمانه هو . ولئن أراد الباقلانى عامة الجاهلية فمن أنى له هذا ؟ فهل عاش الباقلانى فى عصر امرىء القيس حتى سمع أن التشبيه يجرى على السنة العامة الجاهلية ؟ وهل كان هناك عامة وخاصة ؟ لا ؛ ولكنهم جميعا كانوا ذوى لسان عربى مبين غير دى عوج و تقسيم الباطنيين بالعربية إلى عامة وخاصة واقع بعد أن فسدت اللغة بمخالطة الأعاجم فى العصور المتأخرة . وعلى ذلك فراد الباقلانى عامة أهل زمانه هو وإذا كان الأمر كذلك فلا يؤخذ على امرىء القيس عيب فى تشبيهه بآسلفنا

دعنا

وعاب عليه الباقلانى قوله

ويوم دخلت الحدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلى
تقول وقد ما العييط بنامعا عمقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل
فقال : قوله دخلت الحدر خدر عنيزة ذكر تكريرا لا إقامة الوزن لا
مائدة فيه ولا ملاحظة له ولا رونق وقوله فى المصراع الأخير من هذا البيت
فقالت لك الويلات إنك مرجلى كلام مؤنث من كلام النساء نقله من جهته
إلى شعره وليس فيه غير هذا . وتكريره بعد ذلك تقول وقدمال الغييط يعنى
قتب الهودج بعد قوله فقالت لك الويلات إنك مرجلى لا فائدة فيه غير تقدير
الوزن وإلا فحكاية قولها الأول كاف وهو فى النظم قبيح لأنه ذكر مرة
فقالت ومرة تقول فى معنى واحد وفصل خفيف وفى المصراع الثانى أيضا

تأنيث من كلامهن وذكر أبو عبيدة أنه قال عقرت بعيري ولم يقل ناقتي لأنهم يحملون النساء على ذكر الأبل لأنهم أقوى وفيه ظن لأن الأظهر أن البعير اسم للذكر والأنثى واحتاج إلى ذكر البعير لافتقار الوزن ،

ونحن لا ننكر أن تكرير كلمة خدر ساعدت على إقامة الوزن كما أننا لا نرى فيما أورد الباقين عيبا بل نحن نشهد أن تكرير كلمة خدر من إبداع أمرى القيس والحال يقتضى ذلك لأن المهام مقام غزل وذكرى يستلزم الأظاظ وترديد ما يندى على قلب المحب وعلى ذلك فالكرير جيد مستعمل

وكذلك ما عابه عليه من أن في البيتين كلاما مؤشرا فإن الحق في جانب امرى القيس لأنه يحكى قول معشوقته ويلزم أن يجرى القول عن لسانها ليكون مطابقا لمقتضى الحال وليأمل اللغز مع المسمى والمقام ولو أن امرأ القيس استعمل ألقاظا غير التي استعملها لكان ذلك عندها معيبا ولكنه أجاد وفاد ولا عيب عليه من هذه الناحية

وأما عن قول امرى القيس تقول وقد مال العيط بنا الخ بعد قوله فقالت لك الولايات فإنه لا غار عابه لأن المقام كما قدمنا مقام غزل وسبب يقتضى الأظاظ والفصل ليس حقيقا كما يدعى الباقين

وإننا لنجد فيما أورده الباقين من قول أبي عبيدة ثم محاولته العضم من قيمه امرى القيس في استعماله كلمة (بعير) نجد في ذلك تحاملا مستينا ينم عن نفسه ويكاد يلمس باليد فيا سبحان الله ويا ترى هل لو استعمل امرؤ القيس كلمة (ناقة) بدل كلمة (بعير) أما كان الباقين يعيبها عليه ويتخذ

من قول أبي عبيدة حجه لـه ؟ ولذلك فبحسب نقرر أن الباقلا في لم ينصف
أمر القيس في نقده بل جعل يعد الحسات سيئات

٤٤٤

وعاب عليه الباقلاني قوله .

فقلت لها سيري وأرحى زمامه ولا تبعدي عن جنائك المعلن
فقال « أليس قريب المدح ليس له معنى بديع ولا لهظ شريف كأنه
من عبارات المنحطين في الصفة »

ونحن نسأل الباقلاني رحمه الله وشهد عليه الأديباء في أي شيء قصر
أمر القيس حتى يعاب عليه معناه أو لفظه ألم يطامس معشوقته على بعيرها
وعلى نفسها حين كانت خائفة وحلة قول له إنك مرحلى وعقرت بعيري
فأمرها بأن لا تبالى ولا تحمل لهذا ولا وهام محلا في مخيلاتها فقال لها سيري
وأرحى زمامه ولم يمس إداك ما تصور إليه نفسه بل عطفه على ما قبله
فطلب إليها ألا تبعده عن حماها المعلن وكأني بالباقلاني لم يقرع سمعه ولم
يتذوق حلالة قول امرئ القيس (ولا تبعدي عن جنائك المعلن) فذلك
من الألفاظ الشريفة البالغة غاية الروعة في حماها وتفضيلها مع حسن السبك
وبراعة النسيج فقد جعل عشيقته بمنزلة الشجرة وجعل ما بال من عناقها وتقبيلها
وشمها بمنزلة الثمرة التي عللت بالطيب أي طابت مرة بعد مرة

٤٤٥

وعا عليه عليه منتقدوه قوله

فذلك حبل قد طرقت وهرضع فآلميتها عن ذى تمائم محمول
إذا ما بكى من خلفها انصرفته بشق وتحتى شقها لم يحسول
فقلوا ، هذا معنى فاحش ، وقالوا أيضا ، كيف قصد للحبلى والمرضع
دون البركر وهو ملك وابن ملك ؟ ما فعل هذا إلا انتقص همته ، وقال
الباقلانى فى نقد ذلك الشعر أيضا ، تقدير قوله فذلك حبل . . . البيت . أنه
زير نساء وأنه يفسدهن ويلهبهن عن حبلهن ورضاعهن لأن الحبلى والمرضعة
أبعد من الغزل وطلب الرجال وهذا البيت فى الاعتذار والاستهتار والنهيام
وهو غير منتظم مع المبنى الذى قدمه فى قوله (ولا تبعدينى عن جنائك المعلن)
لأن تقديره لا تبعدينى عن نفسك فأنى أغلب النساء وأحدهن عن رأيهن
وأفسدهن بالتعارل ، وكونه مفسدة لهن لا يوجب له وصلهن وترك إبعادهن
إياه بل يوجب هجره والاستخفاف به لسخفه ودخوله كل مدخل فاحش
وزكوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش والتفحش ما يستندف الكريم
من مثله ويأثف من ذكره ، وقال الباقلانى أيضا عن قول امرئ القيس (إذا
ما بكى من خلفها . . . البيت . . إيه غاية فى الفحش ونهاية فى السخف وأى
فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح ويذهب هذه المداهب
ويرد هذه الموارد إن هذا ليعضه كل من سمع كلامه ويوجب له المقت وهو
لو صدق لكان قبيحا فكيف ؟ ويجوز أن يكون كاذبا . ثم ليس فى البيت
لفظ بديع ولا معنى حسن ،

ودفاعنا فى ذلك أن هؤلاء العائنين فاتهم أن كل المعانى الشعرية معرضة

للشاعر وله يتكلم فيما أحب منها لا فيما يحبه سواه ، وفيما شاء هو لا فيما يشاؤه غيره - كما يقول قدامه في كتابه نغم الشعر - والذي يلزم الشاعر فقط أنه إذا شعر في أى معنى كان من الرفعة والضعفة ، والرفق والبراعة ، والبذخ والقناعة ، والمدح والذم ، وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة التي يمايها على الشاعر وجدانه ويوحىها إليه شيطانه أن يتوخى البلوع من التجويد في ذلك إلى العاية المطلوبة وعلى ذلك فليست فحاشة المعنى في شعر امرئ القيس بما يزيل جودته ويذهب سلاغته أما عن قواهم كيف قصد للحبلى والمرضع دون البكر فذلك مردود أيضا لأن امرأ القيس في هذين البيتين يوجه الخطاب إلى شقيقة وقد كانت بكرًا كما قال الزورنى إذا هو كان مغرما بالعدوى أيضا . وسيبويه يروى البيت هكذا -

ومثلك بكرًا قد طرقت وثيبًا فاللهيتا عن ذى تمام محمول -
وأمرؤ القيس في هذا الموقف الذى يقفه أمام عنيزة من الحب والتصانى يريد أن يظهر لها فيه مقدار شعف النساء به وتماثيلهن في حبه حتى أنه يصي نساء غيره ولا يصي غيره نساءه لجماله وحسنه ولما له من منزلة في قلوب النساء ولذلك نجده يقول في قصيدته الثانية يخاطب النساء عندما عبرته بالركب لاذبت لعد أصبى المسر على وأمع عرمى أن يرن بها الخلى -
وإذا تبينا هذا أدركنا مقدار خطأ الباقلانى في قوله إن هذا المعنى غير ملتئم مع قوله ولا تبعدينى عن جنالك المعال فإن معشوقته إذا أدركت ما له من منزلة في قلوب النساء علمت أن صاحبها حفيف الروح والظل جدير بأن -

يعشق فتبه قلبها ولا ترض عليه بحبها . وإنما خص الحبلى والمرضع لانهما
أزهد النساء فى الرجال وأقلهن شغفا بهم وحرصا عليهم ومع ذلك فهما يرغبان
فيه لجمالها ، وليس أعز على المرأة المتزوجة من طفلها الرضيع فهو منها سويدها
القلب وسواد العين ولكن امرأ القيس لكلى النساء به يشغف قلوبهن كما
يشغف المهنوءة الرجل الطالى فليهبى الأم الحنون عن وليدها ويحماها من فرط
غرامها به تلقى بنفسها بين أحضانها وتدع طفلها وراءها ظهريا حتى إذا ما بكى
تنصرف له بشق دون جملتها قصد إسكاته ومنما لصياحه الذى يعكر عاينهما
الصفاء فى ساعة هى من لذ الساعات لديهما معا . وقد بلغ امرؤ القيس غاية
الدقة فى وصف هذا الموقف الفاحش وأنه ذكر فيه مقدار ميلها إليه وطمعها به
حيث لم يشغلها عن غرامها ما يشغل الأمهات عن كل شئ وإنما فطمت ما فطمت
مع وليدها لأن هواها مع امرئ القيس وقلبا نخع بحبه ويسبح بعشقه وما
يؤدنا فيما ذهبنا إليه ما أورده الطبيب النطاسى (سعيد أبو جمره) فى كتابه حياتنا
التاسلية فإنه قال : « يجب أن نذكر هنا أن قلة الميل الشهوانى فى المرأة أثناء
الحبل والرضاعة أمر طبيعى وقد عرفه العرب وغيرهم من الأقدمين . قال
امرؤ القيس فى قصيدته (قفا نبك) الشهيرة . .

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فإلهيتها عن ذى تمنائم محول
لأن الحبلى والمرضع أكثر زهدا بالرجال من غيرهما . ومع ذلك فلم تفرط
محبة النساء له كن يسمحن له بأن يأتيهن . قال ذلك محركا غيرة عنيفة
وحدها منهن « اه

وبعد ما تقدم رى أن امرأ القيس إذا كان يلهى الـام عن فـلذة كبـدها
وحبة قلبها فهو أشد إلهاء للحبالى والمتزوجات عن شئونهن وبعولتهن وهو
أشد وأشد إلهاء للعذارى عن كل شىء وإذا فارق القيس أجاد فى هذا المعنى
الذى أخذ فيه وبحسب الشاعر ذلك

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن أبا جعفر النحاس فسر قول امرئ القيس
(فمثلك حبلى .. البيت) بقوله « إنه لما قلبها أقبلت تنظر إليه وإلى ولدها
وإنما يريد بقوله انصرفت له بشق يبنى أنها أمالت طرفها إليه . وليس يريد
أن هذا من الفاحشة لأنها لا تقدر أن تميل بشقها إلى ولدها فى وقت يكون
منه إليها ما يكون وإنما يريد أن يقبلها وخذها تحته ،
ومن ذلك جميعه نخرج على أن نقد العائنين لىتى امرئ القيس ضرب
من اللغو .

•

وعاب عليه الباقلانى قوله . -

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزعجت صرمى فأجلى
فقال « البيت فيه ركائة جدا وتأنيت ورقة ولكن فيها تخنيث ولعل
قائلا يقول إن كلام النساء بما يلائمهن من الطبع أوقع وأغزل وليس كذلك
لأنك تجدد الشعراء فى الشعر المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قولهم ،
ونحن نقول إن قول الباقلانى هو المعيب لأنه لكل مقام مقال وعلماء
البلاغة اتفقوا جميعا على وجوب الثام اللفظ مع المعنى واثلا فهما وعلى هذا

فيذنبني إن يكون اللفظ رقيقا لنا في موقف الغزل وهذا هو الذي فعله امرؤ القيس فلو جاء بالفاظ جزلة في هذا الموقف لكان ذلك معيبا عندى وعند جميع علماء البلاغة وإني أصر على أنه يجب أن يكون كلام النساء بما يلائمن من الطبع لأن ذلك أوقع وأجدى في الغزل أما نظرية الباقلاني فنحن لا نرى فيها رأيه ولم يقرده عليها أحد .

وقال الباقلاني أيضا « والمصراع اثناني . منقطع عن الأول لا يلائمه ولا يوافقه » . وهذا ضرب من العنت والتجامل فأن المصراعين على آتم ما يكون من الاتصال معنى ورقة وشكوى غرام ورجاء في الحفاظ على الود وقال الباقلاني أيضا ، كيف ينكر عايبها تدللها والمتعزل يطرب على دلال الحبيب وتدله . وهذه مغالاة من الباقلاني فأن امرأ القيس لم ينكر عليها تدللها وإنما أنكر عليها بعض التدل الذي يشبه أن يكون صريخة وقطيعة وعلى ذلك فامرؤ القيس يطرب على دلالها وتدلها

وتحابوا عليه قوله . -

أغرك مـنى أن حبك قاندى وأنك مهما تأمرى القلب يفعل
فقالوا « وإذا لم يغررها ذلك فأى شيء يعررها بعد ،

وقال الباقلاني « هذا البيت قد عيب عليه لأنه قد أخبر أن من سبيلها ألا تغتر بما يزيها من أن حبها يقتله وأنها تملك قلبه فما أمرته فعله والمحـب إذا أخبر عن مثل هذا صدق وإن كان الممتنى غير هذا الذى عيب عليه وإنما ذهب مذهبا

آخر وهو أنه أراد أن يظهر التجلد فهذا خلاف ما أظهر من نفسه فيما تقدم من الآيات من الحب والبكاء على الأجرة فقد دخل على وجه آخر من المناقضة والأحالة في الكلام . ثم قوله تأمرى القلب يفعل معناه تأمرينى والقلب لا يؤمر والاستعارة في ذلك غير واقعة ولا حسنة ، وذلك منهم خطأ مبين وزعم بارد غث أوقعهم فيه تأويل البيت على أن الاستفهام فيه حقيقى على وجهه للاستخبار والأمر ليس كذلك وإنما الاستفهام هنا تقريرى إثباتى فكأنه قال لها (لقد غرك منى أن حبك قاتلى) وهذا نوع من الشكوى ومن أبلغ ما يصل إليه الصب المتهالك فى صباهته وعشقه

أما عن قول الباقلانى إن الاستعارة فى قوله تأمرى القلب غير واقعة ولا حسنة فهذا وهم من الباقلانى دفعه إلى القول به تحامله الشديد على امرئ القيس وإلا فأن الاستعارة بالغة غاية الروعة ومنتهى الكمال خصوصاً فى هذا الموقف موقف الهوى والصبابة الذى كل شئ فيه راجع إلى القلب ووجيبه وناره المستعرة وجوانبه المهدمة حتى لكان الحب درس من المحب كل ما تجسم منه ولم يبق إلا قلبه الذى يقاسى من برحاء الهوى ما تندك له الجبال الرواسى

نديم

وبما عابه عليه الباقلانى قوله : -

فأن كنت قد ساءتلك منى خليقة فلى ثيابى عن ثيابك تنسل

فقال « هو بيت قليل المعنى ركيكه وضعه وكل ما أضاف إلى نفسه ووصف به نفسه سقوط وسفه وسخف يوجب قطعه فلم يحكم على نفسه بذلك ولكن يورده مورد أن ليست له خليفة توجب هجرانه والتقصي من وصله وأنه مذهب الأخلاق شريف الشئائل فذلك يوجب أن لا ينفك من وصله »

ولو أدرك الباقلاني أن الشرط متحمل معنى الشك لما عاب هذا البيت ولملم أن الأساءة غير واقعة فسلها ثيابها عن ثيابه غير واقع أيضا فامرؤ القيس ساق هذا البيت ليبين لها مقدار حبه وأنه لا يصدر عنه إلا ما تشتهي حبيته ولو بدا منه أدنى ما يجعله يشك في حبه لكان خليقا بأن تصرم حبال مودته والتكير في خليفة للتحقير والتقليل وذلك مع الشرط المفيد للشك يستلزم أنه لا يصدر عنه أدنى تلبس في حبه وأنه لا يفعل إلا ما يستحق رضاها وأنه مسخر لهاها .

وقال الباقلاني في قول امرئ القيس :-

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
« إنه معدود من محاسن القصيدة وبدائعها ومعناه ما بكيت إلا لتجرحي قلبا معشرا أي مكسرا من قولهم رمة أعشار إذا كانت قطما . هذا تأويل ذكره الأصمعي رضى الله عنه وهو أشبه عند أكثرهم . وقال غيره وهذا مثل للأعشار التي تقسم الحزور عليها ويعنى بسهميك المعلى وله سبعة أنصباء

والرقيب وله ثلاثة أنصباء وأراد إنك ذهبت بقلبي أجمع ويعنى بقوله مقتل
مذلل ، وبعد ذلك ، يقول الباقلاني « وأنت تعلم أنه على مايعنى غير موافق
للآيات المتقدمة لما فيها من التناقض الذى بينا ويشبه أن يكون من قال
بالتأويل الثانى فزع إليه لأنه رأى اللفظ مستتكرها على المعنى الأول لأن
القاتل إذا قال ضرب فلان بسهمه فى الهدف بمعنى أصابه كان كلاما ساقطا
مرذولا وهو يرى أن معنى الكلمة أن عينها كالسهمين النافذين فى إصابة
قلبه المجروح فلما بكتنا وذرفنا دنتنا ضاربتين فى قلبه ،

ونحن نقول للباقلاني إن هذا البيت ملتئم مع الآيات المتقدمة ولا
تناقض بينها وبينه ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت أغرك منى أن حبك قاتلى
وقوله مهلا بعض هذا التدلل ، ونقول له أيضا إن استعمال كلمة تضربنى بمعنى
تصيبى لا غبار عليه بل هو استعمال حسن وجيه وأن الضرب فيه معنى
الإصابة مع زيادة فى المعنى من حيث الشدة والسرعة والألم فاستعمال
تضربنى بدل تصيبى مناسب للغزل الذى هو موقف شكوى وإظهار ألم وتوجع
ونقول للباقلاني أيضا أى ردالة فى قول القاتل ضرب فلان بسهمه فى الهدف
بمعنى أصابه ؟ وكأنى بالباقلاني رضى الله عنه تصور من الكلمة معنى الضراب
فإن كان هذا فليعلم أنه من المين اليسير علينا أن نحمل أيضا كلمة أصاب
هذا المعنى الساقط المرذول

وقال الباقلاني بعد مامضى « ولكن من حمل التأويل الثانى سلم من
الخلل الواقع فى اللفظ ولم يكنه إذا حمل على الثانى فسد المعنى وأختل لأنه

: إن كان محتاجا على ما وصف به نفسه من الصباة فقلبه كله لها فكيف يكون
بكاؤها هو الذى يخلص قلبه لها ،

وردنا عن ذلك أن الباقلاني تأول في شعر امرئ القيس على هواه
وهذا هو الذى أوقعه في تلك المناقضات الغريبة ولو أدرك أن قول
امرئ القيس وماذرفت عيناك .. الخ نوع من تصاني المحبين وما يلاقونه
من تدلل حياتهم ودلائلهم لعلم أن قلب امرئ القيس كله لصاحبه بادية
بده وإنما بكائها يزيد قلبه سعيرا وعذابا. أليسا

وقال الباقلاني أيضا في هذا البيت « وأعلم بعد هذا أن البيت غير ملائم
للبيت الذى قبله ولا متصل به في المعنى وهو منقطع عنه لأنه لم يسبق كلام
يقتضى بكاءها ولا سبب يوجب ذلك فتركبه هذا الكلام على ما قبله فيه
اختلال »

أما عن دعوى الباقلاني في أنه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها فإن ذلك
ليس بلازم على أن هذا البيت مرتبط تمام الارتباط بالآيات السابقة
فإن بكاء الحبيبة نوع من الدلال الذى قال فيه امرؤ القيس لصاحبه : مهلا
بعض هذا الدلال ، وهو متصل أيضا بالاستفهام التقريرى الإثباتى في قوله
أغرك منى أن حبك قاتلى ، ولو كان الباقلاني أدرك أن الاستفهام تقريرى
ليس على وجه الأخبار لما تطاول على امرئ القيس إلى هذا الحد - وهو
متصل أيضا بقوله . فأن كنت قد ساءت منى خليفة ، فأن الأساءة غير
حاصلة فإينا فيما سبق ، وإذا كانت الإساءة غير حاصلة فلا داعي

لبكائها ولا سبب له إلا لتزیده رجدا على هيامه وألما فوق آلامه . وعلى ذلك فقوله . فَأَنْ كُنْتَ قَدْ سَاءَتْكَ ... الخ في موضع التمهيد لتاليه بل في موضع تقريره وإيضاحه

وسبق أن قدمنا أن ابن قتيبة قال إن أشرافا من الناس والشعراء اجتمعوا عند عبد الملك فسألهم عن أرق بيت قالته العرب فاجتمعوا على قول امرئ القيس

وما ذرفت عيناك إلا لتضربني بسهميك في أعشار قلب مقتل .

وحاول الباقلائي أن يعيب قول امرئ القيس
وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لوبها غير معجل
تجاوزت أحراسا إليهما ومشرا على حراسا لو يسرون مقتلي
ولا كنهه لم يستطع ذلك وأقصى ما قاله دليس في البيت الأول كبير فائدة
لأنه الذي حكى في سائر أبحاثه فلا تتضمن مطاولته في المغازلة واشتغاله بها
فتكريره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى إلا الزيادة التي ذكر من منعها
وهو مع ذلك سليم اللفظ في المصراع الأول دون الثاني . والبيت الثاني
ضعيف . وقوله لو يسرون مقتلي أراد أن يقول لو أسروا فأذا نقله إلى
هذا ضعف ووقع في مضمار الضرورة .

أما عن قول الباقلائي إن البيت الأول ليس فيه كبير فائدة لما احتج به
بعد ذلك فنحن تنكر عليه هذا ونقول له إن بيت امرئ القيس لا عيب فيه

من هذه الناحية مادام يحمل معنى جمليا لعدة آيات سابقة ولو كان يحمل معنى بيت واحد من الأبيات التي سبقته لكان ذلك تكرارا معيبا ، على أن (الواو) في قوله وبيضنة خدر واورب ويصح أن يكون الكلام جديدا في وصف أحواله مع معشوقة أخرى ، وما كان أكثر عشق امرئ القيس وتحديثه عن ذلك في شعره

وأما عن قوله إن المصراع الثاني من البيت الأول ، والبيت الثاني كله فيهما ضعف فهذا مالا نقره عليه بل إتنا نشهد ونشهد الأدباء على أن فيها قوة يحسها المنصف لا المتحامل ويدركها العادل المجرد عن الأهواء

وأما عن عيبه على امرئ القيس استعمال المضارع بمعنى الماضي فذلك مردود عليه لأن المعنى أنهم أسروا ولا يزالون يسرون وهذا الاستعمال ضرب من الذوق البلاغي الوارد في كلام العرب كثيرا . والقرآن الكريم الذي هو مقياس البيان والذي نهجه ونظمه وتأليفه ورصفه تليه العقول في جهته وتحار في بحره وتضل دون وصفه قد استعمل الماضي بمعنى المضارع واستعمل المضارع بمعنى الماضي وذلك الاستعمال فن بديع جليل يكسب المعنى قوة ومثانة . قال تعالى « ويوم ينهض في الصور ففرع من في السموات والأرض ، أي فيفرع

وما عابوه عليه قوله

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

فقالوا ، إن الثريا لا تتعرض في السماء ، وبعضهم قال إنه أراد الجوزاء
لأنها تتلوها والعرب تفعل ذلك كما قال زهير كالحمر عاد وإنما هو أحمر
ثمود ، ومنهم من يقول إن الثريا تتعرض عند سقوطها فأنها إذا بلغت كبد
السماء أخذت في العرض ذاهبة ساعة كما أن الوشاح يقع مائلا إلى أحد
شقي المتوشحة به - وهذا واقع موقع القبول - ولقد فسر الزوزني هذا البيت
تفسيرا فيه وجاهة فقال . إنه أتى محبوبته عند رؤية نواحي كواكب الثريا
في الأفق الشرقي ثم شبه نواحيها بنواحي جواهر الوشاح المفصل . وقال
القتبي . إنه شبه الثريا بجواهر الوشاح لأن الثريا تأخذ وسط السماء عند
سقوطها كما أن الوشاح يأخذ وسط المرأة المتوشحة به . وقال أبو عمرو
تأخذ الثريا وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة . وقال ابن مسكرم
صاحب اللسان بعد ذكره بيت امرئ القيس . إن التعرض الاعوجاج
والروغان وعدم الاستقامة كما يتعرض الرجل في عروض الجبل يمينا
وشمالا وعلى ذلك فسر تعرض الثريا بأنها لم تستقم في سيرها ومالت
كالوشاح المعوج أثناءه على جارية توشحت به . وقال التبريزي . معنى
البيت أن الثريا تستقبلك بأنفها أول ما تطلع فإذا أرادت أن تسقط تعرضت
كما أن الوشاح إذا طرح تلقاك بناحية

وقد أوردنا كل هذه الأقوال لتعلم أن البيت لا عيب فيه وحسبنا أن
نقول لك إن الباقلاني مع تلمسه كل سبيل للعب على امرئ القيس
ما استطاع أن يعد ما أخذه عليه عيبا بل إنه قال ، والاشبه عندنا أن البيت

غير معيب من حيث عابوه به وأنه من محاسن هذه القصيدة ، وكم كنا نحب
أن يقف الباقلاني عند هذا الحد من الانصاف ولكن وأسفاه فقد
أخذته عزة التحامل بالرهف فجاء ينقص من قيمة هذا البيت فأورد قول
ذي الرمة . -

وردت اعتسافا والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق
وقول ابن المعتز

وترى الثريا في السماء كأنها ييضات أدحى يلحن بفدقد
وقوله

إن الثريا في أواخر ليلاها تفتح نوراً أو لجام مفضض
وقوله أيضاً

فما وليها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الدامى به الساقى
وقول الأشهب بن رميلة

ولاحت لساريها الثريا كأنها لدى الأفق الغربى قرط مسلسل
وقول ابن المعتز

وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه كذات قرط أرادته وقد سقطا
المأخوذ من قول ابن الرومي

طيب ريقه إذا ذقت فاد والثريا بجانب الغرب قرط
وقول ابن المعتز

قد سقاني المدام والصباح بالليل مؤتزر

والثريا كنور خضن على الأرض قد نثر

وقوله :-

نروم الثريا في السماء مراما كاتكباب طمر كاد يلقى لجاما

وقول ابن الطثرية :-

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمان وهي من سلكه فتبددا
وبعد أن أورد الباقلائي هذه الآيات السابقة زعم أن في جملة ما نقله
ما يزيد على تشبيه امرئ القيس في الحسن أو يساويه أو يقاربه وأن
الآبداع في معنى امرئ القيس أمر قريب وليس فيه شيء غريب وأنه لم
يأت فيه بما يفوت الشأو ويستولى على الآمد . وليت الباقلائي لم يغفل أو
يتغافل عن أن امرأ القيس هو سابقهم وقدمتهم وأنهم لاحقوه ومقلدوه
وأن السابقون السابقون هم المبدعون المبتدعون وحسبنا أن يشهد
القارئ معنا على أن المعاني الواردة في الآيات التي ساقها الباقلائي مسروقة
من بيت امرئ القيس بل إننا نجد أن من هؤلاء الشعراء من بلغت به
الجراءة أن يسطو على ألفاظ امرئ القيس فيوردها في شعره بنصها ونصها
أو مع تحوير يسير فيها ولعل هذا من إعجابهم ببيت امرئ القيس
ومن توهم الباقلائي أيضا في نقد هذا البيت قوله :-

« تعرضت من الكلام الذي يستغنى عنه لأنه يشبه أثناء الوشاح سواء
كان في وسط السماء أو عند الطلوع والمغيب فالتحويل بالتعرض والتطويل
بهذه الألفاظ لا معنى له »

ونحن نقول للباقلاني . وإذا لم يكن هذا موضع تهويل فأين يكون
التهويل مستملحا ؟ ألم يقل امرؤ القيس إنه تجاوز الأحراس الحراس على
قلعه وكان هذا التجاوز ليلا عند تعرض الثريا . ألا يرى الباقلاني بعد هذا
أن المقام يقتضى التهويل ويستلزم التطويل

وقال الباقلاني أيضا « وفيه أن الثريا كقطعة من الوشاح المفصل فلا
معنى لقوله تعرض أثناء الوشاح وإنما أراد أن يقول تعرض قطعة من أثناء
الوشاح فلم يستقم له اللفظ حتى شبه ماهدو كالشيء الواحد بالجمع »

وحسبنا في الرد على هذا أن نقول إن الأيجاز والمجاز من عيون
البلاغة العربية ألا ترى إلى قوله تعالى « وأسأل القرية ، أى وأسأل أهل
القرية وإلى قوله تعالى « يحبون أصابعهم في آذانهم ، أى أناملهم . وفوق
كل هذا فأن تشبيه ماهدو كالشيء الواحد بالجمع تشبيه لا غبار عليه ولا عيب
فيه بل إنه واقع موقع الرضا والقبول

وعاب عليه الباقلاني قوله : -

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل
فقال « قوله لدى الستر حشو وليس بحسن ولا بديع وليس في البيت
حسن ولا شيء يفضل لأجله »

ونحن لا نحتاج على الباقلاني بأكثر من قول الزوزنى في تفسير هذا
البيت (يقول امرؤ القيس أتيتها وقد خلعت ثيابها عند النوم غير ثوب

واحد تنام فيه وقد وقفت عند الستر مترقبة منتظرة إلى وإنما خلعت الثوب
لترى أهلها أنها تريد النوم) ومن قول الزوزنى هذا نستطيع أن نفهم
ويستطيع الباقلانى أن يدرك أنه لاحشو في البيت وأنه حسن جميل خصوصا
وأن كلبة الستر في هذا الموقف من الغزل متحملة لمعنى الطيب والنعمة والجمال
وإنها لتندى على قلوب العاشقين

٥٦٥

وعاب عليه الباقلانى قوله

فقلت يمين الله مالك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
فذكر أن فيه اختلافا وضربا من التفاوت . ونحن لا نحتاج عليه بأكثر
بما حكاه الزوزنى عن الرواة أنهم قالوا (هذا أغنج بيت في الشعر)
وهذا البيت مناسب لموقف خليعة امرئ القيس منه ساعة طروقه لدارها
وتدللها عليه بمثل هذه الكلمات العذاب التي تهبط على قلب المحب بردا وسلاما

وعاب عليه أيضا قوله

فقلت لها أمشى تبحر وراءنا على إثرنا أذيال مرط . مرحل
فقال « فيه تكلب لأنه قال وراءنا على إثرنا ولو قال على إثرنا لكان
ثافيا والذيل إنما يبحر وراء الماشى فلا فائدة لذكره وراءنا »
ونحن نرى أن امرأ القيس لو استعمل كلمة إثرنا قبل وراءنا لكان
معيبا وكان مأخذ الباقلانى عليه واقعا . أما وأنه استعمل كلمة وراءنا التي تفيد

الظرفية غير المحدودة فإن وراء لحدود له ثم أردف تلك الكلمة المطلقة بكلمة إثنا التي تفيد الظرفية المحدودة فإن الاثر وراء ملاصق قريب وعلى ذلك فيكون استعمال امرىء القيس لهاتين الكلمتين على الترتيب الوارد في بيته من قبيل التقييد بعد الإطلاق وهذا غير معيب

وقال الباقلاني أيضا : قوله أذبال مرط كان من سبيله أن يقول ذيل مرط ، ونحن نحيل القارىء على رواية أخرى في هذا البيت عبر فيها امرؤ القيس بالمفرد وهي

خرجت بها أمشى تجر وراءنا على أثرنا ذيل مرط مرحل
نحيل القارىء على هذه الرواية ليرى أن البيت سلم لامرئ القيس وأنه لا عيب فيه وليدرك مقدار تحامل الباقلاني

٢٠٥

وبما عابه عليه الباقلاني قوله

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل
قال : وهذا قد أغرب فيه وأتى بهذه اللفظة الوحشية المتعقدة وليس في ذكرها والتفصيل بالحقاقها بكلامها فائدة والكلام الغريب واللفظة الشديدة المبانية لنسج الكلام قد تحمد إذا وقعت موقع الحاجة في وصف ما يلائمها كقوله عز وجل في وصف يوم القيامة يوما عبوسا قمطريرا فأما إذا وقعت في غير هذا الموقع فهي مكروهة مذمومة بحسب ما تحمد في موضعها ، ونحن ننكر على الباقلاني ما أخذه على بيت امرئ القيس من أن كلمة عقنقل

لأفائدة لذكرها تنكر عليه ذلك قائلين له إن الألفاظ ظروف المعاني وقوالها - كما قرر ذلك علماء فقه اللغة - وقد قال الباقلاني وغيره من رجالات العربية أن العنقل هو المنعقد من الرمل الداخل بعضه في بعض وكذلك قالوا الحقف رمل منعرج وامرؤ القيس أراد أن يصف هذا الموضع بالوعورة التي من أحسن قوالب معناها لفظة عنقل وعلى ذلك فهي واقعة موقع الحاجة في وصف ما يلائمها والحن فيها كالحسن في كلمة قطير من قوله تعالى (يوما عبوسا قطيرا) . ومن هذا يبين لنا أن هذه اللفظة أفادت أنها محمودة واقعة في موقعها وأن الباقلاني غير موفق فيما عابه على البيت

وعاب عليه الباقلاني قوله

هصرت بغصني دوحة فتمايلت على هضم الكشح ريا المخايل
فقال « قوله بغصني دوحة تعسف ولم يكن من سبيله أن يجعلها اثنين »
ولاكتنا نقرر أن امرأ القيس يريد بالغصنين في هذه الرواية التي اختارها
الباقلاني لحاجة في نفسه يريد امرؤ القيس الفودين وإذا فلا عيب عليه . على
أن في البيت رواية أخرى تصدع توهم الباقلاني وهي

هصرت بفودي رأسها فتمايلت على هضم الكشح ريا المخايل

وبما عابه عليه الباقلاني قوله :

مفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصولة كالسجنجل
فذكر أن في البيت نزوعا إلى الالفاظ المستكرهة وفيه خلل من
تخصيص الترائب بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض
وهذه مغالاة من الباقلاني فأن الفاظ البيت ليست حوشية ولا
مستكرهة بل إنها تطرق بعددوتها أذن الأصم به السميع
وأما عن تخصيص الترائب بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض فذلك أمر
جائز لا خلل فيه بل إنه يزيد الكلام حسنا ، وهو من قبيل التخصيص
بعد التعميم

وعاب عليه الباقلاني قوله

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل
فقال « قوله تصد وتبدى عن أسيل متفاوت لأن الكشف عن الوجه
مع الوصل دون الصد ، ولكن مراد امرئ القيس - كما ذكر التبريزي -
أنها تعرض عنا استحياء وتبسم فيبدو لنا ثغرها وتتقى أى تتلقانا بعد
الأعراض عنا بملاحظتها كما تلاحظ الظبية طفلها وذلك من غنج النساء
وقال الباقلاني « وقوله تتقى بناظرة لمظة مليحة ولكن أضافها إلى
مانظم به كلامه وهو مختل وهو قوله من وحش وجرة وكان يجب أن تكون
العبارة بخلاف هذا كان من سبيله أن يضيف إلى عيون الأطباء أو المها دون
إطلاق الوحش فقيهن ماتستنكر عيونها »

والرأى عندي أن الباقلاني محق فيما ذهب إليه ومثل ذلك العيب أيضا تشبيهه بنان حبيبة بأساريع الموضع المعروف بظبي في قوله :-
وتعطو برخص غير شئن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

وعاب عليه الباقلاني قوله :

وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل
فقال : قوله ليس بفاحش في مدح الأعناق كلام فاحش موضوع منه
وإذا نظرت في أشعار العرب رأيت في وصف الأعناق ما يشبه السحر
فكيف وقع على هذه الكلمة ودفع إلى هذه اللهظة وهذا قال كقول
أبي نواس :

مثل الظباء سمت إلى رو ض صوادر عن غدير

ولست أطول عليك فتستقل ولا أكثر في ذمه فستوحش ،

وعندي أيضا أن البيت معيب على امرئ القيس وفيه تقصير من جهة
أخرى فإنه بعد أن شبه جيدها بجيد الرثم رجع فنفي عنه فحاشة الطول كما
نفي عنه العطل وهذا مدح بالسالب وهو إن كان فيه تقييد للتشبيه ليصير
الجيد حسنا خالصا في الحسن إلا أن هناك ما هو أحسن - وتمعن في قولي
حسن وأحسن - فالحسن نفى الفحاشة وهو المدح بالسالب والاحسن هو
المدح بالموجب فمثلا لو قلت هذا شيء غير رديء كان المعنى أن فيه نوعا
من الحسن ولكنه هابط إلى الحد الأدنى بخلاف ما إذا قلت هذا شيء جميل

فيكون المعنى أنه بالغ في الحسن إلى حد أعلا
وعلى ذلك فلو أن امرأ القيس بعد التشبيه مدح الجيد وأضاف إليه من
صفات المدح الموجبة فوق مدحه سلبيا أو لو أنه بعد التشبيه مدحه ابتداء
مدحا إيجابيا دون تعرض للمدح بالسالب لكان البيت حسنا ولم يكن فيه
تقصير ولا قصور . وأنت لاشك تدرك صواب ما أقول وتقع على الذوق
الفني فيه حين أذكر لك بيتا جاء فيه قائله على ما أبتغى فكان مجيدا أكثر من
امرىء القيس وهذا البيت لقيس بن الخطيم وهو قوله
وجيد بجيد الرثم صاف يزينه تو قد يا قوت وفصل زبرجد

و

وبما عيب على امرىء القيس قوله
فقلت له لما تمطى بصلبه وأدرف أعجارا وناه بكل كل
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح وما الاصبح منك بأمثل
قالوا قد انساخ البيت الأول بوصف الليل من غير أن يذكر ما قال
وجعله متعلقا بما بعده وذلك عيب عندهم كما يقولون
ومثل ذلك العيب عيب عليه قوله في قصيدة أخرى
أبعد الحارث الملك ابن عمرو وبعد الخير حجر ذى القباب
أرجى من صروف الدهر لنا ولم تغفل عن الصم المضاب
فإن الاستفهام في البيت الأول وجوابه في البيت الثاني
وهناك قوم ممن لا يتذوقون حلاوة المجاز والاستعارة عابوا ذلك على

امرىء القيس فى قوله :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا ونا. بك كل
ولكن الآمدى دفع عيهم ورد مأخذهم فقال « وقد عاب امرأ القيس
بهذا المعنى (أى المجاز والاستعارة) من لم يعرف موضوعات المعانى ولا
المجازات وهو غاية فى الحسن والجودة والصحة وهو إنما قصد وصف أجزاء
الليل الطويل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف
أعجازه وأواخره شيئا فشيئا وهذا عندى منتظم لجميع نعوت الليل الطويل
على هيئته وذلك أشد ما يكون على من يراعيه ويترقب تصرفه فلما جعل له
وسطا يمتد وأعجازا رادفه للوسط وصدرا ، تثاقلا فى نهوضه حسن أن
يستعير للوسط اسم الصلب وجعله متعطيا من أجعل امتداده لأن تمطى
وتمدد بمنزلة واحدة وصالح أن يستعير للصدر اسم الكا كل من أجل نهوضه
وهذه أقرب الاستعارات فى الحقيقة وأشد ملاءمة بمعناها لما استعيرت له ،

٢٠٩

ومأخذه ابن رشيق على امرىء القيس تكرير المعانى فى قوله
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت يذبل
كأن الثريا علقت فى مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل
فقال « البيت الأول يغنى عن الثانى والثانى يغنى عن الأول ومعناها
واحد لأن النجوم تشتمل على الثريا كما أن يذبل يشتمل على صم الجندل وقوله
شدت بكل مغار القتل مثل قوله علقت بأمراس كتان ،

وهذا حق إلا أنه جاء في هذا الشعر رواية أخرى تنقض عيب ابن
رشيق وهي بحذف العجز من البيت الأول وحذف الصدر من البيت الثاني
فيكون قول امرئ القيس هكذا

فيالك من ليل كأن نجومه بأمراس كتان إلى صم جندل
وهذه الرواية هي التي اختارها الزوزني

ومما عابوه عليه في قصيدته الثانية (ألا عم صباحا) تكرير كلمة سلمي في
الآيات الأربعة :

ديار لسلي عافيات بنى الخال ألح عليها ظل أسحهم هطال
وتحسب سلمي لا تزال ترى طلا من الوحش أو ييضاً بميثاء محلال
وتحسب سلمي لا تزال كعهدنا بوادي الخزامى أو على رأس أوعال
ليالى سلمي إذ تريك منصبا وجيدا بكجيد الرثم ليس بمعطال
وقد رد هذا العيب ابن أيوب فقال : إن للتكرير مواضع يحسن فيها
ومواضع يقبح فيها فما يحسن تكراره مثل تكرار هذه الأسماء وتكرارها على
جهة التشويق والاستعذاب لأن الموضع موضع غزل وتشبيب ولم يتخلص
أحد تخلصه (يعنى امرأ القيس) ولا سلم سلامته . وقال ابن رشيق في
عمديته مثل ذلك القول

وعابوا عليه قوله :

كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاسياً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخلي كرى كرة بعد إجفال
ويقولون كان عليه أن يضع عجز كل بيت منها فى موضع الآخر
فيكون ترتيب البيتین هكذا

كأنى لم أركب جواداً ولم أقل لخلي كرى كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاسياً ذات خلخال
وهذا خطأ منهم لما يبنى عليه من أن يكون قوله « للذة » حشوا لا غناء
فيه لأن الزق لا يسبأ إلا للذة بخلاف الخيل فأنها تتركب فى السلم والصيد
وذلك وقت اللذة وتركب فى الحروب أيضا وهذا وقت شدة

وشىء آخر فأن امرأ القيس لما ذكر ركوب الخيل وهو لذة من لذات
الشباب ناسب أن يذكر معه لذة النساء والاستمتاع بهن وبذلك يكون قد
أرخص لنفسه العنان ترتع وتمرح بين لذتين ثم ذكر بعد ذلك الخمر التى
فيها للنفس لذة فكانت تلك اللذة متصلة بسابقتها ، ولما كانت الخمر تذهب
الخوف والفرع وتجعل شاربها غير هباب ولا وجل ناسب أن يذكر بعدها
السكر والفر والقتال وذلك يتصل بالشجاعة والكرم . ومن ذلك نرى أن
المعاقى فيما ما أورده امرؤ القيس متسلسلة متصلة آخذة بحجز بعضها ، وقد
احتج لصحة ما قلناه أبو الطيب المتنبى فإنه لما أنشد سيف الدولة قصيدته
التي مطلعها

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

ووصل إلى قوله فيها :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلنى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
اعترض عليه سيف الدولة عند إنشاده هذين البيتين وقال له إنى أنتقدهما
عليك كما انتقد العلماء على امرئ القيس قوله

كأنى لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن طاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد إجحاف
فبيتاك لم يلتئم شطراهما كبيتى امرئ القيس ووجه الكلام فى البيتين
على ما قاله أهل العلم بالشعر أن يكون عجز البيت الثانى على صدر الأول
وعجز الأول على صدر الثانى ليكون ركوب الخيل مع الأمر لها بالكر
وسب الخمر مع تبطن الكواعب . فقال أبو الطيب : أدام الله عز مولانا
إن صح أن الذى استدرك هذا الأمر على امرئ القيس أعلم منه بالشعر
فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز
كما يعرفه الحائك لأن البزاز يعرف جملة والحائك يعرف جملة وتفصيلا ، وإنما قرن
امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السباحة فى شراء الخمر للاضياف
بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته
بذكر الردى ليجانسه ولما كان وجه المنزوم لا يخلو من أن يكون عبوسا
وعينه من أن تكون باكية قلت وجهك وضاح وثغرك باسم لأجمع بين
الاضداد فى المعنى .

والعرب تضع الشيء أحيانا مع غير نسيبه ليكون ذلك أطرف له وأدعى
لانتباه النفس وشبيه بهذا قوله تعالى « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى
وإنك لا تظما فيها ولا تهضحى » إذ كان المناسب أن يجمع بين الجوع والظما
وبين العرى والضحى ، ولكن الأهر جاء على خلاف ذلك وهذا سر بديع
من أسرار البلاغة وهو ما يسمى قطع النظير عن النظير وذلك أنه قطع الظما
عن الجوع والضحى عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب ، والرض من
ذلك تعدد هذه النعم وتصنيفها ولو قرن كلا شيء لثوهم المعدادات نعمة
واحدة كما يقول الزمخشري . وكذلك الحال في بيتي امرئ القيس وبيتى المتنبي

وعابوا عليه أيضا قوله في موضع
فلو أن ما أسمى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولا كنما أسمى لمجد مؤثر وقد يدرك المجد المؤثر أمثالى
ثم قوله في موضع آخر :

فتملا بيتنا إقطا وسمنا وحسبك من غنى شيع ورى
فقالوا « إن المعنى الأول أنخر ماقيل والثانى أنذل ماقيل والشاعر قد
ناقض نفسه حيث وصفها في موضع بسمو الهمة وقلة الرضى بدنى المعيشة
وأطرى في الموضع الآخر القناعة والاكتفاء من الغنى بالشيع والرى ،
وذلك منهم زعم غث فأنه لو تصحيح قول امرئ القيس حق التصحيح
لم يوجد معنى ناقض معنى فالمعنيان في الشعرين متفقان لاتناقض فيهما فقد

قال في الاول

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
وهذا موافق لقوله في الثاني

وحسبك من غنى شبع وري

ولكن في المعنى الاول زيادة ليست مناقضة لشيء وهي قوله لكنني
لست أسعى لما يكفيني بل أسعى لمجد مؤثّل ، فالمعنيان اللذان ينبثقان عن
اكتفاء الانسان باليسير متوافقان في الشعرين ، والزيادة التي ذكرها في
الشعر الاول والتي دل بها على بعد همته ليست تنقض واحدا منها ولا
تنسخه . وأرى أن هذا العائب ظن أن امرأ القيس قال في أحد الشعرين
إن القايل يكفيه وفي الآخر إنه لا يكفيه وقد ظهر بما قدمناه أن هذا الشاعر
لم يقل شيئا من ذلك ولا ذهب إليه ولم يخطر له على بال ومع ذلك فلو قاله
وذهب إليه لم يكن مخطئا فأن قدامة يقول : إن مناقضة الشاعر نفسه في
قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئا وصفا حسنا ثم يذمه بعد ذلك ذما حسنا
بيننا غير منكر عليه ولا معيب من فعله إذا أحسن المدح والذم بل ذلك
عندى يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها ، وقال أيضا « الشاعر
ليس يوصف بأن يكون صادقا بل يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني
، ثنا ما كان أن يحجده في وقته الحاضر لا أن ينسخ ما قاله في وقت آخر ،
وفوق ما تقدم فأن الشاعر كان متوثرا في شعره الاول بروح غير
التي تآثر بها في شعره الثاني فأن قصيدته (ألا عم صاحبا) التي منها الشعر

الاول قالها أيام زهوه بخفض العيش وخلو قلبه من هموم الحياة ولكن
الشعر الثاني الذى فيه وحسبك من غنى شبع ورى . قاله بعده قتل أبيه حين
صار شريدا طريدا عاجزا بائسا

ومما عيب عليه فى قصيدته (أचार بن عمرو كأتى خمر) قوله
فلما دنوت تسديتها فثوبا لبست وثوبا أجر
فقد حمل بعضهم قوله (فثوبا لبست وثوبا أجر) على أنه تكرار وهذا
منهم خطأ بين قارئ البيت لا تكرار فيه وإنما هو كما قال ابن رشيق ترديد
بالغ غاية الحسن فقد أتى الشاعر بلفظة ثوب وعلقها بمعنى ثم ردها بعينها
متعلقة بمعنى آخر ، والثانى أفاد غير ما أفاده الاول

وفى عجز البيت رواية أخرى وهى

فثوبا نسيت وثوبا أجر

وفى هذه الرواية المعنيان الاول والثانى متباعدان جدا

وقد يكون للاصمعى حق فيما عابه على امرئ القيس فى قوله
وأركب فى الروع خيفانة كسى وجهها سعف منتشر
يقول الشاعر وأركب فى المخافات فرسا طويلة خفيفة سريعة ينتشر
شعر ناصيتها كالسعف على وجهها والخيفانة فى الاصل الجرادة ثم تشبه بها
الفرس فى الخفة

ووجه العيب في هذا البيت أنه شبه شعر الناصية بسعف النخلة والشعر إذا غطى العين لم يكن الفرس كريما وذلك هو الغمم والذي يحمده في الناصية الجثلة وهي التي لم تفرط في الكثرة فتكون الفرس غماء والغمم مكروه ولم تفرط في الخفة فتكون الفرس سفواء والسفا أيضا مكروه في الخيل والجيد ما قال عبيد

مضبر خلقها تضيرا ينشق عن وجهها السبب



وعابوا عليه أيضا قوله

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر
قالوا « فمن أين تسد بذنبها فرجها من قبل ؟ وليس هذا من قول
الحذاق ففى البيت حشو » وقالوا أيضا « إن ذيل العروس يجر على
الأرض ولا يصح أن يكون ذنب الفرس طويلا مجرورا ولا قصيرا
والصواب قوله في موضوع آخر

ضليع إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأعزل ،
وجوابنا عن ذلك أن العيب الأول واقع أما عن العيب الثاني فنكتفى
بما أورده الآمدى في الرد عليه فتمد قال وما أرى العيب لحق امرأ القيس في
هذا لأن العروس إذا كانت تسحب ذيلها وكان ذنب الفرس إذا مس
الأرض فهو عيب . فليس ينكر أن يشبه الذنب به وإن لم يبلغ أن يمس
الأرض لأن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قرب منه أودنا من معناه فأذا

أشبهه في أكثر أحواله فقد صح التشبيه ولاق به . ولأن امرأ القيس لم يقصد طول الذنب أن يشبهه بطول ذيل العروس فقط وإنما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا تراه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفا بل قد يكون رقيما نزر الشعر خفيفا فلا يسد فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول فأنما أشبه الذنب الطويل ذيل العروس من هذه الجهة وكان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب ولا أن يكون ذنب الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضا أنه قصد إلى أن الفرس يسجبه على الأرض وإنما العيب في قول البحترى ذنب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه ،

وعاب عليه الأصمعي قوله :
لها متنتان خطانا كما أكب على ساعديه الفم
فقال « إنه أساء في وصف المتن بكثرة اللحم لأنه يستحب تعريق المتن وتعريق الوجه كما قال طفيل :

معركة الألحى تلوح متونها
يقول هي معركة الوجه ويكاد يستبين العصب من قلة اللحم وكذلك
المتون »

ويحسن بنا أن نشير هنا إلى كلمة (خطا تا) فأن فيها رأيين الأول أنها اسم مشى حذفت منه النون التي هي عوض عن التنوين في الاسم المفرد والمفرد خطاة أى مكتنزة لجأ وحذف مثل هذه النون وارد في كلام العرب ومن ذلك ما قالوه حكاية عن الحجلة التي قالت للقطا (قطا قطا ، قفاك أمعطا ييضك تثنان ويضى مائتا) أى مائتان . والرأى الثانى أن تكون خطنا فعلا مثل قمنا ثم أظهر الألف لحركة التاء فقال خطانا . ولم تظهر الألف وإنما ألقيت وطرحت فى مثل قضت لسكون التاء منعاً لاجتماع الساكنين وقد قال أهل النظر من أهل البصرة إن امرأ القيس لما جاوز فى طيء حلق من اختهم وهم يعلبون الياء ألما يقولون فى رضيت رضاتا وكذلك خطاتا كان أصلها خطيتا فقلبت الياء ألفا

وعيب عليه قوله .

وعين لها حدره بدره فشقت مآقيهما من آخر
قيل « فى البيت عيب وهو أنه وحد العين ثم رد إليه ضمير الاثنين ،
ولكن أبا عمرو يجوز هذا فى الاثنين إذا كانا لا يفترقان وعلى ذلك فلا
عيب فى البيت

وعاب أبو سعيد محمد بن هبيرة على امرئ القيس قوله
واللسوط فيها مجال كما تنزل ذو برد منهمر

فقال « هذا ردىء مالها وللسوط ، ولكن ابن أيوب أراد أن يخلص
البيت من العيب فقال « أى لها عن السوط مجال ولو أراد الضرب لكنت
كسرعة حمار الكساح ،

ولما تنازع امرؤ القيس وعلقمة بن عبدة الفحل الشعر واحتكما إلى أم
جندب زوجة امرئ القيس فضلت علقمة وعابت على زوجها قوله
فلاسوط ألحوب والساق درة وللزجر منه وقم أخرج مهذب
وقالت له أجهدت فرسك بسوطك في زجرك ومريته فأتعبته بساقك
فهو فرس بطلء لأنه يحوج إلى السوط وإلى أن يركض بالرجل ويزجر
أما ابن عبدة فإنه قال

فأدر كهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب
فأدر كفرسه الصيد ثانيا من عنانه ولم يضربه بسوط ولم يتعبه
وقد ذكر العلماء هذه المماضلة من غير تعليق ولا تعقيب كأنهم يوافقون
أم جندب في نقدها . ولكننا عند التأمل وإنعام النظر نرى أن فرس امرئ
القيس لا يقل عن فرس صاحبه في طاب الصيد وإدراكه وسرعة لحاقه ،
وإن كان في ذكر امرئ القيس للسوط والساق والزجر شيء من الهجنة
والنقص فنحن نرى أنه قد ذكر هذه الأشياء ليبدل على مبلغ عنايته بريضة
فرسه وتأديبه وأن عنده أفانين من الجرى فيمطى راكبه ما يشاء منها وقد ألم
بهذا المعنى في غير هذا الموضع إذ يقول :-

على لاحق يعطيك قبل - واه أفانين جرى غير كزولاوان
على أن امرأ القيس بعد ذلك البيت الذي عابته عليه أم جندب قال :-
فأدرك لم يحمد ولم يثن شأوه يمر كخزوف الوليد المنقب
وهذا البيت يدل على ما يدل عليه بيت علقمة بل إنه يزيد عليه حسنا ومتانا ،
ولكن أم جندب كانت ظالمة لامرئ القيس فجارت في حكومتها وذلك
لحاجة في نفسها لأنها كانت تذكره لفرقه وكان هواها مع علقمة ولذلك
فأنه خلف امرأ القيس عليها وفي ذلك ما يدل على تحيزها لعلقمة .
وفرق ما تقدم فأن ابن المعتز يذكر أن قصيدة (خليلي مرايت) من شعر
امرئ القيس كما أن المفضل يرويها لعلقمة . وابن الجصاص وحماد يرويان
القصدين لامرئ القيس

٢٢

وبعد ما سبق فأن أسرف المنتقدون على امرئ القيس في الذم وبالغوا
عليه بالظعن وتجاوزوا الحد الذي يقف عنده المحتج المناظر إلى مذهب
المسقط المغالط والمتمصب المتحامل فلنا نمنع أن يكون امرؤ القيس
قد وهم في بعض شعره وعدا عن الوجه الاوضح في شيء من معانيه . وغير
منكر لفكر تتج من المحاسن مانتج وولد من البدائع ما ولد أن يلحقه الكلال
في بعض الاوقات والزائل في بعض الاحيان بل من الراجب لمن أحسن
إحسانه وابتدع ابتداءه أن يسامح من سهوه ويتجاوز له عن زله فلكل جواد
كبوة ولكل عالم هفوة

تأثر امرئ القيس بغيره

كانت الحياة الجاهلية على ما تعلم حياة بدوية أولية لا تعقيد فيها ولا تكلف وهي على فطرتها حياة خشنة جاسية كل ما فيها شاة وبعير، وخيام وقباب، وغيث وكلاء . تبرز في أكثر أحيائها بشطط العيش وكلاالة البال . مما أدى بهم إلى التدافع على النجمة والتكالب على المرعى وكان داعية لقيام العداوة بينهم ومحاربة بعضهم بعضا .

واللغة ككل أعراض الحياة خاضعة لمزاج أهلها فهم الذين يخلعون عليها الخشونة أو يزينونها بألوان من الرقة . ولذلك كانت اللغة العربية في جاهليتها متمشية مع الروح التي سرت إليها من أهائها تستعمل في أغراض معيشتهم وكل ما يلائم بيئتهم ويناسب طباعهم دون إغراق في الاستعمال ولا غلو في ترتيب المعاني والأفكار بل يرسلون القول لطيبته حسب ما تتخيله نفوسهم وتستدعيه بديتهم فيدخلون معنى في معنى ويتنقلون اقتضابا من غرض إلى غرض دون تحيل ولا تاطف وقد يمدون لذلك بقولهم دع ذا وعد عن ذا أما أفاضهم وأساليهم فكانت كما كانت حيانهم وليدة الفطرة والبداءة فيها جزالة وعلى مخايلها شيء من الوعورة . ومن مذاهبهم في قصائدهم أن يفتتحوها بالنسيب وذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين والأشفاق منه رصفة الطلول والحوول تعطيها للقلوب واستدعاء للقبول لما في الطباع من حب الغزل والميل إلى اللهو والنساء . وإن ذلك استدراج إلى ما بعده .

وقد تأثر امرؤ القيس في كلياته بتلك الروح الغالبة على عصره فقد كان

يبدأ قصائده بالنسيب ووصف النساء وذكر محاسنهن وديارهن ولهوه معهن
وينتقل بعد ذلك إلى ما يأخذ فيه من الأغراض التي تستوحىها حياة البادية
من وصف للفرس وخروج للصيد ووصف للغيث والكلاء وذكر نبه وفتوته
والافتخار بنجاره إلى غير ذلك وقد يكون هذا الانتقال طفرة كما انتقل في
معلقته من النسيب إلى وصف الليل فقال . -

ألارب خصم فيك ألوى رددته نصيح على تمذاله غير مؤتل
وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
وقد يكون بقوله دع ذا كما انتقل في قصيدته (سما لك شوق بعد ما كان
أقصرا) إلى وصف الناقة بقوله . -

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا
وقد ظهر أثر البداوة في شعر امرئ القيس أيضا في جناء عبارته ووعورة
الفاظه وتجهم معانيه وخشونة تشبيهه . وأنت تدرك ذلك في قوله . -
برهرهة رودة رخصة كحرعوة البانة المنفطرا
وقوله : -

وأركب في اللهام المجرحتي أنال ما ظل القحم الرغاب^٢
وقوله : -

(١) الرهرهة الرقيقة الحلد اللسان المترحة والرودة الشاة والرخصة الباعمة والحرعوة المصعولة
قصص البان والمنفطر المسق ٢ اللهام الحيش العرمم و لحر التمل المتندى - يره والقحم الصم الكثيرة
من الأموال . عه ها والعباءة

وظل لصيران الصريم غماغم يداعسها بالسهمري المقلب^١
فكأب على حر الجبين ومثق بمدرية كأها ذلق مشعب^٢
ففثنا إلى بيت بعلياء مردح سماوته من أتحمى معصب^٣
وتقف أيضاً على خشونة تشبيهه في قوله يصف ننان معشوقته الناعمة :-
وتعطو برخص غير شئن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل
فقد شبه تلك البنان الرخصة بدود ظبي أو مساويك إسحل وكذلك
في قوله يصف شعر معشوقته أيضاً
وفرع يزين المهن أسرد فاحم أثيث كقنو النخلة المعتكل
فأنه يشبه شعرها بقنو النخلة

على أن امرأ القيس كان في كثير من الأحيان يحنج في شعره إلى حسن
الديباجة وبديع المعنى ودقيق الوصف ورقيق التشبيه وسهولة المأخذ وعذوبة
النسيب وذلك لأنه وإن تأثر بعصره وشاكل من حوله إلا أنه اختط لنفسه
طريقاً مستقلاً ومنزعا خاصا حتى ليخل إلينا أنه أمة وحده لا يستمد من أحد
من أهل زمانه على حين أنهم ينبوع عقله ومدد بحره وذلك سر عظمته
مما جعل الشعراء بعده يحتذون حذوه ويحاكونه في تهذيب أشعارهم

١ الصيران جمع صوار وهو الثور الوحشي والصريم مقطع الرمل والعامم الأصوات والحوار. ويداعسها يطاعها. السهمري الرمح والمقلب المقوى بالعلاء وهي عصاة تشد على العصا إذا حافوا أن تنكسر

(٢) الكأى الساقط على وجهه وحر الحين ما طهر من الوجه والمدرية القرن والدلق الحد والمشعب المجرى

(٣) شارحها ومردح واسع. وسماوته أعلاه. والاتحمى البرود المحوكة. والمعصب أى المحوكة معصب اليمن

وترقيق معانيهم

أما عن تأثير امرئ القيس في جزئياته فقد ذهب أستاذي المغفور له
(شاعر البادية) إلى أن الأثر في ذلك لعبيد بن الأبرص وقد يكون هذا
صحيحا والحجة في ذلك أن عبيدا أكبر من امرئ القيس سنا وأقدم زمانا
فقد قال أبو حاتم السجستاني في كتاب المتمرين إن عبيدا عاش زهاء المائتي
سنة أخذنا من قوله . -

مائتي زمان كامل ونضية عشرين عشت معمرا محمودا
وشهدت أول ملك نصر ناشئا وبناء شداد وكان أييدا
وأول ملك بني نصر كان في أواخر القرن الثالث لأن أول ملوكهم
عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الأبرش وهو الذي أخذ بثأره من الزباء
وترلى الملك بعده . وهما قيل في ذلك من التأويل فإنه لا بد أن يكون
عبيد أكبر من امرئ القيس بزمن طويل قال فيه الشعر وتفنن فيه وامرؤ
القيس إما في عالم الغيب وإما في عداد الأبطال ولا يسمع المؤرخ أن ينسب
ما يتوافقان فيه من المعاني والأساليب إلا إلى السابق ولا مريفة في أنه عبيد
ويظهر هذا الأثر في قول عبيد : -

عيناك دمعها سروب كأن شأنيهما شعيب
فقد أخذه امرؤ القيس فقاتل -

عيناك دمعها سلسال كأن شأنيهما أوشال

(١) عبيد خل من خول شعراء الجاهلية وهو من أهل السق والافتان في الشعر وإنما أحرقه عن الطبقة
الأولى عدهم أنهم لم يجدوا له كثيرا مثل ما وجدوا لغيره كما أشار إلى ذلك ابن سلام . وقيل إن منيته كانت
على يد المنذر بن ماء السماء في يوم من أيام نومه وله ديوان مطبوع في أوروبا

وقال عبيد :

أو جدول في ظلال نخل للماء من تحته قسيب
فتبعه امرؤ القيس وقال

أو جدول في ظلال نخل للماء من تحته مجال
وقال عبيد

قطعة غمدوة متيمنا وصاحبي بادن جنوب
فقال امرؤ القيس

قد أقطع الأرض وهى قفر وصاحبي بازل شمال
وقال عبيد

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن سلكن غميرا دونهن غموض
فتبعه امرؤ القيس فقال

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن سلكن ضحيا بين حزمى شعيب
وتبعه الشعراء بعده كزهير إذ يقول

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم
وقال عبيد :

كأن ريققتها بعد الكرى أغبقت صباه صافية بالمسك محتومة
فقال امرؤ القيس

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر

وتابعها في ذلك شاعر آخر فقال :

لو ذقت فاهها بعد الزوم المدج والصبح لما هم بالتبليج
قلت جنا النحل بماء الحشرج يخال مثلوجا وإن لم يثلج
وقال عبيد :

حبست فيها صحابي كي أسائلها والدمع قد بل مني جيب سربالي
ويقول امرؤ القيس

ففاضت دموع العين مني صباة على أنحر حتى بل دمي محلى
واقفى أثرهما في ذلك النابغة حيث يقول :

فكفكفت مني عبرة فرددتها على النحر منها مستهل وداعم
ويقول عبيد

زعمت أتى كبرت وأنى قل مالى وضمن عن الموالى
وصحا باطلى وأصبحت كرها لا يؤانى أمثالها أمثالى
فيقول امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة اليوم أتى كبرت وألا يحسن السر أمثالى
وقال عبيد

كأن أظعانهم نخل مسوقة سود ذوائبها بالحل مكومة
فقال امرؤ القيس

أو ما ترى أظعانهم بواكرا كالنخل من شوكان حين صرام
وقال عبيد .

ويدت عذارى يرتمين بخدرة دخلت وفيه عانس ومريض
فقال امرؤ القيس

ويدت عذارى يوم دجن ولجته يطفن بجباء المرافق مكسال
وغير ذلك كثير مما يظهر عند قراءة ديوانيهما

ومما يدل أيضا على تأثير عبيد في امرئ القيس تلك المحاجة التي كانت
بينهما فأنها عندنا مثال من أمثلة الترين الذي يعمل به غالباً الأكبر للأنصغر
ليختبره . إذ يقول له عبيد ما معرفتك بالآوابد فيقول امرؤ القيس قل
ما شئت تجدني كما أحبت فيقول عبيد :

ما حية مية قامت بميتتها درداء ما أنبتت سنا وأضراسا
فيقول امرؤ القيس

تلك الشعيرة تسقى في سنا بلها فأخرجت بعد طول المكث أكدا سا
وهكذا ظل عبيد سائلا وامرؤ القيس مسئولاً بجيبا حتى انتهيا . ولقد
كان عبيد يقول الشعر مفتخرا على امرئ القيس ومن ذلك قصيدته التي
يقول فيها :

ياذا المخوفنا بقتل أيه إذلالا وحيننا

وقد تقدمت

ومن ذلك أيضا قصيدته التي يقول فيها :

أمن رسوم نأيا راحل ومن ديار دمعك الهامل
أجالت الريح بها ذيلها عاما وجون مسبل هاطل

وفيها يقول أيضا

يا أيها السائل عن مجدنا إنك عن مسعاتنا جاهل
إن كنت لم تسمع بآبائنا فسل تنبأ أيها السائل
سائل بنا حجرا غداة الوغى يوم تولى جمعه الحافل
يوم لقوا سعدا على ماقط وحاولت من دونه كاهل
فأوردوا سربا له ذبلا كأنهن اللهب الشاعل
وعامرا أن كيف يعلمهم إذا التقينا المرفف النائل
قومي بنو دودان أهل الحجى يوما إذا ألقحت الحائل
كم فيهم من سيد أيـد ذى تفحات قائل فاعل
من قوله قول ومن فعله فعل ومن نائله نائل
القائل القول الذى مثله يمرع منه البلد الماحل
لا يحرم السائل إن جاءه ولا يعفى سبيه العاذل
الطاعن الطعنة يوم الوغى يذهل منه البطل الباسل
وهذه القصيدة تشاغل قصيدة امرئ القيس التى مطلعها
يادار ماوية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل
وقد تقدمت

وإذا وازنا بين القصيدتين نجد أن عبيدا أشعر الرجلين حتى لكانه
قلب بامرئ القيس الأرض أو طبق عليه السماء
وامرؤ القيس وإن تأثر بعبيد فمن المعقول أيضا أن يكون عبيد متأثرا
بامرئ القيس كذلك

ولئن صح ما قاله ابن رشيق من أن امرأ القيس كان يتكأ على أبي
دواد الأيادي ويروى شعره ليكون متأثراً به لاسيما وأن أبا دواد - كما
ذكر صاحب الأغاني - كان وصافاً للخيل وأكثر أشعاره في وصفها . وقد
قال ابن الأعرابي أيضاً لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دواد . وقد
قتشت كثيراً فيما وقع لي من كتب الأدب على أثره على شعر لأبي دواد
أستطيع معه أن أبين أثره في امرئ القيس فلم أوفق ولم أعثر له إلا على
بعض المقطعات في كتاب الأغاني ومهذبه لاتسد حاجتنا ولا تفي بغرضنا
ولكن فيها بعض مانود وهي

من قوله في وصف الفرس

ولقد اغتدى يدافع ركني أحوذى ذو مية إضريح
مخاط مزيل مكر مفر منفع مطرح سبوح خروج
سلمب سرحب كأن رماحا حملته وفي السراة دهوج
ويظهر أثر هذا الشعر في قول امرئ القيس

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيسكل
وما شاكل ذلك

وفي قوله

مكر مفر مقبل مدبر معا بكلاود صخر حطه السيل من عل
وما شاكله أيضاً

ومن شعر أبي دواد أيضاً ما قاله لزوجته أم حبترو وقد عاتبته على سماحته
بما له فلم يعتصم بأصرمته . قال :

حاولت حين صرمتي والمرء يعجز لاهالة
والدهر يلعب بالفتي والدهر أروغ من ثعالة
والمرء يكسب ماله والشح يورثه الكلالة
والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة
والسكت خير للفتي فالحين من بعض المقالة
وندرك شيئاً من تأثر امرئ القيس بهذا الشعر حين يقول أبو دواد
والدهر يلعب بالفتي والدهر أروغ من ثعالة
فيقول امرؤ القيس

ألم أخبرك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجالا
وحين يقول أبو دواد

والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة
فيقول امرؤ القيس

قولا لدودان عبيد العصا ما غرکم بالأسد الباسل
ومن شعر أبي دواد قوله يصنف ثورا خارجا من أجمة

وبدت له أذن توجس حرة وأحسم وارد

وقوائم عوج لها من خلفها زمع زوائد

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد

وقوله يمدح الحارث بن همام بن مرة ويذكر ناقته الزباء وكان الحارث

قد جاوره فأحمد جواره

فألى ابن همام بن مرة أصعدت ظعن الخليط بهم فقل زيا لها
أنعمت نعمة مساجد ذى منة نصبت عليك من العلا أظلالها
وجعلتنا دون الولي فأصبحت زباه منقطعا إليك عقا لها
وبما قاله لزوجته أم حبر أيضا .

في ثلاثين زعزعتها حقوق أصبحت أم حبر تشكوني
زعمت لي بأنتى أفسد المال وأزويه عن قضاء ديوني
أملت أن أكون عبداً لمالى ويها بها مع المال دوني
وهو القائل أيضا

لا أعد الاقتار عدما ولكن فقد من قد رزته الاعدام
من رجال من الاقارب بادوا من حذاق هم الرؤس العظام
فهم للملايين أناة وعرام إذا يراد العرام
وسماح لدى السنين إذا ما قحط القطر واستقل الرهام
ورجال أبوهم وأبى عمرو وكمب يبض الوجوه جسام
وشباب كأنهم أسد غيل خالطت فرد حدهم أحلام
وكمول بنى لهم أولوهم مآثرات يهاها الاقوام
سلط الدهر والمنون عليهم فلمهم فى صدى المقابر هام
وكذا كم مصير كل أناس سوف حقا تبليهم الايام
فعلى إثرهم تساقط نفسى حشرات وذ كرم لى سقام
ومن قوله

ياعدى لقلبك المحتاج إن عفا رسم منزل بالتباج
غيرته الصبا وكل ملك دائم الودق ذى أهاضيب داج
وحمانا غلامنا تم قلنا هاجر العيس ليس منك بناج
فانتحى مثل ما انتحى بازدجن جوعته القناص للدراج
أما غير عبيد وأبى دواد من تأثر بهم امرؤ القيس فقد قيل إن خاله
مهمل هو الذى علمه القريض وقد قد منا أن امرأ القيس تأثر به من جهة
الوراثه والمعهود إلى عصرنا هذا أيضا أن كل شاعر يستقى الشعر من الطبقة
التي تحيط به ويتأثر بالشعراء زمنه أو المتقدمين عليه ونحن نعلم أن
امرأ القيس لقى التوأم اليشكري وكانت بينهما ممانه شعرية ولقى علقمة
الفحل أيضا والسموأل وصحب عمرو بن قميئة وجابر بن حنا وكانا يكبران
سنا ومن شعراء عصره ممن لم نعرف لقاءهم به الحارث بن عباد والمرقش
الأكبر والمرقش الأصغر وذو الأصبع العدواني وهم أكبر منه سنا وأبعد
زمننا ومنهم أيضا سعد بن مالك جد طرفة وزهير بن جناب الكلبي ومن
أقرانه طرفة والمتدلس . وغير هؤلاء من فحول شعراء الجاهلية ممن ذكرنا
ومن لم نذكر ممن هو أكبر من امرئ القيس سنا ومات قبله أو غير بعده
أو أصغر منه ومات فى عهده أو بقى بعده وكلهم شاعر مفطور تبدو شاعريته
ولو فى القليل من كلامه . على أن امرأ القيس وإن تأثر بمعاصريه فى أنحاء
القول فإن هذا الأثر عندنا لا يعدو ارتفاع العقل ونضج الملائكة وهو إن
تأثر بهم فإنه والحق يقال له أثر كبير فيهم فكلاهما على الحقيقة متأثر
بصاحبه ومؤثر فيه

أثر امرئ القيس في غيره

لأنرى العرب أعجبوا بشاعر إعجابهم بامرئ القيس في جودة معانيه
وابتداع الكثير منها وسلوكه مذهب المجددين المخترعين في الأساليب ولذلك
فقد تأثر به الشعراء في الكليات والجزئيات . أما أثره في الكليات فقد قال
العلماء إنه سبق الشعراء جميعا إلى أشياء ابتدعها واستحسنها غيره من الشعراء واتبعوه
فيها ، فهو أول من وقف واستوقف ربكي واستبكي وشبه النساء بالبيض والظباء
والمها ، والخيل بالعقبان والعصى . وهو أول من قيد الأوابد وأول من
رقق النسب وفرق بين الغزل وغيره من فنون الشعر وهو أول من اخترع
هذا الضرب من التشبيه المعروف عند علماء البلاغة بالتشبيه الملفوف في
مثل قوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
وهو أول من اخترع الاستعارة - كما قال ابن وكيع - في قوله
وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجارا وناء بكل كل
فأستعار لليل سد ولا يرخيها وصلبا يتمطى به وأعجازا يردفها وذكلا
ينوء به . وهو أول من ابتكر هذا النوع من الاستعارة المعروف بالمائلة
أو التمثيل في مثل قوله

وما ذرفت عيناك إلا لتضربني بسهميك في أعشار قلب مقتل
فقد مثل عينيها بسهمى الميسر يعنى المعلى وله سبعة أنصباء والرقيب وله

ثلاثة أنصباء فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عيئها، ومثل قلبه بأعشار الجزور فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل . وهو أول من اخترع التشبيه الوهمي في قوله

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِي مَضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقِ كَأُتْيَابِ أَغْوَالٍ
وهو أول من اخترع التشبيه المؤكد المحذوف الأداة وكان التشبيه قبله مع دخول الكاف وأمثالها أو كأن وما شاكلها وهو كما قال ابن رشيق أول من فتح باب تشبيه أربعة بأربعة والتشبيه بالاضافة في قوله .

له أَيْطَلَا ظِيَّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبَ تَنْقَلٍ
وهو أول من استعمل هذا النوع المعروف بالتتابع في مثل قوله
وتَضَحَّى فَنَيْتَ الْمَسْكَ فَوْقَ فِرَاشِهَا تَوَدُّمُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَقِ عَنْ تَفْضُلِ
وقوله

أَمْرُخَ خِيَامِهِمْ أَمْ عَشْرَ أُمِّ الْقَلْبِ فِي إِثْرِهِمْ مَنْجَدِرٍ
وهو أيضا أول من ابتكر هذا النوع المعروف بالانفعال في مثل قوله
إِذَا مَا جَرَى شَاوِيْنٌ وَابْتَلَّ عَطْفُهُ تَقُولُ هَزِيْنُ الرِّيحِ مَرَّتْ بِآثَابِ
أما أثر امرئ القيس في الجزئيات فهذا باب واسع نأتى منه بما يتسع
له المقام

قال امرؤ القيس

وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجْمَلُ
فقاله طرفة

وقوفا بها صحبي على طيهم يقولون لاتهلك أسي وتجلد
وقال امرؤ القيس يصف فرسه
ويخطو على صم صلاب كأنها
فقاله النابغة

كأن حواميه مدبرا خضبن وإن كان لم يخضب
حجارة غيل برضراضة كسين طلاء من الطحلب
وقال امرؤ القيس يصف الليل
وليل كموج البحر أرخى سدوله
فقلت له لما تمطى بصلبه
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
فيالك من ليل كأن نجومه
كان الثريا علقت في مصامها
وتابعه في ذلك الوصف النابغة فقال .

ظيني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطل الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بأثب
وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب
وقد اختلف الوليد بن عبد الملك مع أخيه مسلمة في أي الشعرين أحسن
في وصف الليل أشعر امرؤ القيس أم شعر النابغة ؟ واحتكما إلى الشعبي
فمنضى لامرؤ القيس

ويظهر معنى بيت امرئ القيس
كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل
في قول الأرجاني
يخيل لي أن سمر الشهب في الدجا وشدت بأهداني إليهن أجفاني
ومن مخترعات امرئ القيس المتنازعة في الحسن قوله
سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حجاب الماء حالا على حال
وقد قلده فيه شاعر متأخر فقال
أدب إليها ديب الكرى وأسمو إليها سمو النفس
وتابعه فيه أيضا وضاح اليمى فولد منه معنى مليحا قال
فاسقط علينا كسقوط اندى ليلة لانه ولا زاجر
وقلده فيه أبو تمام بعد أن عدل به إلى وجه المديح فقال
سما للعلا من جانبيه ظيها سمو حجاب الماء جاشت غواربه
وما قيل في إخفاء الحركة والديب أبلغ ولا أبرع من بيت امرئ القيس
وهو أول من طرق هذا المعنى فيه وابتكره
ومن البديع قول امرئ القيس في أذنى الفرس
وسامعتان يعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسط ديرب
اتبعه طريقة فقال فيه
وسامعتان يعرف العتق فيهما كسامعتي شاة بحومل مفرد
ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس

وعينان كالماويتين ومحجر إلى سند مثل الصفيح المنصب

فقال طرفة في وصف عيني ناقتة

وعينان كالماويتين استكتتا بكمهي حجاجي صخرة قلت مورد

وقال امرؤ القيس

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

فاتبعه ابن الطثرية وقال

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمان وهي من سلكه فتبددا

وقال امرؤ القيس

فلو أنها نفس تموت جميعا ولكنها نفس تساقط أنفسا

فأخذه ابن الرومي وقال

فيالك من نفس تساقط أنفسا تساقط در من نظام بلا عقد

وقال امرؤ القيس

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نخير الماء غير المحال

فتبعه فيه غيلان ذو الرمة فقال

نجلاء في برج صفراء في نعب كأنها فضة قد مسها ذهب

واتبعه فيه أمير الشمر في العصر الحديث (شوقي بك) فقال

حف كاسها الحبيب فهي فضة ذهب

وقال امرؤ القيس

كأنني لم أركب جوادا للذة ولم أبتطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخلي كرى كرة بعد إجفال
فأخذه عبد يغوث وقال
كأنى لم أركب جوادا ولم أقل لخلي كرى نفسى عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لا يسار صدق عظمواضوء ناريا
وقال امرؤ القيس
تنورتها من أذرعات وأهلها يثرب أدنى دارها نظر عال^١
فأخذه الحارث بن حلزة وقال
فتنورت نارها من بعيد بحران هيات منك الصلاء
ومثله أيضا قول الآخر
أليس بصيرا من رأى ودهوة أعد بمكة أهل الشام يحتبرون
وقال امرؤ القيس فى وصف الناقة
وعنس كألواح الأمران نسائها على لاحب كالبردذى الحيرات
فقلده طرفة وقال
وعنس كألواح الأمران نسائها على لاحب كأنه ظهر برجد
وقال امرؤ القيس فى طباع النساء
أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

١ قال الوزير أبو بكر قد فوغل بين غلو امرئ القيس فى هذا البيت وغلو مهمل فى قوله

فلولا الريح اسمع من بحجر صايل البيض يقرع بالذكور

وبين حجر وهى قصة اليمامة وبين مكان الواقعة عشرة أيام قليل هو أشد غله من امرئ القيس لأن

حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد إدراكا

فاتبعه علقمة وقال :

فإن تسألوني بالنساء فأنتي خبير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمه وشرح الشياب عندهن عجيب
وقال امرؤ القيس

يضيء الفراش وجهها لضجيعها كصباح زيت في قناديل ذبال
فتعاورت الشعراء هذا البيت وزادت فيه قال أبو الطيب المتنبي
أمن ازديارك في الدجا الرقباء إذ جئت كنت الظلماء ضياء
ومثل قول امرئ القيس

قفانبك من ذكرى حبيب ومزل بسقط الأولى بين الدخول فومل
قول البحتري :

لها - نزل بين الدخول فتوضح متى تراه عين المتيم تسفح
وقال امرؤ القيس

إذا ما الضجيج ابتزها من ثيابها تميل عليه هوته غير مجبال
وقال أيضا

فلما تناز عنا الحديث وأسمحت هصرت بغصن ذى شماريخ ميال
فتابعه الجعدى في بعض ألقاظ البيت الأول وفي معنى البيت الثاني فقال
إذا ما الضجيج ثنا عطفها تثنت عليه فكانت لباسا
وقال امرؤ القيس

كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته رجلها حذف أعسرا
فأخذه الشماخ وقال
لها منسم مثل الحجارة جفة كأن الحصان خلفه حذف أعسرا
وقال امرؤ القيس
كفيت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل
فقاله أوس بن حجر
يزل قنود الرجل عن دأياتها كما زل عن عظم الشجيع المخارف
وقال امرؤ القيس يصف الفرس
سليم الشظاء عبل الشوى شنج النساء له حجبات مشرفات على الفال
فتابعه كعب بن زهير وقال
سليم الشظاء عبل الشوى شنج النساء كأن مكان الردف من ظهره قصر
وقال امرؤ القيس فى الخمر
فله استطابوا صب فى الصحن نصفه وشجت بماء غير طارق ولا كدر
بماء سحاب زل عن متن صخرة إلى بطن أخرى طيب ماؤها خصر
فأخذها كعب وقال
شجت بنى شيم من ماء مخنية صاف باء يطح أضخى وهو مشمول
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه من صوب سارية بيض يعاليل
ويشاكل معنى البيت الأول من يتى امرئ القيس قول أبى نواس
قرارتها كسرى وفى جنباتها مهي تدريبها بالقسى الفوارس

فللخمر ما زرت عليه جيوسها وللماء ما دارت عليه القلانس
وقال امرؤ القيس

وما المرء مادامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آلى
فقلده فيه شاعر آخر فقال

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لاتنقضى
وإن من يقرأ قصيدة امرئ القيس وقصيدة علقمة اللتين احتكما فيهما
إلى أم جندب يرى فيهما آياتا كثيرة مشتركة في ألفاظها ومعانيها مثل قول
امرئ القيس

وعين كمرآة الصناع يديرها بمحجرها من النصيف المثقب
وقول علقمة

بعين كمرآة الصناع يديرها بمحجرها من النصيف المثقب
ومثل قول امرئ القيس

بمنجرد قيد الأوابد لآحه طراد الهوادي كل شأ ومغرب
قاله علقمة بهذا اللفظ عينه أيضا
ومثل قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذئ لم يثقب
وقوله أيضا

وقد أغتدى الطير في وكناتها وماء البدي يجرى على كل مذنب
قالها علقمة بلفظها أيضا

و كقول امرئ القيس

فمادى عداء بين ثور ونعجة وبين شوب كالحشيمة قرهب
قاله غلقمة

وعادى عداء بين ثور ونعجة وتيس شوب كالحشيمة قرهب
وغير ذلك من المعاني والألفاظ المشتركة التي يحلوها على القارىء
تصفح القصيدتين وهما في ديوان كل منهما في كتاب العقد الثمين وفي
مذهب الأخاني أيضا

وقال امرؤ القيس

فأدر كن ثانيا من عنائه كغيث العشى الأقب المتودق
ومثله قول غلقمة

فأركن ثانيا من عنائه يمر كمر الرايح المتحلب
وقال امرؤ القيس

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر
فقلده خدش بن زهير وقال

لها ذنب مثل ذيل الهدى إلى جوجؤ أيد الزافر
وقال امرؤ القيس

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤئل وقد يدرك المجد المؤئل أمثالي

وقد أخذ هذين البيتين وبسط معناهما خفاف بن غصين البرجمي فقال

ولو أن ما أسعى لنفسى وحدها لزاد يسير أو ثياب على جلدى
لهان على نفسى وبلغ حاجتى من المال مال دون بعض الذى عندى
ولكنما أسعى لمجد مؤثر وكان أبى نال المكارم عن جدى
وقال امرؤ القيس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكلا
فاقتدى به الناس واتبعه الشعراء وولدوا من قوله قيد الأوابد معانى
أخرى فقبل قيد النواظر وقيد اللاحاظ وقيد الكلام وقيد الحديث وقيد
الرهان . قال الأسود بن يعفر

بمقلص عند جهير شده قيد الأوابد والرهان جواد
وقال أبو تمام

لها منظر قيد النواظر لم يزل يروح ويغدو فى خفارته الحب
وقال آخر

الحاظه قيد عيون الورى فليس طرف يتعباه
وقال آخر

قيد الحسن عليه الحدقان

وكذلك قول أبى الطيب

أجل الظليم وربقة السرحان

وقال امرؤ القيس

وان شفاى عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

فتابعه ذو البرمة وقال

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي نجي البلابل
وتابعه أيضا الحسن بن وهب وقال

أبك فما أكثر نفع البكا والحب إشفاق وتعليل
وهو إذا أنت تأملته حزن على الخدين محلول

وتابعه الفرزدق فقال

فقلت لها إن البكاء لراحة به يشفى من ظن أن لا تلاقيا
وقلده أبو تمام أيضا فقال

واقعا بالحدود والبرد منه واقع بالقلوب والإكباد
وقال امرؤ القيس

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الاصبح منك بأمثل
فأخذه الطرماح بن حكيم الطائي وقاله بلفظه ومعناه في مطلع قصيدة له
ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح بتم وما الاصبح فيك بأروح
وأخذه ابن عيينة أيضا وجعله في الشوق إلى الوطن فقال

طال من ذكره بمرجان ليلى ونهارى على كالليل داجي
وقال امرؤ القيس

إذا ركبوا الخيل واستلائموا تحرقت الأرض واليوم قر
فأخذه نهشل وقال

ويوم كأن المصطلين بحره وإن لم يكن حر قيام على جمر
ومثله قول الطائي

ويوم يظل العز يحفظ وسطه لسر العوالى والنفوس مضيع
مصيف من الهيجا ومن جمره الوغا ولكنه من وابل الدمع مرتع
وقال امرؤ القيس

وسالفة كسحوق اللبا ن أضرم فيها الغوى السحر
ومثله لطفيل

كأن على أعرافه ولجامة سنى ضرم من عرق مج متلهب
ومثله للعجاج

سفواء سرخاء تبارى معلجا كأنما يستضمرمان العلفجا
وقال امرؤ القيس

ألم ترياننى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب
فقلده فيه أبو الطيب المتنبي وأجاد فيه فقال

أتت زائرا ما خامر الطيب ثوبها وكالمسك فى أردانها يتضوع
وقال امرؤ القيس

وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
أخذه أبو تمام فقال

وضعيفة إذ أمكنت عن قدرة قتلت كذلك قدرة الضعفاء
وقال امرؤ القيس

تراهن من تحت الغبار نواصلا ويخرجن من تحت الثرى متنصب
فتابعه طفيل وقال

إذا همطت سهلا حسست غماره بحانه الأقصى دواجن تنصب

وقال امرؤ القيس

من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا

فقال أبو الطيب مقلدا هذا المعنى

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حديق نطاقا

وقلده حميد بن ثور أيضا فقال

منعمة بيضاء لودب محول على جلدها بضت مدارجه دما

وقال امرؤ القيس

فبعض اللوم عاذلتى فأنى ستكفينى التجارب وانتسابى

ومثله قول لييد

فأن أنت لم ينفعك عليك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل

فأن لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتدعك العواذل

وقال امرؤ القيس

وبات إلى أرطاة حقف كأنها إذا ألثقتها غيبة بيت معرس

ومثله قول ذى الرمة

إذا استهلكت عليه غيبة أرجت مرايض العير حتى مازج الخشب

كأنه بيت عطار يضمه لطائم المسك يحويها وتنتهب

وقال امرؤ القيس

وشمائلى ما قد علمت وما نبحت كلابك طارقا مثلى

فقلده عنتره وقال

وكما علمت شمائلى وتكرمى

ويظهر أثر امرئ القيس في قصيدة لييد التي مطلعها « ألم تلمس على
الدمن الخوالى » التي يقول فيها

أصاح ترى بريقا هب وهنا كصباح الشعيلة في الذبال
أرقت له وأنجد بعد هده وأصحابي على شعب الرحال
يضىء ربابه بالمزن حبشا قياما بالحراب وبالآلال
وأصبح راسيا برضام دهر وسال به الخائل في الرمال
وحط وحوش صاحبة من ذراها كأن وعولها رمك الجمال
على الأعراض أيمن جانيه وأيسره على كورى أنال
أقول وصوبه منى بعيد يحط الشث من قلل الجبال
سقى قومي بنى مجد وأسقى نميرا والقبائل من هلال
وقد تبع امرأ القيس في غزله وديبه وتعرضه عمر بن أبي ربيعة ويظهر
أثر ذلك في قصيدته التي مطلعها

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غد أو رائح فمهر
وأیضا فی قصیدته التي مطلعها
ألم تسأل الأطلال فالتربعا ييطان خليات دوارس بلقما
ومن أحسن معانى امرئ القيس عند اليأس من الحب والهوى ذلك
المعنى الذى اتبعه الشعراء فيه ولا يزالون يتبعونه إلى عصرنا هذا وهو قوله
أماوى هل لي عندكم من معرس أم الصرم تختارين بالوصل نياس
أبني لنا إن الصريمة راحة من الشك ذى المخلوجة المتلبس
قلبه فيه ابن ميادة فقال

فلا صرعه يبدو وفي اليأس راحة ولا وضله يصفو لنا فنكاره
وقال شاعر ناشئ

لو أن هذا الصدود هجر لكنت أرتاح من شجوني
ومن مختبرات امرئ القيس أيضا قوله في عرفان الأطلال الدارسة بما
في نفسه من الشغف إليها

لمن طال دارس آية أضربه سالف الأحرص
تذكره العين من جانب ويعرفه شغف الأنفس
وقد قلده فيه أبو نواس فقال

ألا لأرى مثلي امترى اليوم في رسم تغص به عيني ويلفظه وهمي
أتت صور الأشياء بيني وبينه فظني ظلا ظن وعلى كلا علم
وقد قلده فيه أيضا شاعر قرشي فقال

لو بدلت أعلى منازلها سفلا وأصبح سفلا يعلو
لعرفت مغناها بما احتملت مني الضلوع لأهلها قبل
وقد سمع بعض النقاد منشداً ينشد بيتي القرشي فقال ما بقي على هذا إلا
أن يدعو على ديار صاحبه بحجارة من سجيل تجعل عاليها سافلها
وأخذ هذا المعنى من امرئ القيس أيضا شاعر آخر فأحسن وأجاد
وجعل الحديث عن هداية راحلته فقال

لا تقفها على السبيل ودعها يهدا شوق من عليها السبيل
هذا ما وسعه المقام من التنبيه على بعض معاني امرئ القيس التي سلكها
في شعره والتي قلده فيها شعراء عصره ومن أتى بعده

ما جرى على لسان امرئ القيس

من

استعمالات القرآن الكريم وألفاظه

لما كان القرآن الكريم قرآنا عربيا غير ذي عوج بزل بلسان مبين فيه
مثل ما في كلام العرب من اللفظ المختلف ومجاز المعاني فنحن نذكر هنا
بعضاً من أشعار امرئ القيس التي توافق فيها مع القرآن الكريم من حيث
الألفاظ ومعانيها ومن حيث الاستعمال اللغوي فمن ذلك قول
امرئ القيس

قفا نسأل الاطلال عن أم مالك وهل تخبر الاطلال غير التهالك
فقد علم أن الاطلال لا يجيب إذا سؤلت وإنما معناه قفا نسأل أهل
الاطلال . وقال تعالى (واسأل القرية التي كنا فيها) يعني أهل القرية
ومثل ذلك قول امرئ القيس أيضا

أبت أجا أن تسلم العام جارها فمن شاء فلينهض لها من مقاتل
أى أبت القبيلة التي تحل أجا
وقال امرؤ القيس

وتبرجت لتروعنا فوجدت نفسي لم ترع
وقال تعالى (غير متبرجات بزينة) والتبرج هو أن تبدى
المرأة زينتها

وقال امرؤ القيس

وماء آسن بركت عليه كأن مناخها ملقى لحام
والآسن المتغير قال تعالى (فيها أنهار من ماء غير آسن) أى
غير متغير .

وقال امرؤ القيس
ألا زعمت بسباسة اليوم أتى كبرت وألا يحسن السر أمثالى
والسر النكاح . قال تعالى (ولكن لا تواعدن سرا)
وقال امرؤ القيس

أرانا موضعين لا مرغيب ونسحر بالطعام وبالشراب
وقال تعالى (ولا تضعوا خللكم ييغونكم الفتنة) والأيضاع ضرب
من السير

وقال امرؤ القيس
خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشى مجلب
خفاهن يعنى أظهرهن . قال تعالى (إن الساعة آتية أكاد أخفيها)
أى أظهرها

وقال امرؤ القيس
أيا هند لا تنكحى بوهة عليه عقيقته أحسبا
والنكاح الزواج قال تعالى (فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى
وثلاث ورباع) أى تزوجوا
وقال امرؤ القيس

وأضحى يسح الماء حول كتيفة يكب على الأذقان دوح الكنهيل
وقال تعالى (يخرون للأذقان سجدا) والأذقان جمع ذقن وهى مجتمع
اللحيين وقال الوزير أبو بكر الأذقان الوجوه
وقال امرؤ القيس

ألم أنض المطى بكل خرق أمق الطول لماع السراب
وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء
حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع
الحساب) والسراب ما يبدو للمسافر وقت الظهيرة فى الصحراء كأنه ماء
وذلك بتأثير انعكاسات الضوء فى الطبقات الجوية
وقال امرؤ القيس

فما دافعوا عن ربهم وربيبهم ولا آذنوا جاراً فيظعن سالما
والرب السيد قال تعالى (إرجع إلى ربك) أى سيدك
وقال امرؤ القيس

تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا
والعاكف المقيم قال تعالى (سواء العاكف فيه والباد)
وقال امرؤ القيس

وللسوط فيها مجال كما تنزل ذو برد منهم
والمنهمر السائل المنصب قال تعالى (بماء منهمر)
وقال امرؤ القيس

فيارب مكروب كررت وراءه وعان فككت الغل عنه فقداني
والعاني الذليل الخاضع المهطع المقنع قال تعالى (وعنت الوجوه للحي
القيوم) أى خضعت وذات . والغل وثاق يوضع فى العنق أو اليد قال
تعالى (إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا)

وقال امرؤ القيس

ولم يرنا كالى كاشح ولم يفش منالدى البيت سر
والكالى الحافظ والمراقب قال تعالى (قل من يكلؤكم)
وقال الجرجاني فى قول امرئ القيس (ما حديث الرواحل) من قوله
دع عنك نهبا صيح فى حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل
تفخيم وتهويل مثل قوله تعالى (الحاقة ما الحاقة)
وغير ذلك كثير وكثير وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق وخير
الزاد ما بلغك المحل



حكم امرى القيس وأمثاله

من ذلك قوله :

ألا إن بعد العدم للسر قنوة وبعد المشيب طول عمر وملبسا
كذلك جدى ما أصاحب صاحباً من الناس إلا خاتنى وتنيرا
فاقصر إليك من الوعيد فأتى بما ألقى لا أشد حزامى
لاحميرى وفى ولا عدس ولا است عير يحكمها الثفر
أرى المرء ذا الأذواد يصبح محرّضا كما حرّض بكر فى الديار مريض
كان المقي لم يخن فى الناس ساعة إذا اختلف اللحيان عند الجريض
ومن الطريقة جائر وهدى قصد السبيل ومنه ذو دخل
الخير ما طلعت شمس ولا غربت مطلب بنواصى الخيل معصوب
فلو أنها نفس تموت جميعة ولا كبرها نفس تساقط أنفسا
وكل مكارم الأخلق صارت إليه همى وبه اكتسابى
دع عنك نهبا صيح فى حجراته ولا كن حديثا حديث الرواحل
أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا
فأنك لم يفخر كعليك كفاخر ضعیف ولم يغلبك غير مغلب،
ألا إنما الدهر ليال وأعصر وليس على شيء قويم بمستمر
وفد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالآياب
وقاهم جدهم بنى أبيهم وبالأشقين ما كان العذاب
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آلى

أرانا موضعين لا^{أمر} غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
عصافير وذباب ودود وأجراً من مجلحة الذئاب
والله ما أنجح ما^{طابت} به والبر خير حقيقة الرجل
إلى عرق الثرى وشجعت عروقي وهذا الموت يسلمني شبا^{بي}
ونفسي سوف يسلبها وجرى فيلحقني وشيكا بالتراب
وأعلم أنني عما قليل سأنشب في شباظفر وناب
إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
أقامت على ما بيننا من مودة أميمة أم صارت لقول المخيب
فهو لا تمنى رميته ماله لا^{عد} من نفره
مطعم للصيد ليس له غيرها كسب على كبره
وخليل قد أفارقه ثم لا أبكي على أثره
وابن عم قد تركت له صفو ماء الخوض عن كدره

ونصرك للفريد أعز نصر
إن الكريم للكريم محل
هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وحسبك من غنى شبع وري
ويحك ألحقت شرا بشر
إن الشقاء على الأشقين مصبوب
ولو أدركته مفر الوطاب

ستكفني التجارب وانتسابي
فيالك من نعمي تحولن أبوسا
ويعدو على المرء ما يآمر
إذا مالم تكن إبل فمعى
اليوم خمر وغداً أمر
الامر سلكى وليس بمخلوطة

أخذاً من قوله

نطعنهم سلكى ومخلوطة



ما لزمه امرؤ القيس

في شعره

كان امرؤ القيس يكرر المعنى الواحد واللفظ الواحد في قصائده متعددة
مثل قوله (تبصر خليلي هل ترى)
قال :

تبصر خليلي هل ترى من ظمائن سواك نقبا بين حزمي شعبيب
وقال أيضا

تبصر خليلي هل ترى ضوء بارق يضيء الدجا بالليل عن سرو حميرا
ومثل قوله (وقد أغتدى والطير في وكناتها)
قال :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل
وقال أيضا

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليدين قبيص
وقال أيضا

وقد أغتدى والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذب
وقال أيضا

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليدين قبيص
وقال أيضا

وقد أغتدى والطير في وكناتها لغيث من الوسمى رائده خال

وقد جاء قوله (وقد أغتدى) في قصائد أخرى
قال :

وقد أغتدى قبل الشروع بساجح أقب كيغفور الفلاة مجنب
وقال أيضا

وقد أغتدى ومعى القانصان وكل بمرأة مفتقر
وقال أيضا

وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق
ومثل قوله (له أيطلا ظي وساقا نعامة)
قال :

له أيطلا ظي وساقا نعامة وصهوة غير قائم فوق مرقب
وقال أيضا

له أيطلا ظي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تنقل
وقال أيضا

له قصر يا غير وساقا نعامة كفحل الهجان يتنحى للغضيب
ومثل قوله (كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب)
قال :

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مخضب
وقال أيضا

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مفرق

وقال أيضا

كأن دماء الهاديات بنحره تصارة حناء بشيب مرجل
ومثل قوله (ضليع إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض)
قال

ضليع إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأصهب
وقال أيضا

ضليع إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأعزل
ومثل قوله (على الآين جياش)
قال

على الآين جياش كأن سراته على الضمر والتمعاء سرحة مرقب
وقال أيضا

على الآين جياش كأن امتزاه إذا جاش فيه حميه غلي مرجل
ومثل قوله (فعادى عدا بين ثور ونعجة)
قال

فعادى عدا بين ثور ونعجة وبين شبوب كالهضيمة قرهب
وقال أيضا

فعادى عدا بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
وقال أيضا

فعاديت منه بين ثور ونعجة وكان عدائي إذر كبت على بالي

ومثل قوله (فدع ذا وسل الهم عنك بحسرة)
قال

فدع ذا وسل الهم عنك بحسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا
وقال أيضا

فدع ذا وسل الهم عنك بحسرة مداخلة صم العظام أصوص
ومثل قوله (بمنجرد قيد الاءوابد)
قال

بمنجرد قيد الاءوابد هيكل

وقال أيضا

بمنجرد قيد الاءوابد لاحة طراد الهوادي كل شأ ومغرب
وقد جاء قوله (بمنجرد) في مواضع أخرى
قال

بمنجرد عبل الالدين قبيض

وقال أيضا

بمنجرد عبل الالدين قبيض

ومثل قوله (ألاب رب يوم)

قال

ألاب رب يوم صالح قد شهدته بناذف ذات التل من فوق طرطرا
وقال أيضا

ألا رب يوم لك منهم صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل
ومثل قوله (إذا قامتا تضوع المسك منهما)
قال

إذا قامتا تضوع المسك منها نسيم الصبا جاءت برىا القرنقل
وقال أيضا

إذا قامتا تضوع المسك منها برائحة من اللطيمة والقطر
ومثل قوله (ألا عم صباحا)
قال

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
وقال أيضا

ألا عم صباحا أيها الربع فانطق وحدث حديث الركب إن شئت فاصدق
ومثل قوله (فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد)
قال

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد الغلام ذى القميص المطوق
وقال أيضا

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم فى العشيرة مخول
ومثل قوله (قفانبك من ذكر حبيب)
قال

قفانبك من كرى حبيب ومترار بسقط اللوى بين الدنول فجول

وقال أيضا

قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم خلت آياته منذ أزمان
ومثل قوله (وواد بجوف العير قفر)
قال .

وواد بجوف العير قفر مضلة قطعت بسام ساهم الوجه حسان
وقال أيضا

وواد بجوف العير قفر قطعت به الذئب يعوى كالخليع المعيل
ومثل قوله (وأضحى يسح الماء)
قال

وأضحى يسح الماء حول كتيفة يكب على الأذقان دوح الكنهيل
وقال أيضا

فأضحى يسح الماء عن كل فيقة يحور الضباب من صفاف بيض
ومثل قوله (ذعرت به سربا نقيا جلوده)
قال

ذعرت به سربا نقيا جلوده كما ذعر السرحان جنب الريض
وقال أيضا

ذعرت به سربا نقيا جلوده وأكرعه وشى البرود من الخال
ومثل قوله (مكر مفر مقبل مدبر معا)
قال

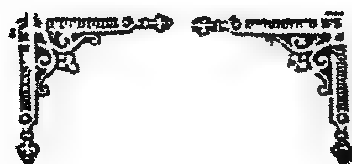
مكر مفر مقبل مدبر معا بجلود صخر حطه السيل من عل
وقال أيضا

مكر مفر مقبل مدبر معا كتيس ظباء الحلب العدوان
ومثل قوله (فيارب مكروب كررت وراءه)
قال

فيارب مكروب كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا
وقال أيضا

فيارب مكروب كررت وراءه وعان فككت الغل عنه فقداني
وغير ذلك مما يظهر عند تصفح كلامه

ولعل هذا وأشباهه مما أعجب به امرؤ القيس أو انفرد به وكان له فيه
سابقة الابتداع فهو لا يزال يردده في قصائده ويلح عليه بالاستعمال ويستقهي
في استخراج صور متعددة منه حتى يثبته ويقرره



حول أوهام الدكتور طه

إنما تتعرض في هذا الباب للرد على الدكتور طه فيما يتعلق
بامرىء القيس فقط أما ما عدا ذلك فليس له دخل معنا في بحثنا ولا يس
موضوعنا في شيء وعلى ذلك فنحن لا نتصدى للدكتور إلا من ناحية
امرىء القيس وحدها

وأول ما بدأ به الدكتور كلامه عن امرىء القيس قوله « من
امرىء القيس ؟ أما الرواة فلا يختلفون في أنه رجل من كندة ولكن من
كندة ؟ لا يختلف الرواة في أنها قبيلة من قحطان ، وهم يختلفون بعض
الاختلاف في نسبها وتفسير اسمها وفي أخبار ساداتها ولكنهم على كل حال
يتفقون على أنها قبيلة يمانية وعلى أن امراً القيس منها ، ثم حام الدكتور
بعد ذلك حول اختلاف الرواة في نسب قبيلة كندة وفي تعدد أسماء
امرىء القيس وألقابه وكنياته وأسماء أبيه وأمه وألقابهما ؛ وزيادة بعض
الأسماء في سلسلة نسبه أو سقوطها . حام حول ذلك ليجعله سيلاً موصلاً
لتأييده في شكوكه وأوهامه . ولكن ابن خلدون قد كفانا الرد عن
هذه الواقعة فإنه عقد فصلاً خاصاً في مقدمته تحت عنوان « فصل في
اختلاف الأنساب كيف يقع ، ذكر فيه أن بعضاً من أهل الأنساب
يسقط إلى أهل نسب آخر بقراءة إليهم أو حلف أو ولاء ... فيدعى
بنسب هؤلاء ويعد منهم ... ثم إنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمن

ويذهب أهل العلم به فيخفى على الأَكْثَر وما زالت الأَنْساب تسقط من شعب إلى شعب ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والأَسْلام والعرب والعجم وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك شيء من ذلك ... ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود

أما تعدد الأسماء والألقاب لشخص واحد فهذا كثير الوقوع في كل عصر وزمن . ومهما يكن من أمر الدكتور فإنه لم يمكنه أن يذكر وجود امرئ القيس ولم يشك في هذا بل إنه رجح ثم أيقن أن ذلك الشاعر قد وجد حقا فإنه قال « ولعل هذا وأشباهه من الخلط في حياة امرئ القيس أوضح دليل على ما نذهب إليه من أن امرأ القيس إن يكن قد وجد حقا ونحن نرجح ونسكاد نوقن به [أى بوجوده] ... » وأيقن أيضا أن امرأ القيس عاش ووجد في الجزيرة العربية أيام الجاهلية فإنه قال « امرؤ القيس الذي مهما يتأخر فقد مات قبل النبي والذي نرى نحن أنه عاش قبل القرن السادس وربما عاش قبل القرن الخامس أيضا ، وفي هذا اعتراف صريح من الدكتور بأن امرأ القيس وجد في الجزيرة العربية وضرب على أقدامه فيها واستنشى نسيم الحياة بين ربوعها ومعالمها . أما عن نقطة الشك في تاريخ ميلاده فإني في قول رينان « إن امرأ القيس أقدم شعراء المعلقات ولد حوالي سنة ٥٠٠ م » وفي قول لويس شيخو صاحب شعراء النصرانية إنه ولد سنة ٢٥٠ م وفي قول بعض المؤرخين^١ إنه مات سنة ٥٦٥ م في كل ذلك ما يكفي لاثبات أن امرأ القيس ولد في أوائل

١ ويقول نيكلسون إنه مات سنة ٥٤٠ م

القرن السادس وعاش فيه ويبطل ما ذهب إليه الدكتور من أن امرأ القيس ربما عاش قبل القرن الخامس ويؤيدنا في ذلك أيضا ما ذكره الأستاذ نولدكي في دائرة المعارف البريطانية فإنه قال : أقدم شعراء المعلقات على الأرجح امرؤ القيس المحسوب أمير الشعر العربي ولا يعلم زمانه بالتحديد ولا كتبه كان في النصف الأول من القرن السادس وهو من بني كندة الذين زال ملكهم بموت الملك الحارث بن عمرو سنة ٥٢٩ ميلادية.

واعترف الدكتور أيضا بأن له أثرا فيما بروى من شعره قال : فنحن نقبل أن امرأ القيس هو أول من قيد الأوابد وشبه الخيل بالعصى والعقبان وما إلى ذلك وأكبر الظن أن هذا الوصف الذي نجده في المعلقة وفي اللامية الأخرى فيه شيء من ربح امرئ القيس ،

وقال أيضا : ولعل أحق الشعر بالعناية قصيدتان اثنتان

الأولى قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

والثانية ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي

فأما ما عدا هاتين القصيدتين فالضعف فيه ظاهر والاضطراب فيه بين والتكلف والأسفاف يكادان يلبسان باليد ،

فالدكتور يسلم بصحة نسبة هاتين القصيدتين إلى امرئ القيس لأنه خصهما بالعناية وقال إن ما عداهما من شعره ظاهر الضعف والاضطراب والتكلف ومعنى هذا أن هاتين القصيدتين لا ضعف فيهما ولا اضطراب ولا تكلف وإذا كانتا كذلك فالمعنى أن نسبتكما صحيحة إلى امرئ القيس

ونحن نسجل على الدكتور الاعتراف بهاتين القصيدتين من شعر ذلك الشاعر وإن كان قد حاول بعد ذلك أن يدخلهما ضمن دائرة شكه أما عن قول الأستاذ الدكتور إن ماعدهما ظاهر الضعف والاضطراب فأن الدكتور لو تفكر قليلا لرأى أن هناك ما يدعو أن يكون بعض ماعدهما ضعيفا مضطربا وقد رأيت أيها القارئ رأينا في ذلك عند الكلام على شعر امرئ القيس فقد قسمناه إلى طورين طور الشباب وهو فيه أبلغ ما يكون وقد مثل ذلك الطور شعر المعلقة والقصيدة الثانية (ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي) وطوره بعد مقتل أبيه وقد عرت شاعريته في هذا الطور فتور وضعف وقد بينا سبب ذلك في حينه

وقد عرج الأستاذ في حديثه على كثرة الآراء النيابية ونظرية كروية الأرض في موضع الكلام على الترجيح بالكثرة فيما لا يمكن الوصول إليه إلا من طريق الرواة واطمأن إلى أن الكثرة في العلم لا تغني شيئا وتناسى الدكتور أن المعلوم ينقسم إلى معقول كالمسائل الرياضية وهذه لا يمكن إدراكها إلا من طريق العقل وقسم آخر من أقسام المعلوم وهو المشاهد كالألوان . والمعقول يكتسب بالأدلة النظرية فلا يترجح فيه رأى الاكثرية على الأقلية وفي بعض الأحيان تكون الأقلية على حق والاكثرية على باطل . أما المشاهد الذي يدرك بالحواس فأن كان المخبر به جمعا كثيرا استوفوا شرط التواتر فأن العلم الحاصل من خبرهم يكون يقينا ويسقط بجانبه خبر الأقلية بلا نزاع فأن كانت الاكثرية لم تستوف

شرط التواتر ترجح خبر أصدقهما وأنبيهما حتى ولو كانت الأقلية فإن لم يستوف "الفريقان شرط التواتر وتساويا صدقا ونباهة فالأكثرية هي الراجحة ومسألة امرئ القيس داخله في المشاهد وقد تواترت الروايات على أنه وجد حقا وأنه قال شعرا وتحدث بذلك الشعر الرواة وينو ما هو مصنوع منحول منه وما لاشك فيه ولا احتمال ونحب أن نقول للدكتور أيضا إنه تناسى في هذه النقطة نفسها أن الحقائق تنقسم إلى قسمين حقيقة مجردة وحقيقة تاريخية ، فالحقيقة المجردة صادقة في نفسها وكنها ولا يمكن أن يتطرق الكذب إليها ولا أن تتحمله بحال من الأحوال فهي بعيدة كل البعد عن الشك ولا يمكننا إلا التسليم بها على أنها صادقة واضحة ومثالها الواحد نصف الاثنين ، والحقيقة التاريخية في نفسها صادقة لأنها ظهرت في عالم الوجود وتحدث بها الناس ودونها التاريخ وقد تكون هذه الحقيقة كاذبة لكنه وقد تكون صادقة لكنه فالكاذبة كأنكار كروية الأرض فذلك النظرية حتمية تاريخية قال بها قوم في عصر من العصور وحدثنا التاريخ عنها فهي من هذه الناحية صادقة ولكنه في كنها باطلة كاذبة إذ ثبت أن الأرض كروية خلافا لزعم المنكرين . أما الحقيقة التاريخية الصادقة لكنه فهي كوجود امرئ القيس فقد تحدث التاريخ عن وجود هذا الشاعر في الجزيرة العربية وقد وجد هذا الشاعر حقا واعترف الدكتور بذلك ومثل تلك الحقيقة الأخيرة حقيقة وجود امرئ القيس يمكن إدخالها ضمن دائرة الحقيقة المجردة لأنها لا تتحمل الكذب لافي

نفسها ولا في كتبها - فلا معنى لأن يسوى الأستاذ بين الحقيقة المجردة
وغيرها ابتغاء أن يصل إلى إنكار شعر امرئ القيس وقصته التاريخية
أما ما أراد أن يستند إليه الدكتور في إنكار قصة امرئ القيس فهو
تعرضه لذكر أسيرة الأشعث بن قيس فقد قال : وهنا يحسن أن نلاحظ
أن الكثرة من هذه الأساطير والأحاديث لم تشع بين الناس إلا في عصر
متأخر في عصر الرواة المدونين والقصاص فأكبر الظن إذا أنها نشأت في
هذا العصر ولم تورث عن العصر الجاهلي حقا وأكبر الظن أن الذي أنشأ
هذه القصة ونماها إنما هو هذا المكان الذي احتلته قبيلة كندة في الحياة
الاسلامية منذ تمت للنبي السيطرة على البلاد العربية إلى أواخر القرن
الأول للهجرة . فنحن نعلم أن وفدا من كندة وفد على النبي وعلى رأسه
الأشعث بن قيس . ونحن نعلم أن هذا الوفد طلب - فيما تقول السيرة -
إلى النبي أن يرسل معهم مفسقا يعلمهم الدين ونحن نعلم أن كندة ارتدت، بعد
موت النبي وأن عامل أبي بكر حاصرها في النجير وأنزلها على حكمه وقتل
منها خلقا كثيرا وأوفد منها طائفة إلى أبي بكر فيها الأشعث بن قيس
الذي تاب وأتاب وأصهر إلى أبي بكر فتزوج أخته أم فروة وخرج - فيما
يزعم الرواة - إلى سوق الأبل في المدينة فاستل سيفه ومضى في إبل السوق
عقرا ونحرا حتى ظن الناس به الجنون ولكنه دعا أهل المدينة إلى الطعام
وأدى إلى أصحاب الأبل أموالهم وكانت هذه المجزوة الفاحشة وليمة عرسه
ونحن نعلم أن هذا الرجل قد اشترك في فتح الشام وشهد مواقع المسلمين في
حرب الفرس وحسن بلاؤه في هذا كله وتولى عملا لعثمان وظاهر عليا على

معاوية وأكره علياً على قبول التحكيم في صفين . ونحن نعلم أن ابنه محمد بن الأشعث كان سيداً من سادة الكوفة عليه وحده اعتمد زياد حين أعياه أخذ حجير بن عدي الكندي ونحن نعلم أن قصة حجير بن عدي هذا وقتل معاوية إياه في نفر من أصحابه قد تركت في نفوس المسلمين عامة واليمنيين خاصة أثراً قوياً عميقاً مثل هذا الرجل في صورة الشهيد . ثم نحن نعلم أن حفيد الأشعث بن قيس وهو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قد ثار بالحجاج وخلع عبد الملك وعرض آل مروان للزوال وكان سبباً في إراقة دماء المسلمين من أهل العراق والشام وكان الذين قتلوا في حروبه يحصون فيبلغون عشرات الألوف ثم انهزم فلبجأ إلى ملك الترك ثم أعاد الكرة فتنقل في مدن فارس ثم استيأس فعاد إلى ملك الترك ثم غدر به هذا الملك فأسله إلى عامل الحجاج ثم قتل نفسه في طريقه إلى العراق ثم اجتزر رأسه وطوف به في العراق والشام ومصر

أفتظن أن أسرة كهذه الأسرة الكندية تنزل هذه المنزلة في الحياة الإسلامية وتؤثر هذه الآثار في تاريخ المسلمين لا تصطبغ القصص ولا تأجر القصاص لينشروا لها الدعوة ويزيعوا عنها كل مامن شأنه أن يرفع ذكرها ويبعد صوتهما ؟ بلى ! ويحدثنا الرواة أنفسهم أن عبد الرحمن بن الأشعث اتخذ القصاص وأجرهم كما اتخذ الشعراء وأجزل صلتهم كان له قاص يقال له عمر بن ذر وكان شاعره أعشى همدان

فما يروى من أخبار كندية في الجاهلية متأثر من غير شك بعمل هؤلاء

القصاص الذين كانوا يعملون لآل الأشعث . وقصة امرئ القيس بنوع خاص تشبه من وجوه كثيرة حياة عبد الرحمن بن الأشعث فهي تمثل لنا امرأ القيس مطالباً بثأر أبيه . وهل ثار عبد الرحمن عند الذين يفهمون التاريخ إلا منتقماً لحجر بن عدى وهي تمثل لنا امرأ القيس طامعاً في الملك وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث يرى أنه ليس أقل من بنى أمية استهالاً للملك وكان يطالب به وهي تمثل لنا امرأ القيس منتقلاً في قبائل العرب وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث منتقلاً في مدن فارس والعراق . وهي تمثل امرأ القيس لاجئاً إلى قيصر مستعيناً به . وقد كان عبد الرحمن ابن الأشعث لاجئاً إلى ملك الترك مستعيناً به . وهي تمثل لنا أخيراً امرأ القيس وقد غدر به قيصر بعد أن كاد له أسدى في القصر . وقد غدر ملك الترك بعبد الرحمن بعد أن كاد له رسل الحجاج . وهي تمثل لنا بعد هذا وذاك امرأ القيس وقد مات في طريقه عائداً من بلاد الروم وقد مات عبد الرحمن في طريقه عائداً من بلاد الترك

أليس من اليسير أن نفترض بل أن نرجح أن حياة امرئ القيس كما يتحدث بها الرواة ليست إلا لونا من التمثيل لحياة عبد الرحمن استحدثه القصاص لإرضاء لهوى الشعوب اليمنية في العراق واستعاروا له اسم الملك الضليل اتقاء لعمال بنى أمية من ناحية واستغلالاً لطائفة يسيرة من الأخبار كانت تعرف عن هذا الملك الضليل من ناحية أخرى ، اه بنصه

ونلاحظ على الدكتور فيما سبق أن التاريخ حدثه بقصة امرئ القيس وحدثه بقصة عبد الرحمن بن الأشعث فأمن بالتانية وجعل الأولى لونا

من التمثيل لحياة عبد الرحمن ولا ندرى السبب الذي حفز الدكتور إلى هذا
لجعله يكذب التاريخ حيناً ويصدقه حيناً آخر ، وفات الدكتور حين ظن
اختلاق قصه امرى القيس أن التاريخ يعيد نفسه وأنه كله حوادث متشابهة
وقد وقع للدكتور فيما قاله شيء من التحوير فأنه ذكر أن الأشعث بن
قيس هو الذي أكره علياً على قبول التحكيم والحقيقة غير ذلك فإن الأشعث
وإن كان قد تكلم مع علي بشأن قبول التحكيم إلا أن الذي أكرهه علي ذلك
هم القراء الذين كانوا معه حين انخدعوا برفع المصاحف من جيش معاوية
ويقول الدكتور أيضاً إن محمد بن الأشعث عليه وحده اعتمدت ياد حين
أعياه أخذ حجر بن عدى الكندي ، وزيد بن أبي سفيان لم يعتمد علي محمد
ابن الأشعث في أخذ حجر بن عدى ، كما يقول الدكتور بل قال لمحمد
والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها ولا داراً إلا هدمتها ثم
لا تسلم مني حتى أقطعك إرباً إرباً ثم أمهله ثلاثاً وأرسله إلى السجن فخرج
محمد منتقع اللون يتل تليلاً عنيفاً (يسحب من عنقه) أفشل هذا الرجل
يقول فيه الأستاذ عليه وحده اعتمدت ياد ، أم هي سنة العرب في
أخذ سيد بسيد والاستفادة من رجل برجل واستفزاز الحمية والأباء في
نفس من يفوتهم هرباً لكيلا يظلم فيه غيره . فأنه إذا عرف من أخذ به
أسلم نفسه

والدكتور بعد أن قال إن زياً اعتمد علي محمد بن الأشعث في
أخذ حجر بن عدى يقول بعد ذلك هل ثار عبد الرحمن بن محمد عند من

يُتهمون التاريخ إلا متتبعاً للحجر ؟ . أفليس الأقرب إلى الصواب أن يشور
عبد الرحمن متتبعاً لأهاته والده ؟

. ويقول الأستاذ أيضاً إن كندة اصطنعت القصاص لينشروا لها الدعوة
ويدعى أن الرواة أنفسهم يحدثوننا أن عبد الرحمن اتخذ القصاص وكان
له قاص اسمه عمر بن ذر . ونحن نريد أن نعلم من من الرواة تحدث بذلك ولعل
الأستاذ الدكتور اطالع على ما قاله الطبري في تاريخه فتأول فيه فقد قال
الطبري : قال أبو مخنف حدثني عمرو بن ذر القاص أن أباه كان معه هناك
(في بلاد الترك) وأن ابن محمد (عبد الرحمن) كان ضربه وحبسه
لأنقطاعه إلى أخيه القاسم فلما كان من أمره الذي كان من الخلاف (أى
الثورة على الحجاج وخلع عبد الملك) دعاه فخلعه وكساه وأعطاه فأقبل
فيمن أقبل وكان قاصاً خطيباً ، فالعبارة صريحة في أن عمراً (لا كما يقول
الدكتور عمر) كان قاصاً وأن أباه كان قاصاً خطيباً وأنهما كانا في بلاد
الترك يقاتلان كما يقاتل قراء البصرة والكوفة - حتى أن أقوى كتائب
عبد الرحمن كانت كتيبة كل جند لها من القراء والعلماء . وأن عبد الرحمن
كان ضرب ذرا وحبسه لأنقطاعه إلى أخيه القاسم فلما احتاج إلى المقاتلة دعاه
فخلعه يعنى فأركبه وجعله من فرسانه لا من قصاصه فمن أين يؤخذ أن
عمراً بن ذر أو أباه ذرا كان قاصاً لعبد الرحمن بن الأشعث اتخذوه وأجره
ليضع له ولاسرته الأخبار كقصصه امرئ القيس وبخاعة إذا علمنا أن
الأب منهما ضرب وحبس

ولقد عقد الدكتور مشابهة بين امرئ القيس وعبد الرحمن بن الأشعث وزعم أن عبد الرحمن ثار منتقما لحجر بن عدى كما أن امرأ القيس قام مطالباً بأثر أبيه وذكر في وجه الشبه أن كلا منهما طامع في الملك متنقل في البلاد يستعين بملك ، امرؤ القيس بقيصر وعبد الرحمن بملك الترك وأن كلا منهما غدر به الملك الذي التجأ إليه

ونحن نلقى عليك قصة عبد الرحمن بن الأشعث في حدود الاختصار والايجاز مع عدم الإخلال لتعلم أن بينها وبين قصة امرئ القيس فرقا كبيراً وأمدأ بعيداً

يذكر المؤرخون أن الحجاج كان يبغض عبد الرحمن بن الأشعث ويقول ما رأيته قط إلا أردت قتله وكان عبد الرحمن يعرف هذه السريرة من الحجاج ويقول أنا أزيله عن سلطانه . وكان الحجاج واليا على العراق وخراسان وسجستان فجهز جيشا لغزو بلاد رتبيل ملك الترك وبعثه تحت راية عبد الرحمن . فسار عبد الرحمن بالجيش حتى دخل في طرف من بلاد رتبيل ثم عقد الرأي مع الجيش على أن يرجئوا التوغل في البلاد إلى العام المقبل وبلغ الحجاج ما عزم عليه عبد الرحمن من هذا التأخير فأمره بالمضى في سبيل الفتح وهدده بالعزل إذا هو لم يفعل فاستمر عبد الرحمن والجيش الذي تحت قيادته بخلع الحجاج ثم نادوا بخلع عبد الملك أيضا وبايعوا عبد الرحمن وأقبلوا إلى العراق . ثم دارت رحى الحرب بين عبد الرحمن والحجاج وكانت عاقبتها أن انقلب عبد الرحمن منهزما إلى

سجستان ولحق بكرمان فلقى بها من عامله عليها نزلا مهيثا ثم رحل إلى زرنج فتكر له عامله هنالك وأغلق باب المدينة دونه فانصرف إلى بست وكان عامله عليها عياض بن هيمان فاستقبله ثم أوثقه في غفلة من قومه لينال به عند الحجاج قريبا وسلاما وكان رتييل قد ركب لاستقبال عبد الرحمن فنزل على بست وهدد عياضا فأطلق سبيل عبد الرحمن وحمله رتييل إلى بلاده وأنزله في جواره وأكرم مشواه ولكن الحجاج تتابعت كتبه ورسائله إلى رتييل كي يبعث إليه بعبد الرحمن وكان من أثر هذه الكتب وماتحهله من ترغيب وترهيب أن بعث رتييل بعبد الرحمن مقيداً إلى عمارة بن تميم ليضعه في يد الحجاج فرمى عبد الرحمن بنفسه من سطح قصر فهلك أو مات مسلولا واجتزأ رأسه بعد ذلك وأرسله عمارة إلى الحجاج

وإنا انرى في عرض هذه القصة على وجهها التاريخى ما يكفى لنقض ما يدعيه الدكتور طه من المشابهة بينها وبين قصة امرئ القيس ومن أن قصة امرئ القيس موضوعة رمزاً لها

وأول ما يخطر لنا أن عبد الرحمن بن الأشعث لم يقم للاخذ بثأر حجر بن عدى ونستبعد ما يدعيه الدكتور من قيام عبد الرحمن مطالباً بثأر حجر لأن القرابة بينهما لم تكن من الشدة بحيث تحمل عبد الرحمن على الخوض في محاربة دولة ذات شركة انتقاماً منها لذلك القرابة فإن عبد الرحمن إنما لاقى بحجر في الأب الخامس وهو معاوية بن جندب ويضاف إلى هذا أن القاتل لحجر معاوية بن أبى سفيان وصاحب الدولة

يوم ثورة عبد الرحمن إنما هو عبد الملك بن مروان ويزاد على هذا أن قتل معاوية لحجر كان في سنة ٥١ هـ وثورة عبد الرحمن على عبد الملك كانت في سنة ٨١ هـ . وثلاثون سنة تمر على الحادثة من شأنها أن تخفف من تغيظ النفس لها إلى حد ألا يبقى فيها من أثر الغيظ ما يدفع إلى اقتحام الأهوال والمخاطرة بالحياة في فتنة عمياء.

ويبدو لنا بعد هذا أن ابن الأشعث إنما طلب الملك بالجيش الذي كان تحت قيادته ولم يستعن على طلبه بملك كما يدعى الدكتور وكل الذي وقع من رتبيل أنه استقبله بعد عودته مهزوما يائسا من الملك الذي طامع فيه ولم يرج منه ابن الأشعث أكثر من أن يحميه ويؤامنه من سطوة الحجاج ثم إن ابن الأشعث إن طاب الملك فأنما هو طامع فيه يطلبه ظلما وعدوانا ولكن امرأ القيس ما كان مغتصبا ولا ظالما وإنما كان يطلب ميراث أبيه وعرش أجداده . وابن الأشعث أيضاً ليس شاعراً ولا ابن ملك ولا قتل أبوه فخرج يطلب ثأره خلافا لأمراء القيس الذي كان شاعرا وابن ملك وقتل أبوه فقام يطالب بدمه وماله . وابن الأشعث لم يكن في سيرته متفحشا ولا متعبرا كأمراء القيس فإذا قابلته القصاص برجل فلن يكون هذا الرجل امرأ القيس في تبطله وفحشه . وابن الأشعث لم يكده له رسل الحجاج عند ملك الترك كما أدعى الدكتور ولئن كان أحد قد كاده عند هذا الملك فأنما هو رجل تميمي من بطانة ابن الأشعث نفسه وليكن امرأ القيس كد له رسول الأسديين عند قيصر وما كان هذا الراشي من

بطانة امرئ القيس . وابن الأشعث لم ينتقل في مدن فارس والعراق
مستنصرا مستجيشا كما فعل امرؤ القيس في قبائل العرب التي تناوحت بركابه
أحياءها بل كان عبد الرحمن بن الأشعث محاربا يرحل بالجيش وينزل
بالجيش . وابن الأشعث إما أنه مات منتحرا أو مسلولا واجتز رأسه
خلفا لامرئ القيس الذي تقرح بدنه من حلة قيصر أو من الجدرى
— وهو الصحيح عندي — ولم يجتز رأسه . وابن الأشعث طوف بجثته في
الآفاق بعد موته ومثل بها وامرؤ القيس دفن مهيبا محترما وأمر قيصر
بأقامة تمثال له ينصب على قبره . فأين إذا ابن الأشعث من امرئ القيس
وما دخل هذا في ذلك . فضلا عن أنه ليس من الفخر الكندة أن تختاق
قصة امرئ القيس الذي كان طريدا شريدا فاحشا عاجزا ضائعا ضليلا ولو
كان الحديث متحلا اصطنعه الكاذبون الوضاع الذين يريدون مجدا وسيادة
لكان هناك ما يدعو هؤلاء الكاذبين إلى اختراع قصة من أولها إلى خاتمتها
تعطى صاحبها وقومها شرفا ومجدا وسيادة لا أن تكون لهم عجزا وسبة
ثم كيف يخاف القصاص من عمال بني أمية ؟ فيحملهم هذا الخوف
على أن ينتحلوا قصة امرئ القيس ويضعوها رمزا لقصة ابن الأشعث
ويلفقوا هذا التلفيق البعيد ويضعوا هذه القصة المخزية التي لم تكسبهم شرفا
بل زادتهم سبة وعجزا على أنهم يرون المؤرخين يذكرون خبر ابن الأشعث
ويقصون حروبه . وهل كانت دولة بني أمية من الضعف بالمنزلة التي تخاف
فيها ابن الأشعث ميتا ؟ وهي التي كسرت حماثا في مائة ألف مقاتل . ولو

قد خاف القصاص عمال بنى أمية لخافوهم فى الحسين بن على وفى عبد الله بن الزبير اللذين كانا يطلبان الخلافة ، ولو قد خافوهم لخافهم المؤرخون أيضا وما وصلت إلينا قصة ابن الأشعث . وإن كان القصاص قد وضعوا قصة امرئ القيس إرضاء لهوى الشعوب اليمنية فأين كانت أسد وكنانة وتغلب وبكر ؟ وكل هؤلاء لم يكن يهمهم أن يماثلوا كندة فى الإسلام على ما اخترعت من قصة فيها نيل كبير من أنفسهم ومساس بعصبيتهم تلك العصبية التى استند إليها الدكتور فيما ذهب إليه من أن كندة اخترعت قصة امرئ القيس وما يتصل بها من الشعر ، فهل كان لليمنيين عصبية يختلقون لها القصص التى لها مساس بعصبية غيرهم ولم يكن لسواهم عصبية يدافعون عنها . نحن نرى أن قصة امرئ القيس لو لم تكن حقا يعرفها الناس ويحفظها الرواة قبل أن يولد ابن الأشعث والحجاج لقام بنو أسد وبنو كنانة وكذبوا كندة فى قصتها ورموها بالافتك والاختلاق

وبعد أن خرج الدكتور من قصة ابن الأشعث ومقابلتها بقصة امرئ القيس قال « ستقول وشعر امرئ القيس ما شأنه وما تأويله ؟ » وذكر أن شأنه يسير وتأويله أيسر وقسم ذلك الشعر إلى قسمين أحدهما يتصل بالقصة التى أشار إليها وشأنه شأنها من الالتحال وثانيهما لا يتصل بتلك القصة وإنما يتناول فنونا من القول مستقلة من الأهواء السياسية والحزبية

وقد رددنا فيها مضمي رأى الدكتور فى الالتحال القصة . وقد تضافرت

آراء المؤرخين على وجود شاعر جاهلي في الجزيرة العربية اسمه امرؤ القيس ابن حجر وأن له شعرا يدور على السنة الرواة والدكتور نفسه اعترف وأيقن بوجوده التاريخي . أما هذا الشعر المضاف إلى امرئ القيس فقد نقده العلماء وبنوا ما هو منحول مصنوع وارتابوا في قصائد بحملتها فردوها ونهبوا عليها ويكفي أن تطلع على ديوانه في كتاب العقد الثمين لترى القصائد والأشعار التي نبه على انتحالها واصطناعها ولترى أيضا القصائد التي سلمت له وصحت نسبتها إليه . وفي الحق أن الأقدمين نقدوا شعر امرئ القيس وغيره من شعراء الجاهلية جهد المستطاع فردوا ما قام الدليل على اصطناعه وكفوا عن البقية لأنها جاءت عن طريق الثقة . ولقد روى شعر امرئ القيس أبو عمرو بن العلاء والأصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم جاء أبو سعيد السكري وربط جميع هذه الروايات وضبطها . وأعاد مراجعته وضبطه بعد سعيد راويتان هما العباس الاحول وابن السكيت . ورواه أيضا أبو عبيدة . وكل هؤلاء من ثقة الرواة الذين لا يمكن الطعن عليهم ولا تجريحهم وهم فوق ذلك أذكاء وجدا أذكاء لا تخفى عليهم خافية في نقد الشعر وبيان المنحول منه من غير المنحول فائن جاز عند إنسان أن شك في شيء من أشعار الجاهلية لي يكون امرؤ القيس آخر من يتطرق إليهم الشك أو تتصل بحياتهم التهمة والدكتور قد افترض أن هذا الشعر شأنه شأن القصة وقد علمنا مقدار ما ذهب إليه الدكتور ورددنا ادعائه في انتحال القصة وبما أنه

اعتبر انتحال هذه القصة مقدمة لرفض الشعر المتعلق بها فإذ كانت المقدمة باطلة غير واقعة كانت النتيجة أيضا باطلة غير صحيحة . فالقصة صحيحة والشعر المتعلق بها صحيح النسبة إلى امرئ القيس كذلك . أما عن ذهاب امرئ القيس إلى قيصر فليست الروايات العربية وحدها تذهب إلى أن امرأ القيس رحل إلى القسطنطينية مستنجدا بملك الروم علي بنى أسد فأن مؤرخي الروم أنفسهم ذكروا أحاديث هذا الشاعر في كتبهم ونحن نتقل لك عن كتاب شعراء النصرانية فإنه قال « وقد جاء ذكر امرئ القيس في تواريخ الروم مثل نونوز وبروكور وغيرهما وهم يسمونه قيسا وقد ذكروا أنه قبل وروده على قيصر يوستنيان أرسل إليه وفدا يطلب منه النجدة على بنى أسد وعلى المنذر ملك العراق » ثم قال ناقلا عن هؤلاء المؤرخين الرومانيين أيضا « إن امرأ القيس لم يلبث أن سار بنفسه إلى القسطنطينية فرغبه قيصر ووعدته وقد ذكر نونوز المؤرخ أن يوستنيان قلده إمرة فلسطين إلا أنه لم يسع في إصلاح أمره وإعادةه إلى ملكه فخرج امرؤ القيس وعاد إلى بلده وكانت وفاته سنة ٥٦٥ م أصابه مرض كالجدري في طريقه كان سبب موته »

وقال الأستاذ نيكلسون في كتابه تاريخ آداب العرب « كان حبرا أو امرئ القيس ملكا على بنى أسد في أواسط بلاد العرب لكنهم عصوا عليه وقتلوه ولم يستطع امرؤ القيس أن يأخذ بنأره منهم لأن الملك المنذر انتصر لهم فتوجه امرؤ القيس إلى القسطنطينية وأكرم الإمبراطور يوستنيانوس

وفادته لأنه كان يود أن يعيد مملكة كندة لتكون شوكا في جنب الفرس
وجعله أميرا على فلسطين لكنه توفي في أنقرة وهو ذاهب إليها وكان ذلك
سنة ٥٤٠ م ،

أما عن عجب الدكتور من أن امرأ القيس لم يؤثر عنه شيء في وصف
القسطنطينية فإذا لم يكن يكفيه قوله

تذكرت هندا وأترابها فأصبحت أزمعت منها صدودا
ونادمت قيصر في ملكه فأوجهنى وركبت البريدا
أو قوله حين توجه إلى قيصر

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا
ولمى زعيم إن رجعت مملكا يسير ترى منه الفرائق أزورا
لقد أنكرتني بملكك وأهلها ولا بن جريح في قرى حص أنكرا

إن لم يكن يكفي الدكتور هذا الشعر وما جاء فيه ويأبى إلا أن
يصف امرؤ القيس القسطنطينية وصفا جغرافيا مفصلا فنحن نحتاج
عليه بحادثة من هذا النوع وأن المتنبي جاء إلى مصر وعاش فيها وخالط أهلها
ومع ذلك فهو لم يصفها في شعره ولم يذكر شيئا عن قبائها وحصونها ومدنها
وأهرامها وما زاد إلا على أن ذكر في شعره لفظ « الهرمين » فقط كما ذكر
امرؤ القيس لفظ « قيصر » وهذا من ذاك . فضلا عن هذا أن امرأ القيس
لم يعيش طويلا بعد أن ورد القسطنطينية ولم يكن مع خيبة أمله بالذي

يتفرغ لقول الشعر ووصف مظاهر الروم ولو كان الأمر راجعاً إلى القصاص كما يفترض الدكتور وهم الذين قالوا هذا الشعر كله لو كان الأمر كذلك ما عجزوا عن أن يقولوا آياتاً يسدون بها هذا النقص الذي تخيله الدكتور .

وشبه بهذا العجب عجب أيضاً من أنه لم يؤثر عن امرئ القيس شيء فيما كان بين خاله مهلهل التغلبي وبين قبائل بكر من الوقائع وليس في هذا ما يدعو إلى العجب فقد قال الدكتور في موضع من كتابه «الأدب الجاهلي» إنه مقتنع بأن كثيراً من الشعر العربي الجاهلي قد ضاع واستند في ذلك إلى قول أبي عمرو بن العلاء «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير» ونحن نوافق الدكتور فيما استند إليه من قول أبي عمرو بن العلاء وفي هذا القول ما يتخذ حجة عليه فإنه من الجائز أن يكون امرؤ القيس قد قال في ذلك شعراً ولكنه ذهب بقتل الرواة الذين قتلوا في حروب الردة والفتن والفتوح زد على ذلك أن تلك الوقائع لم يشهدوها هو بنفسه وليس لعصيته فيها من أثر فمن اليسير أن نفهم أنه لا يهتم بأن يقول فيها شيئاً .

وتعرض الدكتور أيضاً للغة امرئ القيس فقال «كيف نظم الشاعر اليمنى شعره في لغة أهل الحجاز بل في لغة قريش خاصة . ستقول : نشأ امرؤ القيس في قبائل عدنان وكان أبوه ملكاً على بني أسد وكانت أمه من بني تغلب وكان مهلهل خاله فليس غريباً أن يصطنع لغة عدنان ويعدلي عن لغة اليمن

واكتنا نجعل هذا كله ولا نستطيع أن تثبته إلا من طريق هذا الشعر الذى ينسب إلى امرئ القيس ونحن نشك فى هذا الشعر ونصفه بأنه منتحل ، ونحن قد أبطنا للدكتور رأيه فى أن هذا الشعر منحول وأقمنا الأدلة على أنه لامرئ القيس وإذا ثبت من هذا الشعر أن ذلك الشاعر لغته هى لغة البلاد التى نشأ فيها وهذا ما يقره العقل ويدل عليه النقل . وإنى لأعجب من الدكتور أشد العجب فأنه لما رأى أن الحجة ستقوم عليه حاول أن يجد لنفسه مخرجاً فصدق الرواة وكذبهم فى آن واحد وليس ذلك من المنطق فى شيء . والنقيضان أو شبههما لا يجتمعان فأما أن يصدق الدكتور الرواة فى أن امرأ القيس يمانى النسب نزارى الدار والمنشأ وإما أن يكذبهم فى الأمرين جميعاً ، أما أنه يقسم قولهم إلى شطرين ثم يصدقهم فى شطر ويكذبهم فى شطر فذلك مالا يقره عليه إنسان . يقول له الرواة هو يمانى نشأ فى نجد فيؤمن لهم الدكتور بأنه يمانى ويأبى أن يقبل أنه نشأ فى نجد فهو يقول الرواة صادقون ولا صادقون أى كاذبون فى آن واحد وهذا نوع من المغالطة أخذ به الدكتور لحاجة فى نفسه والاستاذ فى هذا الموضع قد وقع له شيء من الخلط والتحوير أيضاً فأنه بعد أن قال : إن امرأ القيس يمانى ... وشعره قرشى اللغة لا فرق بينه وبين لغة القرآن فى لمظه وإعرابه وما يتصل بذلك من قواعد الكلام . ونحن نعلم ... أن لغة اليمين مخالفة كل المخالفة للغة الحجاز فكيف نظم الشاعر اليمين شعره فى لغة أهل الحجاز ؟ بل فى لغة قريش خاصة ؟ ، واستمر يتكلم إلى أن قال : وإذا فكيف نظم

امرو القيس اليمنى شعره في لغة القرآن مع أن هذه اللغة لم تكن سائدة في هذا العصر الذي عاش فيه امرؤ القيس ؟ وأعجب من هذا أنك لا تجد مطلقاً في شعر امرئ القيس لفظاً أو أسلوباً أو نحواً من أنحاء القول يدل على أنه يعني ، وكأني بالدكتور في قوله هذا لا يريد أن يفهم قول الرواة إن امرأ القيس يعني النسب ، نزارى الدار والمنشأ .

ويأتى لو جئنا إلى الدكتور بطفل أعجمى وتركناه ينشأ ويتعرع في بيئة عربية ألا يحس الدكتور بأن هذا الفتى لا يتكلم إلا اللغة العربية وأن لغة جنسيته تمحى من نفسه محو تاماً ولا يظهر لها أثر في كلامه . وليعلم الدكتور أن التعامل الأول في تكوين اللغة المحاكاة والتلقين فلا يأخذه العجب بعد ذلك إن وجد امرأ القيس ينشد شعره بلغة حجازية لأنها هي البيئة التي نشأ فيها والتي تلقى على يديها لغته . ومهما يكن من قيمة ماضى من قول الدكتور فإنه حين تناول في بحثه أبياتا من معلقة امرئ القيس رفض بعضها وقبل البعض الآخر مع العلم بأن الأبيات التي رفضها والتي قبلها كلها عدنانية قرشية . وهذا وجه الخلط في آرائه . رفض مثلاً هذين البيتين : -

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلـكل
وقبل البيت الذى يتلوها ورضى أن يكون صحيح النسبة إلى
امرئ القيس وهو :-

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما إلا صباح منك بأمثل
فلماذا قبل الدكتور هذا البيت ورفض الأولين؟ أهو يمتنى اللغة وهما
قرشيان؟ أفیه شيء يخالف لغة عدنان وقريش التي نزل بها القرآن من حيث
اللفظ والأسلوب والأعراب وما يتصل بذلك من قواعد الكلام أم وقعت
المعجزة وبلغ تأثر الشاعر بلغة عدنان أن بحيث لغته اليمنية من نفسه محواً
تماماً في هذا البيت فقط؟ أم كان قبول الدكتور لهذا البيت فلتة لم يردها
لأن في قبوله إياها نقضاً لما قاله أولاً . ونأخذ على الدكتور قوله إن لغة
القرآن - أي اللغة القرشية - لم تكن سائدة في العصر الذي عاش فيه
امرؤ القيس . ولعل هذا الوهم خالج الدكتور حين ظن أن امرأ القيس
ربما عاش قبل القرن الخامس ولا ندرى مقدار هذه القبيلة عند الدكتور
أهي عام أم أعوام وقرون؟ ولكننا قد أثبتنا أن امرأ القيس عاش في
القرن السادس وبعد هذا فنحن نلفت نظر الدكتور إلى الأسواق التي
كانت تقام في الجاهلية في أنحاء الجزيرة العربية والتي كانت تجتمع فيها
العرب للبيع والشراء ولتناشد الأشعار واللقاء الخطب والمفاخرات
والمنافرات وكل ما يتعلق بفنون القول نلفت نظره إلى ذلك وإلى أن اللغة التي
اتخذت في تلك الأسواق هي لغة قريش وقد أجمع المؤرخون جميعاً على ذلك
والسبب في هذا - كما قال أستاذي «هاشم» مدرس الأدب العربي بدار العلوم -
أن قريشاً في مكة وهي حاضرة العرب وطبيعي أن يكون سكان الأمصار أدنى إلى
منازل المدنية من غيرهم من أهل البدو ومن سكان الريف من القرى وأن يكونوا

أيضا ألطف أذهانا وأرق حاشية من هؤلاء وهؤلاء. وأنهم لهذا ولما خصهم الله به من كثير من المواهب كانوا على استعداد قوى لأصلاح لسانهم وتهذيب لغتهم بأخذهم من لغات القبائل الوافدة عليهم في مواسم الحج وفي هذه الأسواق الأدبية المطيفة بمكة حتى عذب أسلوبهم ورقت حواشي لغتهم وكانوا أهل بيت تعظمه العرب وتحبج إليه وتقيم فيه بين أظهرهم الأيام الطوال وكانت لهم وحدهم ولاية هذا البيت والحكومة بين العرب مع ما كانوا فيه من بسطة الغنى وثروة التجارة وقد أدى ذلك إلى تظاهر هذه الأسباب القوية لسيادة قريش التي بسطتها على العرب قبل الإسلام بعدة قرون وكان طبيعيا أن تنتقل هذه العذوبة القرشية إلى السنة القبائل المختلفة بحكم ما في الإنسان من الميل إلى تقليد الآخر ككل ونزوعه إلى التقرب من مظاهر الحضارة وكانت تجارة قريش في بلاد اليمن والشام وغيرها، وإذعان أهل هذه البلاد لما انبسط من نفوذ قريش ولما قوى من سيادتها قد دعا أيضا إلى تسرب هذا الأسلوب المذهب إلى تلك القبائل اليمنية بعد اندثار ملكهم وبعد ما عظم من أمر قريش وظهور الإسلام والعرب كافة في وحدة لسانية لا يشوبها إلا ما كان باقيا من الخلاف في اللهجات وصور النطق بالكلام وإذا فاللغة القرشية كانت لها السيادة على الجزيرة العربية ولو لم تكن لها السيادة قبل نزول القرآن لما تهيأت عقول العرب لقبوله وفهم أسرارهِ وإعجازه .

وقد عاد الدكتور بعد ذلك فقال : وهذا البحث ينتهي بنا إلى أن أكثر

هذا الشعر الذى يضاف لامرئ القيس لبس من امرئ القيس فى شيء ،
ومعنى هذا أن أقل الشعر الذى يضاف لامرئ القيس هو من
امرئ القيس فى شيء . وعلى ذلك يكون الدكتور قد ناقض نفسه فبيما هو
يذكر شعر امرئ القيس جملة فيما سبق من أقواله إذا به يعترف هنا
ببعض منه قليل

ثم أخذ الدكتور يذكر رأيه فى المعلقة وادعى أنه لا يعرف قصيدة
يظهر فيها التكلف والتعمل أكثر مما يظهر فى هذه القصيدة وذكر الدكتور
أن القدماء يشككون فى صحة هذين البيتين :-

ترى بعرا آم فى عرصاتها وقيعائها كأنه حب فلفل
كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرا الحى ناقف حنظل
وأنهم يشككون فى هذه الأبيات :-

وقربة أقوام جعلت عصامها على كاهل منى ذلول مرهل
وواد بجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوى كالحليع المعيل
فقلت له لما عوى إن شاءنا قليل الغنى إن كنت لما تمول
كلانا إذا مانال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل
ونحن نقول للدكتور إن نقد الرواة للقصيدة وتمييز هذه الأبيات
السته بالنحلة يدل على أن أصلها ثابت النسبة لامرئ القيس أكثر مما يدل
على انتحالها . وقال الدكتور : وهم بعد هذا يخافون اختلافا كثيرا فى
رواية القصيدة فى الفاظها وفى ترتيبها وبضعون ألفاظا مكان لفظ وبيتا مكان

يبت وليس هذا الاختلاف مقصورا على هذه القصيدة وإنما يتناول الشعر الجاهلي كله وهو اختلاف شنيع يكفى وحده لملنا على الشك في قيمة هذا الشعر وهو اختلاف قد أعطى للمستشرقين صورة سيئة كاذبة من الشعر العربي فخل إليهم أنه غير منسق ولا مؤتلف وأن الوحدة لا وجود لها في القصيدة أيضا ، وعندنا أن ما يقول به الأستاذ الدكتور دليل على عدم انتحال هذا الشعر في الأسلام فما الذي اضطر المتحايين إلى اصطناع ذلك الشعر بلا وحدة فيه ولا شخصية على خلاف ما ألفوا من قول الشعر ؟ أما كان المعقول والقريب إلى النفس أن يفتعلوه على نحو ما كانوا يقولون ؟ وإذا كانت قصيدة امرئ القيس منتحلة فقد اصطنعت على رأى الدكتور في الوقت الذي دون فيه الشعر في الصحف ، والذي اصطنعها لابد أن يكون من المهرة القادرين على قول الشعر وإنشاده ، أفما كان من الواضح أن يدونها ويزيعها في الناس واضحة جلية يرددونها عنه مدونة فلا يكون فيها بيت مختلف فيه ولا اضطراب في ترتيب أبياتها . نحن لا ننكر أن في بعض الشعر الجاهلي اضطرابا ولكن هذا الاضطراب لا ينهض حجة على انتحال هذا الشعر وقد رد هذه الشبهة المستشرق «تشارلس لايل» في مقدمة المفضليات فقال « إن في كثير من هذه الأشعار كلمات أو أشطار أبيات منقولة عن محلها وهذا شيء طبيعي في أشعار لم تدون قط بل كانت مروية حفظا ينقلها المتأخر عن المتقدم وليس في هذا التعبير معنى للتزوير ونجد في آخر بعض القصائد أبياتا (يقصد بذلك أن الراوى لم يمكنه أن

يعرف محلها من القصيدة فوضعها في آخرها) وهذا أيضا لا يدل على الاختلاق بحال ،

أما سبب اختلاف الرواة في ألفاظ الشعر ومواضع الأبيات فهو كما قال الأستاذ الفاضل (مصطفى صادق الرافعي) أنهم كانوا قوما لا يكتبون ولا يدونون و كان اعتمادهم على الحفظ ومع الحفظ النسيان فأذا نسي أحدهم كلمة في بيت من الشعر وضع مكانها كلمة غيرها تؤدي معناها أو تقاربها وما كانوا يرون في هذا بأسا مادام الغرض الذي يرمى إليه الشاعر قائما ثم يكون غيره لا ينسى فيروى الشعر على أصله فتجتمع روايتان فأذا كانوا ثلاثة فتكون الروايات ثلاث كل منها بلفظ غير لفظ الآخر وهلم جرا . وقد يحفظ أحدهم القصيدة فأذا قرأها يوما على غيره قدم وأخر في بعض أبياتها كما تتفق له حالة الذاكرة في ساعته تلك لا كما حفظها من قبل إذ ليس عنده أصل مكتوب يعارض عليه . ويصنع غيره مثل هذا الصنيع بضرب آخر من التقديم والتأخير كما يتبعها لذا كرته ثم يكون غيرها قد رواها وتثبت في حفظه فيأتي في القصيدة الواحدة ثلاث روايات متعارضة وإذا كثرت أبياتها كثرت رواياتها على حساب ذلك . وقد فصل الأستاذ الرافعي في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية أسباب هذا الاختلاف .

ونريد أن نبين للدكتور أن قصيدة امرئ القيس لم تخل من الوحدة والشخصية أما عن الوحدة فإن امرأ القيس ساق القصيدة كلها الغرض واحد ذلك الغرض هو العبث واللهو الذي تفنن فيه امرؤ القيس وجعله أشكالا وأنواعا

في تلك القصيدة فليس التشبيب بالنساء وركوب الجياد وذكر محاسنها ووصف الطبيعة واستجلاء مظاهرها ليس هذا كله إلا لذة للنفس ولهو أوعشا وعلى ذلك فالوحدة في قصيدة امرئ القيس ظاهرة ظهورا جليا يدركها الذين يفقهون الأدب وتاريخه . وأما عن الشخصية فأتانا علم من تاريخ امرئ القيس أنه كان في حياته الأولى أخا صبوات وصنو لذات وخبين خلاعة وهو وليس أدل على تلك الشخصية المأجنة - شخصية امرئ القيس في شبابه قبل مقتل أبيه - من هذه القصيدة . وعلى ذلك يكون قول الدكتور إن القصيدة خلت من الوحدة والشخصية مجرد ادعاء لم يقم عليه دليل وما رأى الدكتور في قول نيكلسون عن تلك القصيدة « أما معلقة امرئ القيس فقد تسابق النقاد الآوريون إلى التغنى بجمال تعبيرها والتحدث بفخر تصويرها وحلاوة تدفق أبياتها وسحر تمثيلها المنوع وما زاد إعجابهم بها ذلك الشعور بأفراح الحياة وتمجيد الشباب الذي أوحى إلى الشاعر معانيها الخلابة ومبانيها البالغة أعلى درجات الفصاحة »

وقال الدكتور « ونظن أن أنصار القديم لا يخالفون في أن هذين البيتين قلقان في القصيدة وهما

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا ونا بكا كل

فقد وضع هذان البيتان للدخول على البيت الذي يليهما وهو

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثل

وهذان البيتان أشبه بتكلف المشطر والخمسة منهما بأى شيء آخر ، ونحن نستدل على برامتهما من هذا القلق وهذا التكلف الذى يدعيه الدكتور بأنهما مرا على فصحاء العرب ونقاد الأدب الذين لم يكن أمهر منهم فى معرفة الفصيح وغير الفصيح والمتكلف والمطبوع والضعيف وغير الضعيف وهم مع ذلك لم يحسوا فى هذين البيتين شيئا مما يرميهما به الدكتور وكل ما عابوه على امرئ القيس فى هذه الآيات أن قوله

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بك كل
قد انسلاج بوصف الليل من غير أن يذكر مقول القول وجعل هذا
البيت متعلقا بالبيت الذى يليه وهو قوله

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الاصبح منك بأمثل
وهذا فريق لم يتذوق حلاوة المجاز والاستعارة لأن له ذوقا غليظا فى
الأدب قد عاب قول امرئ القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكل كل
ولكن الآمدى آجره الله ركل سفهم وصفغ باطلهم حتى حطمه
وبعد هذا فأن شيوخ الأدب والمتأدين ساقوا فى كتبهم ما يشهد بأن هذه
الآيات التى وصف بها امرؤ القيس الليل كانت تقع منهم موقع الإعجاب
ويضربون لها أرجلهم طربا كما حكى المرزبانى فى كتابه الموشح أن الوليد بن
عبد الملك وأخاه مسلمة تشاجرا على شعر امرئ القيس والنابعة الذيبانى
فى وصف الليل أيهما أجود فرضيا بالشعبي أن يكون حكما بينهما ولما

حضر أنشده الوليد :-

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بأثب
وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب
وأنشده مسلبة قول امرئ القيس :-

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليلتي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكامل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الا صباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يذبل
كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل
فضرب الوليد برجله طرما فقال الشعبي بانت القضية .

ولا نغنى بما قدمناه أن يكف المحدثون عن نقد الشعر الذي وقع تحت
نظر القدماء ولم يتعرضوا له بالقدر إلا كنا جامدين فمن الجائز أنهم لا ينتقدون
البيت حتى يلوح لهم ما فيه من مغمز خفي ، ومن الجائز أن يلوح لهم هذا
المغمز ولاكنهم يستهينون به فلا يذكرونه ، ومن المحتمل أن يذكروه ولكنه
لا يصل إلينا في هذه الكتب التي بقيت مما تركوا . وإنما نقصد أن ما
ذهب إليه الدكتور في هذه الآيات لا يمكن أن ينهض دليلا على أن هذين
البيتين قلقان في القصيدة .

بعد هذا ذكر الدكتور أن ما في القصيدة من هو وخش أشبه بأن

يكون من اتتحال الفرزدق وأن ما فيها من وصف امرئ القيس لخليلته
وزيارته إياها وتجشمه ما تجشم للوصول إليها وتخوفها الفضيحة حين رآته
وخروجها معه وتعفيتا آثارهما بذيل مرطها وما كان بينهما من لحو كل هذا
أشبه بشعر عمر بن أبي ربيعة قال « ولنسرع القول بأن وصف
اللهو مع العذارى وما فيه من فحش أشبه بأن يكون من اتتحال الفرزدق
منه بأن يكون جاهليا . فالرواة يحدثونا أن الفرزدق خرج في يوم مطير إلى
ضاحية البصرة فاتبع آثاراً حتى انتهى إلى غدير وإذا فيه نساء يستحمن
فقال : ما أشبه هذا اليوم بيوم دارة جلجل ، وولى منصرفاً ، فصاح النساء
به : يا صاحب البغلة فعاد إليهن فسألنه وعزمن عليه ليحدثن بحديث دارة
جلجل فقص عليهن قصة امرئ القيس وأنشدن قوله :

ألا رب يوم لك ممن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل
(الأبيات)

والذين يقرءون شعر الفرزدق ويلاحظون فحشه وغلظته وأنه قد ليم
على هذا الفحش وعلى هذه الغلظة لا يجدون مشقة في أن يضيفوا إليه هذه
الأبيات فهي بشعره أشبه . وكثيراً ما كان القدماء يتحدثون بمثل هذه
الاحاديث يضيفونها إلى القدماء وهم ينتحلونها من عند أنفسهم ومهما
يكن من شيء فلغة هذه الأبيات كلغة القصيدة كلها عدنانية قرشية يمكن أن
تصدر عن شاعر إسلامي اتخذ لغة القرآن لغة أدبية

أما وصف امرئ القيس لخليلته وزيارته إياها وتجشمه ما تجشم
للاوصول إليها وتخوفها الفضيحة حين رآته وخروجها معه وتعفيتا آثارهما

بذيل مرطها وما كان بينهما من لهُو ، فهو أشبه بشعر عمر بن أبي ربيعة منه بأى شيء آخر . فهذا النحو من القصص الغرامية في الشعر فن عمر بن أبي ربيعة قد احتكره احتكاراً ولم ينازعه فيه أحد . ولقد يكون غريباً حقاً أن يسبق امرؤ القيس إلى هذا الفن ويتخذ فيه هذا الأسلوب ويعرف عنه هذا النحو ، ثم يأتي ابن أبي ربيعة فيقلده فيه ولا يشير أحد من النقاد إلى أن ابن أبي ربيعة قد تأثر بامرئ القيس مع أنهم قد أشاروا إلى تأثير امرئ القيس في طائفة من الشعراء في أنحاء من الوصف فكيف يمكن أن يكون امرؤ القيس هو منشئ هذا الفن من الغزل الذي عاش عليه ابن أبي ربيعة والذي كون شخصية ابن أبي ربيعة الشعرية ولا يعرف له ذلك ؟

وأنت إذا قرأت قصيدة أو قصيدتين من شعر ابن أبي ربيعة لم تكذبك في أن هذا الفن منه ابتكاره واستغله استغلالاً قوياً . وعرفت العرب له هذا . وقل مثل هذا في هذا القصص الغرامية الذي تجده في قصيدة امرئ القيس الأخرى : « ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي ، فنى هذا القصص الفاحش فن ابن أبي ربيعة وروح الفرزدق . ونحن نرجح إذاً أن هذا النوع من الغزل إنما أضيف إلى امرئ القيس ، أضافه رواة متأثرون بهذين الشاعرين الأسلاميين ، اه بنصه

ونحن نعجب من خلط الدكتور هنا أشد العجب فإنه أنكر الوحدة والشخصية في القصيدة ثم عاد فقال إن ما فيها من فحش وغرام هما للفرزدق

وعمر بن أبي ربيعة . وهما شاعران إسلاميان يظهر في شعرهما الوحدة
والشخصية لانهما من شعراء الاسلام الذين قال الدكتور عن شعرهم إنه
يتحدى أى ناقد أن يعيب به أقل عيب دون أن يفسده . وقال إن وحدة
القصيدة فيه بيّنة وإن شخصية الشاعر فيه ليست أقل ظهورا منها في أى شعر
أجنبي . ونحب أن نسأل الدكتور بعد هذا الذى ذهب إليه من أن قصيدة
امرىء القيس إسلامية لاجاهلية . نحب أن نسأله عن قوله إن القصيدة
خلت من الوحدة والشخصية ، أين ذهبت هذه الوحدة وتلك الشخصية ؟
أتبخرت على مر السنين أم سلطت عليها قوة سحرية وأشارت إليها
الشياطين بعصيمهم فاخفت تحت الأرض ؟ أم الأستاذ يعدل عن رأيه
فيعترف بأن الوحدة والشخصية ظاهرتان في القصيدة . وإنا لنعجب
أيضا من أن تذكر تلك القصيدة شركة بين ثلاثة من الشعراء وظلمهم جليل
الخطر في شعره ولا يخبرنا النقاد والرواة بهذا وهم هؤلاء الذين لم يتركوا
صغيرة ولا كبيرة في الشعر إلا ردوها إلى صاحبها . وإذا كان الفرزدق قد
عرف بنحو من الشعر فهل يجب أن يكون له مبتدعا لم يسبقه به امرؤ القيس .
ألا إن الأستاذ لا يستند في هذا الزعم إلا إلى أن هذا الفحش أشبه بفحش
الفرزدق وذلك شيء عجيب فأن تشابه الشعرين لا يمكن أن يقوم دليلا على
أن هذا الشعر للفرزدق خصوصا وأنا نعلم أن الفرزدق كان مشهورا بسرقة
الشعراء يغير عليهم وينهب شعرهم وينسبه إلى نفسه ويحمله من شعره غير
مبال أن يعرف الرواة عنه ذلك أو أن يكون الشاعر المسلوب حيا أو ميتا

وقد شهد عليه الأصمعي وغيره بأنه كان لصا ماهرا في سرقة الشعر يسرقه
عنوة واقتدارا . وقد جاء في الموشح وخزانة الأدب الكبير أن الفرزدق
سرق من ابن ميادة قوله

لو أن جميع الناس كانوا بتلعة وجئت بجدي ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجودا على أعقابنا بالجماجم
فأدخلهما الفرزدق في شعره وقال

لو أن جميع الناس كانوا بتلعة وجئت بجدي دارم وابن دارم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجودا على أعقابنا بالجماجم
وفي الأغاني والموشح أيضا أنه سرق من ذي الرمة قوله:

أحين أعاذت بي تميم نساءها وجردت تجريد اليماني من الغمد
ومدت بضبعي الرباب ومالك وعمرو وشالت من ورائي بنو سعد
ومن آل يربوع زهاء كأنه دجى الليل محمود النكاية والورد
وكننا إذا الجبار صعر خده ضربناه فوق الأنثيين على الكرد
وسرق من الراعي قوله

كم من أب لي ياجرير كأنه قمر المجرة أو سراج نهار
لن تدركوا أكرمي باؤم أيكم وأوابدي بتنحل الأشعار
وسرق من جميل قوله

تري الناس ماسرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وفي الموشح أيضا أن الفرزدق سرق من الأعمى العبدى تسعة أبيات

وأدخلها في قصيدته « عزفت بأعشاش وما كدت تعزف،

وسرق من النابغة الجعدي :-

وصهباء لا تخفى القذى وهي دونه تصفق في راووقها ثم تقطب

تمزنها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

أخذه الفرزدق نسخا فقال :-

وإجانة ريا الشروب كأنها إذا صفقت فيها الزجاجة كوكب

تمزنتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

ولقى الفرزدق أبا عمرو بن العلاء في المربد فسأله أبو عمرو هل أحدث

شيئا يا أبا فراس ؟ فقال نعم ثم أنشده

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيس

فقال له أبو عمرو هذا للتلس فقال اكتبها في نفسك فلضوال الشعر

أحب إلى من ضوال الأبل وخير السرقة ما لم تقطع فيه اليد

فشاعر كهذا كثير السرقات يرغب في انتحال شعر غيره ويدعيه لنفسه

لا يمكن بحال من الأحوال أن يقول شعرا ثم ينحله غيره . فلا يمكن أن يكون

الفرزدق هو الذي صنع هذا الشعر وأسنده إلى امرئ القيس وكل ما في

الامر أن الفرزدق تأثر بامرئ القيس لأنه كان تلميذاً له فقد كان من

رواته بشهادة ابن عبد ربه فإنه قال في العقد الفريد « كان الفرزدق أروى

الناس لا أخبار امرئ القيس وأشعاره وذلك أن امرأ القيس رأى من أبيه

جفوة فلحق بعمه شرحبيل بن الحرث وكان مسترضعا في بني دارم فأقام

فيهم وهم رهظ الفرزدق ، والذي يدعشنا من الدكتور أيضا أنه مع جنوحه إلى رفض القصص المنحولة يتقبل قصة الفرزدق وإن كانت أشبه بالمنحول عنها بأن تكون حقيقية. ونعني بها القصة التي قيل فيها إن الفرزدق خرج في يوم مطير إلى ضاحية البصرة وتبع آثارا حتى انتهى إلى غدير فيه نساء فقال ما أشبه هذا اليوم بدارة جملجل - إلى آخر ما جاء عن تلك القصة التي ذكرها الدكتور في كلامه :

أما عن اللهو الذي جاء في القصيدة ويدعيه الدكتور لعمر بن أبي ربيعة فهو عنده لم يخرج عن دائرة الشك ولم يقم على دعواه دليلا . على أن الأقدمين قالوا إن امرأ القيس سبق إلى أشياء ابتدعها واتبعه فيها الشعراء منها استيقاف صبيته والبكاء على الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ وتشبيه النساء بالطباء والبيض وما إلى ذلك مما ذكره ابن سلام في كتابه طبقات الشعراء . وبهذا تقدم امرؤ القيس الشعراء لأنهم اتبعوه فيها ولم يتبع هو أحدا فيها ، وفن ابن أبي ربيعة واللهو الذي جاء في القصيدة (وزعم الدكتور أنه لعمر بن أبي ربيعة) كل هذا داخل في رقة النسيب التي سبق إليها امرؤ القيس قبل سائر الشعراء وقبل أن يولد ابن أبي ربيعة فإذا كان ابن أبي ربيعة قد استحسن أسلوبا من أساليب امرئ القيس في النسيب فأكثر منه واستنفد فيه جانباً من شعره فليس معنى هذا أنه اخترع هذا الفن واحتكره ولو كان هذا الغزل واللهو من مبتكرات ابن أبي ربيعة لما فات هذا رواة الأدب ونقاده ولذكروا ذلك وجعلوا الفخر كل الفخر فيه لابن أبي ربيعة ولكن الرواة جميعا متفقون على أن امرأ القيس هو السابق إلى النسيب ورقته وإلى أشياء

أخرى ومتفقون أيضا على أن مافي المعلقة وما في القصيدة الثانية (ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي) من لحو وعبث وغيره هو من شعر امرئ القيس فأذا كان بينه وبين شعر ابن أبي ربيعة تشابه واضح فمن مقتضيات هذا أن نعترف بأن امرأ القيس كان أستاذاً لعمر بن أبي ربيعة في هذا الفن . أما سكوت الرواة وعدم إشارتهم إلى أثر امرئ القيس في عمر بن أبي ربيعة كما قال الدكتور فائنه - إن صح - لا ينهض دليلاً على أن هذا الشعر لابن أبي ربيعة ، بيد أن في قول الرواة إن امرأ القيس سبق الشعراء إلى أشياء ابتدعها واتبعوه فيها كركة النسيب ... دليلاً على أثر امرئ القيس في ابن أبي ربيعة لأنه من شعراء الغزل ولأنه لاحق لامرئ القيس ومندرج تحت لواء الشعراء الذين جروا على سنة امرئ القيس ، وانظر إلى ما قاله صاحب شرح شواهد الكشف عند إيراد شيء من قصيدة امرئ القيس (ألا انعم صباحا) فأنه ذكر أن قصيدة عمر بن أبي ربيعة (أمن آل نعم) مشابهة لقصيدة امرئ القيس بمعناها مشابة اليوم للأنس . ومطابقة لها مطابقة الخمس بالخمس - وننتهي إلى أن امرأ القيس هو الذي سن الغزل لابن أبي ربيعة وسن الفحش للفرزدق وسن فنونا من القول لسائر الشعراء بعده .

ثم تحدث الدكتور عن الوصف الذي جاء في القصيدة فقال « بقي الوصف ولا سيما وصف الفرس والصيد . ولكننا نقف فيه موقف التردد أيضا واللغة هي التي تضطرنا إلى هذا الموقف . فالظاهر أن امرأ القيس كان قد نبغ في وصف الخيل والصيد والسيول والمطر والظواهر أنه قد استحدث في

ذلك أشياء كثيرة لم تكن مألوفة من قبل . ولكن أقال هذه الأشياء في هذا الشعر الذى بين أيدينا أم قالها في شعر آخر ضاع وذهب به الزمان ولم يبق منه إلا الذكر وإلا جمل مقتضبة أخذها الرواة فنظموها في شعر محدث نسقوه ولفقوه وأضافوه إلى شاعرنا القديم ؟ هذا مذهبنا الذى نرجحه فنحن نقبل أن امرأ القيس هو أول من قيد الأوابد وشبه الخيل بالعصى والعقبان وما إلى ذلك ولا كنا نشك أعظم الشك فى أن يكون قد قال هذه هذه الأبيات التى يروىها الرواة . وأكبر الظن أن هذا الوصف الذى نجده فى المعلقة وفى اللامية الأخرى فيه شيء من ربح امرئ القيس ولكن من ربحه ليس غير ، ونحن نعجب للدكتور فأن الرواة حدثوه بأن امرأ القيس هو أول من قيد الأوابد وشبه الخيل بالعصى والعقبان ووصف الصيد والسيل والمطر وأجاد فى هذا الوصف ونبغ فيه يقول له الرواة ذلك فيؤمن الدكتور على كلامهم ويقول صدقوا . ثم يقول الرواة هذا شعره الذى يظهر فيه وصفه وروحه فيقول الدكتور لم يصدقوا . وذلك لعمري منطق غريب يبتدعه الدكتور جامعا بين النقضين فالرواة عند الدكتور صادقون كاذبون معا . وإذا كان الدكتور لم يعتمد على الرواة فى أن امرأ القيس وصف الخيل والسيل فايقل لنا من أين جاء هذا العلم ؟ هل تنزل عليه به وخى من السماء ؟ كلا ولكن الدكتور يأخذ عن الرواة ما يصادف هوى فى نفسه ويرفض ما لا يتفق مع نزعاته ولا عجب فى ذلك ولا غرابة فأن الدكتور يلح عليه الشك ثم يلح عليه الشك فلا يضبط مقدماته ولا نتائجها فيلتوى عليه السيل ولا يعرف إلى أى غاية يسير .

ثم خرج الدكتور بعد هذا على القصيدة التي يروى أن امرأ القيس قالها
في منازعة شعرية بينه وبين علقمة فقال : هناك قصيدة ثالثة نجزم نحن بأنها
منتحلة انتحالا . وهي القصيدة البائية التي يقال إن امرأ القيس أنشأها
يخاصم بها علقمة بن عبدة الفحل وإن أم جندب زوج امرئ القيس قد
غلبت علقمة على زوجها وأنت تجد القصيدتين في ديوان امرئ القيس
وديوان علقمة . فأما قصيدة امرئ القيس فمطلعها : -

خليلى مرابى على أم جندب نقض لبانات الفؤاد المعذب
وأما قصيدة علقمة فمطلعها

ذهبت من الهجران فى كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب
ويكفى أن تقرأ هذين البيتين لتحس فيهما رقة إسلامية ظاهرة على أن
هذين الشاعرين قد تواردا على معان كثيرة بل على ألفاظ كثيرة بل على
أبيات كثيرة تجدها بنصها فى القصيدتين معا ، وعلى أن البيت الذى يضاف
إلى علقمة وبه ربح القضية يروى لامرئ القيس ، وهو . -

فأدركن ثانيا من عنانه يمر كمر الراح المتحلب
والبيت الذى خسر به امرؤ القيس القضية يروى لعلقمة وهو : -

فلاسوط أهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أهوج منعب
وأنت تستطيع أن تقرأ القصيدتين دون أن تجد فيهما فرقا بين شخصية
الشاعرين ، بل أنت لا تجد فيهما شخصية ما ، وإنما تحس أنك تقرأ كلاما
غريبا منظوما فى جمع ما يمكن جمعه من وصف الفرس جملة وتفصيلا وأكبر
الظن أن علقمة لم يفاخر امرأ القيس وأن أم جندب لم تحكم بينهما وأن

القصيدتين ليسا من الجاهلية في شيء ، جزم الدكتور بأن هذه القصيدة
منتحلة انتقالا لأن فيها رقة إسلامية ولو تدبر قليلا لرأى في شعر بعض
شعراء الإسلام غرابة يعسر فهمها كروبة والعجاج ولرأى أيضا في شعر
بعض شعراء الجاهلية سهولة ورقة ونحن لا نحتج عليه بهذه السهولة بأكثر
من الشعر الذى سلمه لعلقة كقوله

فأن تسألونى بالنساء فأتى خبير بأدواء النساء طيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له فى ودمن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمه وشرح الشباب عندهن عجيب
وأنا ما رددت دليل الدكتور إلا لآيين ضعف براهينه ولكنى لا أذهب
مع ذلك إلى أن القصيدة قد سلئت لامرئ القيس فأن هناك طائفة من
الرواة القدامى قد سبقوا الدكتور وأنكروا هذه القصيدة فقد ذكر المرزبانى
فى الموشح حين ساق منازعة امرئ القيس وعلقة واحتكامهما إلى أم
جندب بعد أن ذكر ذلك قال « وقد روى هذا الحديث أيضا ابن الكلبي ورواه
أيضا عبد الله بن المعتز وذكره فيما أنكر من شعر امرئ القيس » . وكان حماد
يروى القصيدتين لامرئ القيس وكان المفضل يرويهما لعلقة .

إلى هنا ينتهى بنا نقد ما تعرضنا له من آراء الدكتور طه ونخرج من ذلك
على أن امرأ القيس وجد حقا وأن القصة التى ذكرها المؤرخون والرواة
عنه هى قصة حقا وأن الشعر الذى يضاف إليه هو شعره حقا وأن الدكتور لم
يكن فى محضه موقفا . الحمد لله أولا وآخرا

الفهرست

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤	الاهـداء	٩٦	ما تمثله المعلقة من أحوال الاجتماع
٥	مقدمة الكتاب	٩٩	قصيدة امرىء القيس الثانية
١٢	كلمة للدؤلف	١٠٢	أينما في قصيدة امرىء القيس الثانية
١٣	منهج البحث	١٠٦	صفات امرىء القيس وأخلاقه في
١٧	أسرة امرىء القيس		شيء من أخباره وحوادثه
٣٢	مولد امرىء القيس وشاعريته	١١٧	عقيدة امرىء القيس الدينية
	المتوارثة	١٣٢	امروء القيس بعد مقتل أبيه
٣٩	نشأة امرىء القيس	١٥٢	أثر الحوادث في شعر امرىء القيس
٤٢	بيئات امرىء القيس	١٧٢	حول ما أخذ العلماء على
٤٣	البيئة الطبيعية		امرىء القيس في أشعاره
٤٥	البيئة الاجتماعية	٢٢١	تأثر امرىء القيس بغيره
٤٩	البيئة العلمية	٢٣٣	أثر امرىء القيس في غيره
٥١	شباب امرىء القيس	٢٤٩	ما جرى على لسان امرىء القيس
٥٦	حشق امرىء القيس وصواحيبه		من استعمالات القرآن وألغاز
٧٣	نزلة امرىء القيس الشعرية	٢٥٣	حكم امرىء القيس وأمثاله
٨٢	معلقة امرىء القيس	٢٥٦	ما لزمه امرؤ القيس في شعره
٨٩	رأينا في المعلقة	٢٦٣	حول أوهام الدكتور طه

تصحيح الخطأ

وقع في أثناء الطبع بعض أخطاء ننبه على مالا حظناه منها

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
٩	١٢	يخاق	يخاق	١٢٣	١٩	يا امر	يا امراً
١٣	٤	فهم	فيا	١٢٤	١١	عم	عما
١٣	١٥	ولن	وإن	١٢٥	١٠	وافقون	يوافقون
١٤	١٧	ووضعت	وضعت	١٢٦	١٣	فبرزت عليه	فبرزت إليه
١٧	٦٠٤	الحيرين	الحيرين	١٣٩	٨	كرلا	كرك
٢٠	١٠	حجر	حجرا	١٥٤	١٠	حفارتي	خفارتي
٢١	١	سدودا	سدوسا	١٥٩	١١	هاني	هانيء
٢١	١	فأراد	فأرداه	١٦٨	٢	توديعه	بتوديعه
٢١	١١	خي شعور	خيتعور	١٧٤	١٧	معول	معو لا
٢٢	٣٠١	عمر	عمرو	١٨١	٦	(وعلى النحر)	(على النحر)
٢٤	١٢	بن	تن	١١٣	٨	القسمين	القسمين
٢٩	٧	غداً أول	غدا أول	١٨٤	١٩	ونحن لانستد	ونحن نستبعد
٣٠	١٩	درستك	دستك	١٩٢	٩	المتعزل	المتعزل
٣٢	١٥	إن وبدا لك	وإن بدا لك	١٩٢	١٥	يعرها	يغرها
٣٥	١٨	كر	سكرا	٢٠١	١١	وأن السابقون	والسابقون
٣٦	٧	القتل	القتل	٢٠٥	٢	اللغة	اللغة
٤٠	٤	يسمع	يسمع	٢٠٨	١	أعلا	أعلى
٤١	٦	دردھا	درھا	٢١٤	٧	والزيادة	والزيادة
٥٧	١٠	تنبأ	تنأ	٢٣٢	٦	مهمل	المهمل
٦٢	٦	لبانها	لباتها	٢٣٢	٨	بالشعراء	بشعراء
١١٦	٤	عشار وھا	عشاروله	٢٦٤	٨	أشباهه	أشباهه
١١٩	٤	باخامها	تاخما	٢٦٤	١٨	سنة ٢٥٠ م	سنة ٥٢٠ م
١٢٣	١١	« قيس »	« الفيس »	٢٨٧	١٢	يزيعها	يزيعها